أصحاب الامتياز
منير البعلبكي - سهيل ادريس - بهيج عثمان

المدير المسؤول : بهيج عثمان
رئيس التحرير : الدكتور سهيل ادريس

Directeur : BAHIJ OSMAN
Rédacteur en chef : SOUHEIL IDRISS

الآداب
مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر
تصدر عن دار العلم للملايين - بيروت

ص.ب ١٠٨٥ - تلفون ٢٣ - ٠١

AL-ADAB : REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH - LIBAN B.P. 1085
Tél. : 23 - 01

العدد الثاني
شباط (فبراير) ١٩٥٤
السنة الثانية

No. 2 - Février 1954
2ème Année

الإبداع الذي نحتاج اليه

بقلم عبدالله عبدالدائم

لا مجال لتعداد العوامل التي تدعو الى نفاد القدرة على الابداع . ولا يهمنا هنا ان نقوم ببحث نفسي تحليلي للابداع ومقوماته . وما نريده هو ان نمس المشكلة واقعياً ، لا على نحو مجرد ، فنبحث في مقومات الابداع في المرحلة التي تجتازها بلادنا العربية اليوم . ذلك ان جميع العوامل التي تدعو الى غنى الابداع او فقره ، مردها في نهاية الامر ، في نظرنا ، الى مبلغ القدرة على التكيف مع الاوضاع الجديدة التي يجتازها المجتمع.

والمبدع هو من استطاع ان يأتلف مع الجو الجديد الذي يمر به مجتمعه ، ويدرك ما في هواء المجتمع من نوازع وتطلعات وحاجات يجيب هو عليها ، فيخلق بذلك معاني جديرة بأن تسمى جديدة لأن فيها عبق التطور الاجتماعي الجديد

أوليس الابداع هو الحرية عينها ؟ أفلا يعني ان يتحرر الكاتب والمفكر من اساليب في التفكير هي التي تعلمها واعتادها ، كانت تلبي حاجة فترة مضت ومرحلة تجاوزها المجتمع ، وغدت بعيدة عن ان تفي بمتطلبات الوضع الاجتماعي الجديد ؟ أليس الجدب في المحافظة على أساليب يلذها المفكر أحياناً وينساق في منحدرها السهل ومنزلقها الممهد ، لانه ألفها وطالت عشرته لها ، فغدا اسيرها وكانت لفكره سداً يحول بينه وبين الانطلاق الحر ؟

إلى ما يقرب من هذا يذهب ابن رشيق في عمدته حين يقول : « كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالاضافة الى ما كان قبله » .

والى مثله ايضاً يذهب عبدالكريم بن ابراهيم في حديثه عن القديم والجديد من الشعر :

« قد تختلف المقامات والازمنة والبلاد فيحسن في وقت ما لا يحسن في غيره ، ويستحسن عند أهل بلد ما ما لا يستحسن عند اهل غيره . ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه . »

لقد عرفوا الذكاء بانه القدرة على التكيف مع المواقف الجديدة ، وكلنا يدرك ان الشخص الذكي هو الذي لا نجد لديه الصلابة والجمود اللذين نجدهما لدى الكائن الجامد ، وانما نجد لديه تلك المرونة وتلك القدرة على التغيير التي تسم الحياة في جوهرها . حتى ان بعض العلماء يفسرون الصلة بين الذكاء وكثرة تلافيف الدماغ بان المؤثر الذي يقع على الانسان ذي التلافيف الدماغية الكثيرة ، لا يجتاز عدداً من الطرق قليلاً ، وانما يجتاز التواءات ومنعطفات عديدة تجعل من استجاباته استجابات فيها مجال لحلول كثيرة غنية . ويذهب برغسون الى أبعد من هذا ، فيفسر ظاهرة الضحك نفسها على أساس هذه المرونة والليونة في الاستجابة. ويرى ان ما يضحكنا هو ان نرى الكائن الحي المرن يتلبس بمظهر الكائن الجامد الارن ويفقد المرونة التي هي جوهره .

وتتجلى لنا فكرة برغسون هذه واضحة ، وتتجلى لنا الصلة عامة بين الحياة والمرونة والتكيف إذا حاولنا ان نفهم معه لمَ يضحك احدنا من وجه قبيح مشوه ، او من شخص احدب او .. اننا إذ نضحك من هؤلاء نضحك من تصلب ايضاً حل فيهم محل المرونة ، كأنما يخيل الينا انهم قصدوا الى وضعهم الجسدي قصداً ، فحادوا عن المرونة ووقعوا في تجمد الهيئة .

« ألا يبدو لكم الاحدب كرجل ساءت وقفته ؟ فكأن ظهره قد تعود هذا الانحناء السيء وداوم على هذه العادة نتيجة عناد مادي ، اي نتيجة تصلب .. حاولوا ان تنظروا بالاعين فقط ، لا تفكرون ولا تناقشون ، وأمحوا ما اكتسبتموه ، وابحثوا عن الانطباع البسيط المباشر الاول . ألا ترون حينئذ مشهداً من هذا النوع ؛ مشهد رجل أراد ان يتصلب على وضع ما ، وان يجمّد جسمه إن صح التعبير ؟ » :

قصُرت أخادعه وطال قذاله فكأنه متربّص ان يُصفعــا
وكأنما صُفعت قفــاه مرة واحسّ ثانية لهـا فتجمعا

ولن نعرض للامثلة الخصبة الكثيرة التي أوردها برغسون للتدليل على فكرته هذه ، فكرة رد المضحك الى كل ما حلت فيه صلابة المادة ، فجمُد حيث ينبغي اللين ، وتصلّب حيث تجب المرونة ...

وحسبنا اذا اردنا ان نزيد في اظهار هذه الصلة القائمة بين الحياة والمرونة ، بين الذكاء والتكييّف ، ان نذكّر باحوال الشذوذ والمرض النفسي وألا ننسى ان جميع الامراض النفسية قائمة على اساس هذا التصلّب في وظائف النفس ، على أفكار ثابتة يقف عندها المريض فتسيطر على حياته كلها ، ويجدها أينما توجّه ويجدها مَن حوله في كل حركة من حركاته ... ومـا الاوهام المسيطرة وما الهذيان وما الوهن Asthénie ومـا البارانويا وما الفُصام Schizophrénie إلا حالات من التصلب في تيار النفس، تسيطر فيها على المريض رؤى وأفكار ونزعات لا يستطيع ردها ، وتفرض وجودها عليه ... وهل تعـني « العقدة النفسية » غير هذا التصلب والتعقد والانجذاب الجامد الى محور لا يتجاوزه الانسان ؟ وهلا ُيرجع « فرويد Freud » وصحبُه اكثر انواع الاضطرابات والمرض الى الوقوف عند مرحلة من التطور النفسي كان على الشخص ان يجاوزها، والى تثبت على اطوار من الحياة الجنسية والعاطفية يمر بها الانسان السليم ليرقى الى غيرها ، ويقف عندها المريض او يعود اليها ، مراوحاً في مكانه او متقدماً الى وراء ؟

إن جميع ما ذكرنا من أمثلة توضح اذاً قيام الصلة الوثيقة بين التكيّف والوضع السليم ، بين التكيف والذكاء ، بين التكيف والحياة ... فماء الحياة لا يعرف الركود والا غدا أسِناً وموطناً للأوباء ... والتوقف لا معنى له في لغة الحياة ، وكل توقف تراجع .والذكي من عرف ان يتكيف مع الظروف المتجددة ومع المواقف والمشكلات الطارئة ؛ والسليم السوي من جاوز كل طور الى ما يليه ، ولم يقف حيث ينبغي ان يسير ، ولم يتصلب حَيث ينبغي ان يسيل .

واذا كان الابداع اقوى صور الذكاء وأرفع اشكال الحياة الدافقة ، فحريٌ به اذاً ان يكون قدرة على التكيف مع متطلبات الحياة ، وحريّ بالمفكر المبدع ألا يقف عند انماط من التفكير تجاوزها المجتمع ، وألا يراوح في مكانه والركب سائر ، وألا يمشي القهقرى ، فعِلةَ الكائن الجامد تشدّه الحياة إلى أمام فينجرّ الى وراء ،ويعدو المجتمع أمامه فينفر او يعتزل أو يتعص .

إن الابداع كما قلنا أقوى تعبير عن الحرية .. إنه ابتعاد عن الأطر الجامدة ،عن السنن الجامد ،عن السنة والسكون .. إنه وثبة النفس فوق ذاتها وتحرر الذات من قيودها .. إنه ابتعاد عن الخوف ، مغامرة في عالم الجديد ، مسايرة للحياة في وثبتها التي لا تعرف الوجل ولا تخاف العقبات ..

« ما هذا يا نفسي ؟ إنه الحرية » ، هكذا قال كيركيجرد Kirkegaard متسائلاً عن سر إبداعه .

إن الجيل المبدع هو الجيل الذي تحرر من رواسب الماضي وانطلق ينشد المستقبل في حرارة . والمفكر المبدع هو الذي تحرر من عاداته المستمرية فخطّ لنفسه عادات تساير ما يفوح في المجتمع من روح نامٍ جديد ، بدلاً من أن يظل ثابتاً على افكار ذابلة، كانت أزاهير ، ففقدت ضوعها وكادت تنتن.

★

وبعد ، ما هو هذا الابداع الجديد الذي يُنتظر من مفكر في بلادنا تنكب للجامد وانطلق معَ الحي المتحرك ؟ وهل ما نجده في مجتمعنا العربي اليوم من مجالي الابداع يحقق هذا الابداع الذي عرّفناه ويجعل من مفكرينا أناساً جديرين بهذا الاسم ؟

هنالك طائفة من المفكرين ، غدت قليلة ، تفهم من الابداع ضرباً من الوحي الشخصي والالهام اللدنّي الذي لا يغذيه اطلاع وزاد. وتعتقد ان الخلق يمكن ان يكون من عدم مناقضة المثل اللاتيني القائل « لا شيء من لا شيء ex nihilo nihili » . ومن بين هذه الطائفة أولئك الذين يعتقدون ان الأمة العربية تستطيع أن تبدع قبل أن تدرك وتعي ما جاء به غيرها ، وأن عليها ان تمتاح معاني الابتكار من ذاتها ومن خصائصها . ولئن كان وراء موقف هؤلاء رغبة مشكورة في الوصول إلى شيء قومي أصيل

وفي التحرر من عبودية الغرب، فهم ينسون الحقيقة التي وقفنا وقفنا عندها وهي ان الابداع ينبغي أن لا ينسى متطلبات الوضع الاجتماعي الجديد. كما أنهم خاطئون إذ يخيل إليهم ان في الاهتمام بتراث الغرب، إذا اتصف هذا الاهتمام بالصفات التي سنبينها، تخلياً عن الاصالة وانقياداً وخضوعاً ...

« ليس المبدع من يأتي بالمعجزات أو ينتظر هبوطها، انه من تحرّر من قيود اسلوبه الذي ألِفه، وانطلق من اسار عاداته الفكرية المستشرية، وصارع ذاته وأنانيته العقلية، لينخرط في حياة امته ومجتمعه، يقبس منها وحيه، ويدرك من خلالها حقيقة المهمة التي تنتظره، ومطالب المرحلة التاريخية التي عليه ان يحمل عبء قيادتها وتوجيهها.»

فيقبسون من هنا وهناك، ويقمشون من هنا وهناك، ويتلمظون ببعض النتف، دون ان يدركوا النظرة الكلية الثاوية وراء هذا كله، والمنازع العامة التي توجه هذا كله. إنهم لا يصعدون الى منبع الابداع، ويكتفون بان يغرفوا من شطئانه الموصلة كدراً يحسبونه صفواً. ويصيبهم من وراء هذا كله غرور أيما غرور، فيحملون على تراثهم دون ان يفقهوا منه شيئاً، ويدعون الى تراث غيرهم دون ان يفقهوا منه شيئاً ايضاً.

وهكذا نرى فريقاً من الكتاب يفكرون جاهلين كل شيء يتصل بالفكر العالمي، ويعتقدون ان ما في عقولهم هو كل ما في العالم من أفكار، وان ما عندهم من اجتهاد شخصي غير مزوّد باطلاع ومعرفة هو كل الابداع، ويسلكون لهذا مسلكاً جريئاً جداً، فيخوضون في كل بحث ويفكرون في كل مشكلة جاهلين بأصولها وما قيل فيها من أبحاث، ظانين أنهم أول من يتعرض لها. ولهذا تراهم يهرفون بما لا يعرفون ويتجرأون على أكبر المشكلات فيجدون لها الحلول القاطعة في زعمهم .. إن الابداع لديهم ينقلب إلى تجاهل التجربة العالمية في كل ميدان، وتوهم الأتيان بالجديد في مجالات قُتلت درساً وبحثاً.

وإلى جانب هذه الطائفة الأولى طائفة ثانية تشعر على العكس بالانسحاق أمام الفكر الغربي فترتمي في أحضانه. غير أن ارتماءها في أحضانه ارتماء فقير مجدب يقصّر عن فهم هذا الفكر الغربي ولا يصل إلى شأوه ويقتصر على نوع من التلمذ أو ادعاء التلمذ على استاذ قوي دون شك، غير ان تلميذه لا يفهم منه الا فتاتاً قليلة.

وهذا الموقف الثاني كثير الذيوع، وهو أكثر ذيوعاً من الموقف الاول. وهو ايضاً وليد العجز وليس من الابداع في شيء. إن صاحبه اشبه بمن يتكنى بجاره. فهو حين أجدب وأمحل يلتمس الخصب في التحدث عن خصب غيره دون ان يعرف هذا الخصب. وما يلبث حتى يظن بعد حين أن مجرد حديثه عن غنى الآخرين، غنى الغرب، يمنحه الغنى. بل قد يخيّل اليه أنه يشارك في إبداع هذا الذي يبدعه غيره. كمثل من يستمع الى عازف كبير فيحرّك يده أحياناً كأنما يريد ان يقلّد النغم الذي يُعجب به ويظن بهذا انه يشارك في إحداث النغم.

ويتجلى موقف هذه الطائفة خاصة في انهم حين يحاولون نقل فكر الغرب لا ينقلون إلا اجزاء متناثرة وأشلاء مقطّعة.

ونرى هذا الموقف جلياً لدى بعض الدائنين بمذاهب سياسية غربية. فتراهم ينقلون فتات المذاهب دون ان يفهموا منزعها ووظيفتها الحقيقية. ويوهمون الناس انهم يتبنون مذاهب ونظماً سياسية وحكومية أثبتت جدارتها لدى امم حديثة، في حين انهم يخترمون هذه المذاهب والنظم ويقتطعون منها ما يفهمون أو ما يشاؤون، ويدعونها تلتمس الحياة في بلادنا عرجاءَ شوهاء مقطعة الأوصال، محرومة احياناً من جهازها التنفسي الأصلي بل من لحمها ودمها.

ولا يعنينا ان نستمر في هذا الحديث، المكرور ايضاً، عن موقفين من الابداع، في صلته بالغرب. ويهمنا ان نذكر ان كلا الموقفين موقف متصلب أرن، لا يراعي مطالب الوضع الجديد، ولا يعرف ان يتحرر من العبودية التي تُفرض عليه؛ وان كلا الحلين للمشكلة حلّ سلبي متراجع ينبيء عن خوف منها وهلع، ولا يواجهها في صراحة وإقدام.

ان الموقف السليم تجاه مشكلة الفكر الغربي ينبغي ان يكون دون شك ان نجعل من نقلنا لهذا الفكر الغربي إبداعاً

وأول شروط الابداع في مثل هذا المجال ان نفهم ما ننقل فهماً كلياً جامعاً، أن لا نخلق من نتف ومِزَق نستوردها من الغرب كما نستورد زجاجات الويسكي مخلوقاً عجيباً ندعي انه مخلوق، ولا يثير فينا إلا الضحك، الضحكَ من تجمّد الحياة على هذا الشكل. فليس كل نقل اتباعاً. وإدراك ما يبدعه الآخرون على حقيقته وفي قوته وأعماقه هو بحد ذاته مشاركة في الابداع ومشاركة كبرى. وهو فوق ذلك استعداد لتجاوز هذا الذي أبدعه الآخرون. فمن استطاع ان يضع نفسه موضع الآخرين تماماً وان يصل الى مستوى ما أبدعوه من افكار

انسان" وصل الى شأو من ينقل عنهم وفي وسعه ان يبدع فوق ما أبدعوا كما يبدعون هم فوق ما أبدعوا . ثم إن مهمة النقل الأصلية في الابداع ان تنقل الينا الوثبة التي أحدثت الابداع عند من ننقل عنهم وان تشيع بيننا الدفقات التي ادت الى الخلق والروح المبدعة التي تثوي وراء نتائج الابداع وآثاره . إن مهمتها ان تنقل الينا الوحي الثاوي وراء الأفكار لا الأفكار وحدها .

ولا يتم هذا كله إلا إذا لجأنا الى اسلوب صحيح في النقل . وهذا الاسلوب الصحيح هو الذي يعنينا الحديث عنه خاصة :

أسوأ انواع النقل ان ننقل دون ما خطة مرسومة ، وان ننقل ما يقع بين أيدينا ، وان ينقل كل كاتب ما تهديه اليه مطالعاته المبعثرة الشتيتة . فمثل هذا النقل لن يطلعنا على «الكيان» الذي ننقل عنه كاملاً ، ولن يحررنا من التقاط فتات الموائد بدلاً من الرجوع الى الأصول . **والاسلوب الصحيح ان نبدأ بنقل أهم « كيانات الغرب » بكاملها . الاسلوب الصحيح اذا اردنا ان ننقل في مجال الفلسفة مثلا ، ان ننقل « كيان » الفلاسفة الفكري بكامله غير مجتزأ ، ونقدم كل مؤلفات كبارهم للجمهور ، غثها وسمينها . فننقل « كنت » بأسره أو « سبينوزا » بأسره ؛ أو ننقل الماركسية بكامل صورها وكتبها الأصلية ؛ أو ننقل الفن في شتى مجاليه ، كاملة غير منقوصة . فخير ما نفعل ان نلجأ الى الينابيع الأصلية فننقلها، وخير ألف مرة ، في باديء الأمر ، ان ننقل « كنت » كله بدلاً من ان ننقل ما كتبه بعضهم عن « كنت » ولو كان هذا الذي كتبه ييسّر فهم الفيلسوف .**

ولهذا الموقف الذي ندعو اليه مبررات كثيرة :

منها اننا إذ ننقل افكار الغرب بكاملها ، في مؤسساتها كاملة نقوم بجهد فكري هائل للوصول الى شأوها . إذ النقل يستلزم الفهم العميق .. وبذلك نتمكن من العلو فوقها والابداع إبداعاً يتجاوزها ..

ومنها ان من أخطر الأخطار التي نقع فيها حين ننقل نتفاً من الأفكار لا « كيانات » كاملة ، اننا نقدم فكرة مغلوطة عن المفكر الذي ننقل عنه ، فنظهره احياناً دون ما هو ، ونظهره احياناً اخرى فوق ما هو ، ونفهمه كما نريد وكلا الشيئين ضار . والذي نلجأ اليه غالباً هو ان نظهر المفكر فوق ما هو ، إذ نتخير خير ما عنده ، ونعرض لآلىء فكره ، دون ان نعرض ما الى جانب هذه اللآلىء من نقائص كثيرة لا ينجو منها مفكر . وبهذا تتكوّن لدينا فكرة مغلوطة عن مفكري الغرب ، ونتصورهم خيراً مما هم ، ويزداد شعورنا بالانسحاق امام الغرب ، ويخيل الينا ان هناك فارقاً هائلاً في المستوى بين بعض تراث الغرب وتراثنا ، بين بعض مفكري الغرب ومفكرينا . ولا ندرك هذه الحقيقة المنصفة وهي ان لدى كل مفكر في العالم ، مهما يكن شأوه ، بعض الافكار القليلة القوية التي تخلق سمعته وتجعل منه مبدعاً ، الى جانب طائفة كبيرة من الافكار العادية او الضعيفة . وبنتيجة جهلنا هذه الحقيقة ، بسبب اطلاعنا على لآلىء المفكر وحسب ، نحقر مفكرينا وتراثنا ، حين لا نجد فيه الروعة فقط ، وإنما نجد فيه الى جانبها كثيراً من الدمامة والضعف ، وحين نظن ان هذه الظاهرة مقصورة على تراثنا . وحق لنا ان نظن ما دمنا لم نر الفكر الغربي في جميع قسماته ، واقتصرنا على رؤية قسماته البديعة .

ومن هذه المبررات التي تجعلنا ندعو الى نقل « الكيانات » كاملة لا مجتزأة ، ان كثيراً من الاخطاء التي نقع فيها عندما نفكر ونناقش مسائل الفكر ونبدي حيالها آراء واجتهادات مختلفة ، معتمدين على افكار الغرب في رأينا ، ترجع الى اننا لا ندرك من وجهات الفكر الغربي إلا وجهة نظر وحيدة او وجهات نظر محدودة ، ولا ندرك المشكلة في جميع جوانبها وصورها، لهذا ترانا طرائق شتيتة ، إذ كل واحد منا يناقش المشكلة من المنظار الذي اطلع عليه لدى المفكرين الغربيين والذي اطلع عليه دون غيره .. ومن هنا نكاد لا نتفق حول فكرة او حول فهم مذهب معيّن سياسي او فني او فلسفي ، لأن كلاً منا ينطلق فيه حسب حظه من العلم ورتبته من الاطلاع ، ولأن الاطلاع الشامل على اوجه المشكلات الكاملة غير ميسر لنا ما دمنا لا ننقل إلا فتاتاً ولا نقرأ الا فتاتاً .

يضاف الى هذا كله أن الموضوعات التي نتطرق لمعالجتها تأخذ شكلاً غير الشكل الذي نعرفه ، اذا ما تيّسر لنا هذا النقل لكيانات الفكر الغربي كاملة ولمؤسساته المبدعة . ان تخيّرنا للموضوعات لا يعود ، عند ذلك ، ذلك التخير الذي عليه اننا لا نملك عن الفكر الغربي اي ثروة سابقة منظمة ، والذي يجعلنا نكتب في اي موضوع ،دون ما نظر الى مرحلته الزمنية ، فنكتب اليوم في موضوع كتب بالأمس ،غير آبهين لما كتب ، ناظرين الى موضوعنا كأنه موضوع جديد . اذ من شأن اسلوب

النقل الذي نتحدث عنه ان يجعل امامنا زاداً فكرياً نهائيـاً ومهاداً ادبياً سابقاً،على اساسه نبني وننشيء موضوعاتنا،وابتداء منه نصدر في افكارنا. فما نني نُفني هذا الزاد وننسج حوله حتى نبلغ به شأواً من الابداع عالياً. أما ان نهبط حيناً ونعلو حينا ونصمت حينا ونتكلم حينا آخر، وننقل عن الغرب تارة ولا ننقل تارة اخرى، ونتحدث اليوم في موضوع حديثاً لا ندري ما مبرر انتقائه، ونأنف من مثل هذا الحديث في الغد فهذا كله تشتت فكري وبناء في فراغ ونسج حول شيء لا نواة له ولا لحمة. **ان نقطة البداية في كل مـا يمكن ان يقدمه المؤلف للجمهور ان يقدم لهم شيئاً يتساءلون عنه بطبيعتهم او يخلق في نفوسهم التساؤل عنه. وأول مقوّمات التساؤل ان تكون هنالك ابحاث غدت راسخة وافكار تمّ نقلها كاملة، تغدو هي موضع بحث جديـد مستحدث، ومنطلق جدل ومشكلات جديدة، ومجال حديث عنها من وجهات نظر مبتكرة وهكذا تستمر حركة الفكر متكاملة متعاليـة، ويخلق تراث ويخلق كيان..**

★

وبعد، هذه هي سبيل الابداع،في رأينا، فيما يتصل بموقفنا من الفكر الغربي؛ وهذه هي الطريق الوحيدة التي يمكن ان تقودنا الى تجاوز هذا الفكر الغربي والوقوف منه موقفاً مبدعاً. ولئن كنا قد وقفنا عند هذه المشكلة،مشكلة النقل عن الغرب، هذه الوقفة الطويلة، فلأنها اكبر مشكلة تواجهنـا في المرحلة الحالية، ولأن كل حديث عن الابداع لا يتعرض لها، حديث زائف يتهرب من المشكلة الاصلية. أو لم نعرّف الابداع منذ البداية انه تلاؤم مع متطلبات الحياة الاجتماعية الجديدة وتحسس بالاتجاه الذي يتمخض عنه المجتمع؟ أفلا يحدثنا كتّابنـا فعلاً عن فتات من الفكر الغربي كان حرياً بهم الا يجتزئوهـا هذا الاجتزاء المصطنع، وكان حرياً بهم ان يهدونا بدلاً منهـا عن بداية الطريق التي توصل اليها؟ أمن الجائز ألا يكون هنالك ترتيب معيّن في عرض افكار الغرب على الجمهور؟ وإن نعجب فنعجب حقاً ان يحدثنا كاتب عن فكرة في قمة الفكر الاوروبي، ونحن ما زلنا غير عالمين بعد ما في أودية هذا الفكر، وأن يصعد بنا الى شاهق الفلسفة ونحن لم نر قبل ذلك، الدروب المؤدية الى هذا الشاهق!

إن قضية الكاتب ليست قضية إمتاع ومؤانسة. انهـا قضية تكمن وراءها مسؤولية جسيمة. ولا يجوز لشراعه ان يمخر دون ان يعرف اين المسير والى أين المصير. وان كانت مسؤولية الكاتب جسيمة في كل فترة من الفترات، فهي في هذه الفترة من حياتنا، حيث القلق والحـيرة والتشتت، اشد ما تكون خطراً وأثقل ما تكون عبئاً. ولئن حـق لأمة استقر كيانها وقوي عودهـا ان تتوف في البحث وتسير فيه على غير هدى، فلا يحق هذا لامة ما يزال بنيانها ضعيفاً وما يزال جسمها هزيلاً غير قادر على ان يحوّل كل شيء، حتى الفوضى والتشتت، لصالحه وفائدته..

★

على ان هذه المشكلة التي وقفنا عندها هذه الوقفة ليست الوحيدة التي تواجه مسألة الابداع الفكري عندنا. ولن يتسع المقام للحديث عن المشكلات الاخرى. إلا اننا نود ان نشير الى واحدة من هذه المشكلات، لصلتها الوثيقة بالمسألة التي كنا بصدد الحديث عنها.

إن موقف كثير من مفكرينا من مشكلة النقل ذلـك الموقف الذي نقدناه، موقف من يعرض امام القراء المتفرجين قطعاً من صور مزوّقة ينقلها نقلاً غير واف، إن ذلك الموقف قد جعل من أهم أسباب عقم الابداع عندنا عقم الابداع نفسه. وقد تعجبون من تحصيل الحاصل هذا، غير انه عندنا ذو معنى جدير بالعناية: **ان انعدام الابداع، بنتيجة وقوف اكثر مفكرينا تلك الوقفة الذليلة السطحية من الفكر الغربي، أدى الى ظهور أدب هجين وفن هجين وفكر هجين، بدأ جمهور المثقفين يألفونه ويسيغونه، رغم انحرافه وضعفه، حتى أوشك أن يصبح هذا الفكر الهجين مقياساً يحكمون عن طريقه على كل ابداع.** لقد عودهم مفكرونا ذلك الاسلوب من البحث والتفكير، أسلوب الاجتزاء والنظرة العـابرة السطحية، فكاد يسري هذا الاسلوب الى نفوسهـم ويكوّن مقاييسهم الفكرية ومحاكماتهـم المنطقية عـلى غراره وطرازه، وكاد ينقلب الاسلوب الفاسد عندهم الى قاعدة ومبـدأ، وكاد ذلك الاسلوب من اجتزاء الفكر الغربي وإيراد النتف الفكرية المبعثرة، يصبح سنة تتبع، وقدوة تحتذى يتبارى فيها الكتّاب.

وهنا يكمن الخطر كل الخطر: ان يصبح الهجـين هو الاصيل، وان يغدو الطريق المنحرف هـو الطريق الأمَم، وان نتذرع بعد ذلك، إذا ما نقد ناقـد سلوكنا الذي نسلك،

باننا نلبي رغبة الجمهور وحاجة القراء .. ونحن الذين نخلق لدى الجمهور هذه الرغبة الملتوية ، بتجريعه إياها قطرة قطرة ، ونحن الذين نثنيه عن حاجته الحقيقية .. ومع ذلك ، فنحن نعتقد ان أكثرية الجمهور لم يحدث لديها بعد هذا الانحراف في تذوّق الفكر ، وإن كان قد أصاب طائفة قليلة من المثقفين . **ونرى على أية حال ان ارضاء الجمهور لا يكون أبدا بالهبوط الى مستواه ، وانما يكون برفعه الى المستوى الذي نريد واعطائه أحسن الأطعمة** . وواقع الجمهور يكذّب دوماً زعم من يتذرعون بضعفه فيما يقدمون من نتاج ضحل وافكار وتوجيه .. انه يثبت في شتى المناسبات انه قادر على إدراك الابداع الحقيقي وتفهم الوثبة الجديدة بحدسه وذوقه السليم ، وفطرته غير المشوبة . او لم تثبت الحياة السياسية في بلادنا ان فساد الجمهور راجع الى فساد القيادة ، لا العكس ، وانه إذا ما عرفت هذه القيادة حقيقة مطالبه استطاعت ان تُخرج منه الخير الكثير ، واستطاع هو ان يسيغ افكاراً يتخيّلها الزعماء في البداية عصية على فهمه وإدراكه ؟

ويروق لنا ان نقارن موقف المفكر من الجمهور بموقف الراشد من الطفل . إن الشائع لدى أكثر الناس ان الاطفال لا يسيغون الادب الرائع ، وينبغي ان نقدم لهم أنماطاً ضعيفة هزيلة من الادب والخيال والاساطير تناسب ، في زعمهم ، قواهم الغضة اليافعة . غير ان الوقائع تبين ، كما بيّن « اناتول فرانس» في مؤلفه الشيّق « كتاب صديقي Le Livre De Mon Ami » ان الاطفال يمجون ذلك النوع من الادب الرخيص الذي يقال إنه صنع لهم خاصة وكُتب من أجلهم ، وأنهم ، على العكس ، يهتزون للأدب الرائع ، للفكر البديع المبدع . ومثلهم الشعب : إنه لا يطلب الغذاء الفكري الفقير . وإنّ زعم بعض المفكرين واتهامهم إياه بتقصيره عن إدراك الفكر المبدع الحق هو في الواقع ضرب من الاضفاء projection ! أعني أنهم يرون في الجمهور ما في نفوسهم من عجز وتقصير . **ان الجمهور عطش الى الابداع الحق ، وانه يعرف أن ينساق وراء من يهزّ أعماقه ويخاطبه بلغة الحياة ، بلغة الحقيقة ، بلغة الجد** . إن الجمهور أيضاً يفهم أن الابداع يكون بالتلاؤم مع مطالب الحياة الجديدة ، يكون بسلوك سبيل رصينة جدية في فهم مقتضيات المرحلة التاريخية التي تجتازها الامة . ما هو « ببغاء عقله في أذنيه » على حد تعبير شوقي . إنه يستطيع أن يرى ولكنه في حاجة الى من يعرض أمام عينيه ما يستحق أن يُرى وما يأسر نظرته وانتباهه .

وكم يضلّ اولئك الذين يقدّمون للجمهور في الاذاعة وبعض المجلات ذلك النوع من الأدب الرخيص ، زاعمين انه لا يسيغ غيره . ولو سألوا هذا الجمهور لأجابهم أنه لا يسيغ شيئاً مما يدعون أنه موجّه اليه وإنه يعرف ان هذا هزل ، ولأجابهم بأن المحاولات المتكررة لأفساد ذوقه وفكره ما زالت عقيمة ولم تؤت بعدُ أكلها . ولكن ما نخشاه هو ان تثمر هذه المحاولات بعد لأي ، وان ينفُذ ذلك الأفيون المخدر إلى عقول الجمهور ، فيستسيغ ما عُوّد عليه ، ويغدو عنده قاعدة واصلاً ، كما ذكرنا . وهنا تبرز مسئولية المفكرين من جديد وهنا يفهم كل منهم ان كلمةً يقولها ينبغي ألا يعدها كلمة تذهب مع الريح وعبثاً ما يلبث ان يُنسى ، وإنما هي كلمة توجّه وتغرس ، وقد يثمر غراسُها ، على سوئه ، فيغلُّ للمجتمع بلاءً وشراً ...

واخيراً ليس المبدع من يأتي بالمعجزات أو ينتظر هبوطها ؛ إنه من تحرر من قيود أسلوبه الذي ألفه ، وانطلق من إسار عاداته الفكرية المستشرية ، وصارع ذاته وأنانيته العقلية ، لينخرط في حياة أمته ومجتمعه ، يقبس منها وحيه ، ويدرك من خلالها حقيقة المهمة التي تنتظره ، ومطالب المرحلة التاريخية التي عليه ان يحمل عبء قيادتها وتوجيهها . إنه لا يفكر ليجتر افكاره ويستمتع بها ويتأملها تأملاً نرجسياً مرآوياً ، ولا ليبهر بها العقول الساذجة ، ولا يشوّه بفضلها ذوق الجمهور ويستدرجه الى الانحراف . إنه يعرف ان ينسلخ من إهاب كل هذه العادات الفكرية ، وان ينضو عنه صلابة موقفه وإلحاف نمط من التفكير سيطر عليه . إنه كائن حيّ يساير منطق الحياة ، منطق التكيّف المتجدد ؛ ويجعلُ من التكيف مع ما يُرهص به المجتمع ويتوق الى ظهوره شرعةَ إبداعه وموقد ابتكاره .

إن معنى العزم على أي شيء ، فكراً كان أو عملاً ، هو كما يقول « لوسين Le Senne » ان يعي صاحبه ان الفعل الذي يصدر عنه لن يُدخل العدم ، بل يُدخل قيمةً من القيم .

دمشق — **عبد الله عبد الدائم**

رأيي في مؤلفاتي

جواب الدكتور طه حسين

سيدي الاستاذ الكريم رئيس تحرير «الآداب»

تحية طيبة ، اما بعد ، فقد تلقيت سؤالك ، واؤكد لك اني لا اجد فيه من الحرج قليلاً او كثيراً، لشيء يسير جداً، وهو أن كتبي السابقة لا تعنيني.

فأنا لا افكر فيما اصدرت ، وانما افكر فيما احب ان اصدر .

فليس لي اذن رأي في كتبي إلا انها تصور عقلي وشعوري حين امليتها. فأما بعد ان يأخذها القراء ، فأمرها اليهم والى الله . وأنا على كل حال احتمل تبعاتها بالطبع .

وتقبل مع اصدق تهنئتي بالعدد الجديد من مجلة « الآداب » أخلص تحياتي وأماني .

جواب الاستاذ ميخائيل نعيمه

سأسهل على نفسي الجواب فأعتبر كتبي « السابقة » تلك التي ألفتها في المهجر ، وهي : (الآباء والبنون) و (الغربال) و (المراحل) و (كان ما كان) و (همس الجفون) فهذه الكتب الخمسة هي بواكير غلتي الادبية. وأغلب الظن ان واضع السؤال إنما قصد به الوقوف على آراء المؤلفين في بواكيرهم التي كثيراً ما يتنكرون لها أو يخجلون بها من بعد ان يستكملوا عدتهم ويبلغوا ذروة تفتحهم العقلي والروحي والفني .

وانه لمن الانصاف لبواكيري ان اذكر القارىء بانني فُطمت عن العربية وديارها وأنا في السادسة عشرة من عمري. وبقيت لسنوات طويلة بعد ذلك ادرس واطالع في لغات لا قرابة بينها وبين لغة الضاد ، وأعيش في بلاد تفصلها عن الاقطار العربية محيطات وقارات . فلا عجب اذا استبدت القوالب الفرنجية بذوقي الى حين فسحت اولى كتاباتي — من حيث القالب في الاقل — بمسحة غير يعربية . إلا ان هذه المسحة أخذت تتلاشى شيئاً فشيئاً كلما عادت الصلات فتوثقت بيني وبين العربية وابنائها .

والى القارىء رأيي الصريح في الكتب التي ذكرت :

الآباء والبنون : هي مسرحية كتبتها في ثلاثة اسابيع اثر تخرجي من الجامعة سنة ١٩١٦ . وقد نشرتها مجلة « الفنون » في اعداد مسلسلة ، ثم اصدرتها كتاباً عام ١٩١٧ . ونفدت طبعتها الاولى من زمان . فما فكرت في اعادة طبعها من غير ان اجري فيها الكثير من التحوير والتعديل. وخشيت إن أنا تناولتها اليوم بقلمي وفكري وذوقي ان تخرج من يدي ولا نسابة بينها وبين الاصل اكثر من الاسم . فالحوار — فصيحه وعاميه — طويل . والفصيح منه لا يخلو من المسحة الاجنبية التي حدثتك عنها. وضننت ببواكورتي تغدو بين مؤلفاتي اسماً لغير مسمى . فكان من ذلك كله، ومن الحاح نفر من اصدقائي وقرائي ، ان عدت فأصدرت في العام الماضي طبعة منقحة منها. واليك فقرة من المقدمة التي وضعتها لتلك الطبعة :

« إلا انني ، وهذه الرواية محصية في عداد مؤلفاتي، وموضوعها ما نصلت جدته بعد ولن تنصل ، وفيها من دقيق التحليل والتصوير ما يشفع بأماكن الضعف فيها ... عدت فألقيت عليها نظرة سريعة . فحذفت وأضفت من غير ان امس جوهر الموضوع، او اغير في تصوير الاشخاص ومساق الحوادث . وما شئت ان اتمادى في التغيير والتبديل مخافة ان تخرج الرواية وكأنها مخلوق جديد ... »

وهكذا ترى انني ما حكمت على هذه الباكورة المتواضعة بالاعدام . فهي ، في نظري ، ما تزال حرية بالبقاء . وأنا راض بها شاهداً لي او علي يوم الحساب .

الغربال : لا شك في ان هذا الكتاب مهد السبيل للنقد الفني وللنهضة الادبية الحديثة. وكان له اثر مشكور في تكوين الذوق الادبي عند الاجيال الجديدة . وقد اعيد طبعه حتى اليوم ثلاثاً . وقريباً يشهد طبعته الرابعة . وهو امتن عبارة ، وابعد غوراً من سالفه . ولو شئت اليوم ان اعيد النظر في مقالاته لما بدلت في بعضها حرفاً ، ولسكبت الآخر في قوالب جديدة . إلا انني آثرت ان يبقى على ما كان في طبعته الاولى . وأنا ، وان تغيرت اليوم نظرتي الى النقد والناقدين، لا ازال عند الكثير من الآراء التي ابديتها في (الغربال) حول الأدب واللغة بوجه عام، وحول بعض الكتاب والشعراء الذين تناولهم الكتاب بوجه خاص .

لقد مر اربعون عاماً بالتمام على المقال الاول الذي كتبته في النقد وضمنته فيما بعد الى مقالات (الغربال) . وكتاب من هذا النوع يعيش اربعين حولا ولا يصاب بتصلب الشرايين ، كتاب لا يحق لمؤلفه ان يندم على تأليفه .

المراحل : في (الغربال) — وهو كتاب نقد صرف — ومضات اذا تفحصها الناقد الحذق تبين منها الاتجاه الذي كان محتوماً ان تفرضه على طبيعتي في المستقبل. وهذا الاتجاه بدت بوادره في مقال (ثلاثة وجوه) و (موعظة الغراب) وغيرهما من المقالات التي يحتويها كتاب (المراحل) والتي كتبت جميعها في المهجر ونشرت في لبنان على اثر عودتي الية عام ١٩٣٢ . و (المراحل) عندي بمثابة الحادي لقافلة المؤلفات التي وضعتها بعد أوبتي من هجرتي . ولأن له مثل تلك القيمة في حياتي ما شئت ان اغير فيه شيئاً عندما طبع للمرة الثانية . ولا اعني ان لا مجال للتحسين في سبكه ونهجه . وأعني انه بناء قائم بذاته . فمن الخير تركه وشأنه .

كان ما كان : هذه مجموعة قصص كتبت الاولى منها وهي (العاقر) عام ١٩١٥ والاخيرة وهي (ساعة الكوكو) عام ١٩٢٥ . والمجموعة اليوم في طبعتها الثالثة . وهي ، على ما يبدو ، لا تزال تماشي اذواق القراء، وتماشي الزمان على خير حال. ولا بد لي من الاعتراف بانني لو تناولت بعض قصصها اليوم لغيرت في سبكها وهندامها . إلا انني أؤثر ، اكراماً للتاريخ ، ان ابقي القديم على قدمه ، إلا حيث يصبح ذلك القديم قذى في العين وثقلاً في الاذن ، وعثرة للفكر ، ومتعبة للقلب . وليست اي القصص في (كان ما كان) من هذا النوع .

همس الجفون: وهذه مجموعة شعرية ضمنتها كل ما نظمته بالعربية مع ترجمة نثرية لبعض منظوماتي الانكليزية . وأقدم قصيدة فيها هي (النهر المتجمد) . فهذه نظمتها اولا باللغة الروسية سنة ١٩١٠ وكنت لا ازال طالباً في بلاد الصقالبة حيث الانهار تتجمد في الشتاء . وقد ترجمتها الى العربية في نيويورك عام ١٩١٦ . فكانت شبه فتح جديد في عالم الشعر العربي . وتلتها قصيدة (أخي) فتناقلتها الصحف في المهجر وفي دنيا العروبة .

تنهج المجموعة نهجاً جديداً ان من حيث تعدد القوافي في القصيدة الواحدة،

الآداب تستفتي

« ما رأيكم في مؤلفاتكم »

انه سؤال لا يخلو من احراج ، ولكننا نرجو ألا يحول ذلك دون الاجابة عنه

او من حيث تزاوج الاوزان ، او من حيث الموضوع. ففيها الغزل–ولكن من غير ذكر الخدود والنهود، والعيون والجفون، والوصل والصد، والعقاب والعذاب . وفيها الفرح – ولكن بدون الرقص والقهقهة . وفيها الحزن – ولكن بغير التفجع والدموع . وفيها الفلسفة – ولكنها فلسفة تساوقهـــا الموسيقى ، ويلطف من جفافها تعاقب الظلال والانوار والالوان . وقد احسن محمد مندور في كتابه (الميزان الجديد) اذ اطلق على هذا النوع مـــن الشعر اسم (الشعر المهموس) . فهو لا يصخب ، ولا يضج ، ولا يتبجح ، ولا يلعب بالشموس والاقار لعب الاولاد بالأكر . بل يسير الى هدفه سير الجدول المطمئن ، الهادىء الى البحر .

لست اجهل ما عندنا اليوم من «مدارس» شعرية . وكلها يقول لك بمنتهى الوقاحة : هكذا يجب ان يكون الشعر. مثلما لا اجهل ان هنالك شعراء لهم من سرعة الخاطر ، وجودة السبك ، ورشاقة الاداء ، وقدرة التلاعب بالألفاظ والقوافي أضعاف ما لي . إلا انني ما نشرت (همس الجفون) لأقول للناس : « هكذا يجب ان يكون الشعر » . ولا لاباهي ببراعتي في التلاعب باللغة والاوزان والقوافي . ونشرتها واثقاً من ان طريقها لن ينتهي عند هذه الساقية او تلك الأكمة من سواقي الازياء الشعرية وأكماتها .

ذلك هو رأيي في كتبي السابقة . أمـــا الرأي الاخير – والأصح – فللزمان وحده .

جواب الآنسة نازك الملائكة

ماذا يمكن ان يكون رأي شاعر في ديوانين له صدر آخرهمـــا منذ خمس سنوات ؟

الأمر فيما أرى يتوقف الى حد كبير على مدى التطور الذهني والنضج العاطفي الذي اكتسبه الشاعر في السنوات التي تلت انتاج هذين الديوانين . فاذا كانت ثقافته ما زالت نامية، وحواسه الجمالية سائرة الى الاتساع والاقتراب من الدقة ، كان لا بد ان يعدل هذا احكامه على شعره السابق اجمالا فيحيد بها عن الرضا . وقد يدخل فيها شيئاً من القلق والميل الى اعتبار القصائد اعمالا غير ناضجة .

ولعل هذا هو السبب في موقفي الحـــالي من شعري في « عاشقة الليل » و « شظايا ورماد » فأنا الآن املك قدرة كاملة على معاملتهما معاملة موضوعية خالصة وقد أتناولهما بالنقد الشديد في كثير من قلة الاكتراث ، وكأنهما لم يشغلا حياتي الى آخر حماسة فيها سنوات طويلة . ولم يكن هـــذا البرود الموضوعي في وسعي يوم كتبت القصائد ، فقد كنت اذ ذاك اعيش في حدود المقدرات التي انتجتها وحشدت لها قواي الذهنية والعاطفية جميعاً .

وقد يلوح موقفي هذا مناقضاً لما يعرف من جنوح المرء الى تبرير أعماله وتنزيهها عن الخطأ والضلال، فالمرء لا ينتقد نفسه على اعتبار انه يملك تصحيح موقفه اذا اراد ، وهذا هو القانون . على ان حالتنا هذه لا تخرق القاعدة الا على صورة ظاهرية . فمن الذي يوجه النقد في حالتي ؟ أهي عاشقة الليل تنقد عاشقة الليل ؟ كلا . لأن عاشقة الليل بعواطفها وافكارها وكآباتها قد مضت مع عـــام ١٩٤٧ وانا الآن انسان آخر يكاد لا يرتبط بالفتاة الأخرى الا بالذكرى . والزمن قد اضاف الى عاشقة الليل اضافات واسعة عميقة في جهات مختلفة فغير طباعها وملأ ذهنها بثقافات جديدة واغنى حياتهـــا الداخلية بمئات الخبرات والتجـــارب والصور ، ورسم ونحت حتى صنع بضعة اشخاص في مكان الفتاة القديمة التي عاشت سنة ١٩٤٧ .

ومن بين هؤلاء الاشخاص المتعددين في داخل النفس ينبري واحد يسلط احكامه على الواحد السابق في برود وقلة اكتراث . وهذا الشخص الجديد يعد نفسه اقرب الى النضج من الاشخاص السابقين ، لأنه يعلم أية تجارب قد مرّ وأية امتدادات جديدة قد اكتسب .

وهكذا يبدو ان الزمن هو الذي يصنع علاقاتنا بالاشياء ، وان الحقيقة نسبية الى حد كبير . فما نظنه اليوم مثلاً عالياً للجمال قد يصبح خلال السنين القادمة فجاً في نظرنا . والأمر يتوقف على مدى نمونا وحيويتنا ونضجنا .

ان اكداس الأفكار والتجارب والمواقف التي تضاف الى حياتنا تمنحنا قمماً جديدة نشرف منها على الاشياء ، فتتغير نظرتنا الى الوجود ، ونكتسب آراء وحماسات جديدة وتتسع النقطة التي تربطنا بالموضوعات، وهذا هو الذي يمنحنـــا الحرية في نقد انفسنا نقداً موضوعياً ترتفع فيه درجة حساسيتنـــا بعيوبنا واخطائنا .

جواب الاستاذ سلامة موسى

ألفت نحو خمسة وثلاثين كتابا . وهـــذا غير اكثر من اثنتي عشرة سنة اصدرت فيها (المجلة الجديدة) . وغير مجلات اخرى اسبوعية منها (المستقبل) سنة ١٩١٤ . ومنها (المصري) سنة ١٩٣٠ .

ولست راضياً كل الرضى عما ألفت من كتب او اصدرت من مجلات. وذلك لأني كنت مقيداً بقوانين تحظر حرية الفكر. بل كذلك كنت هدفاً لاضطهاد المستبدين والمستعمرين الذين كانوا يمنعون طبع مؤلفاتي أو يخطفونهـــا من المكتبات او يعتقلونني .

وهناك كثير من الموضوعات الثقافية والانسانية كنت احب أن اثيرهـــا وأؤلف عنها ولكني نكصت ازاء هذه القوانين وهؤلاء الانذال مـــن المستبدين والمستعمرين .

وكذلك يجب ان اعترف ان الموجات الرجعية التي ظهرت منذ نحو عشر سنوات في مصر ، وهي التي اتخذت ايضاً اسلوب العنف والبطش بدلا مـــن الاقناع والجدل ، هذه الموجات قد جعلتني اتردد كثيراً في التأليف الحر .

فقد اعتقلت في ١٩٤٦ بتهمة الشيوعية . وفي يوم الجمعة الماضي أي ٢٥ من ديسمبر ١٩٥٣ اتهمني الدكتور طه حسين في جريدة الجمهورية باني شعوبي أي اني اكره العرب . وذلك لأني قلت ان الادب العربي القديم هو ادب الملوك والامراء وليس ادب الشعب ، ادب الترف وليس ادب الكفاح .

وليس سهلا على الكاتب المصري ان ينتج اذا كان يتهم في السياسة بالشيوعية وفي الادب بالشعوبية . ولم يبق بعد ذلك الا الاعلان باني منبوذ .

ومع كل هذا استطعت ان اؤلف بعض الكتب الحسنة. ولكن كان يمكن ان تكون احسن مما هي لو اني كنت قد وجدت المناخ الحر الذي لا يعارض الشرف والنزاهة والانسانية .

وقد كان مناخنا ، بحكم المستعمرين والمستبدين ، يعارض كل هذه الفضائل ويدعو الى الرذيلة والخسة والنفاق في الأدب والصحافة .

لقد ألفت كتابي « تربية سلامة موسى » وهو طراز في أدب الترجمـــة الذاتية . كتبته باحساس العقل وتفكير القلب عن حياتي ومحاولاتي في تربية نفسي . وظني ان المثقفين قد انتفعوا منه . وربما يكون هـــذا الكتاب أحب الكتب الي .

ولكن انفع الكتب للقراء هو « نظرية التطور وأصل الانسان » . فأني ألفته عن قصد وهو أن أحطم به الغيبيات التي تفصل بين المسلمين والمسيحيين واليهود . وظني اني نجحت في ان اقطع بعض الامتار في الرحلة الطويلة الى الهدف الاخير نحو ايجاد مجتمع عصري وقيم انسانية .

وأنا أعد نفسي ، كما وصفني صديق ، باني « سكرتير الحضارة الاوربية »

في مصر . فأنا ادعو اليها . ولكني لا اعمى عما فيهـا من توحش واستعمار واستغلال .

أنا ادعو الى الحضارة الاوربية في نظام اشتراكي . ولكني لم اؤلف كتابا في هذا الموضوع لأن المناخ الذهني لم يكن ليسمح لي بذلك . واعتقادي اني مستطيع اخراج هذا الكتاب بعد سنة او سنتين .

ولكني ارجو القراء ألا يفهموا اني كاتب ناجح،مقروء مثل اولئك الكتاب الذين تباع مؤلفاتهم بعشرات او مئات الالوف في كربلاء . او اولئك الذين مدحوا فاروق وقبلوا يديه فنالوا الجوائز والالقاب والاموال .

ولست آسفاً على هذا . فاني كاتب يساري أي معارض للعصر الذي اعيش فيه والذي احاول ان أغير عاداته – عادات العيش وعادات الذهن معاً .

لقد ذكرت اثنين من مؤلفاتي . اما الباقي فأتركه لحكم القراء .

جواب الاستاذ ذوالنون ايوب

ما اخطأتم عندما ذكرتم في رسالتكم ان السؤال لا يخلو من احراج ، بل والأصوب ان تقولوا بانه محرج كل الاحراج . فما عسى ان يقول كاتب عن كتبه وآثاره ؟ أيتواضع فيقول انها لا شيء ؟ أم يتبجح فيدعي انها كل شيء ؟ وتسألني أيها الاستاذ عن كتبي ، أو لدي كتب حقاً ؟ لا ريب في اني قد نشرت ما يقارب الاثنتي عشرة مجموعةمن الاقاصيص بعضها يضم ست اقاصيص وبعضها عشراً ، وقصتين طويلتين يمكن أن تسميهما كتيبين ، ونشرت غير ذلك عدداً كبيراً من المقالات والآراء في مختلف المجلات والصحف قد تكوّن كتاباً محترماً ، حجماً، لو جمعت. فما عسى ان أقول عن كل هذا عندما اسأل مثل هذا السؤال ؟ الحيرة لا تجدي ولا مناص من الجواب . على ان كل ذلك لا يمنعني من ان اتوخى الصدق في الجواب، شأني في كل بحث اسطره ، أو قصة اضعها، او جواب على سؤال. ولنبدأ بالحافز الذي دفعني الى الكتابة، فأقول انـه دافع اجتماعي بحت . واليك قصة تورطي بانخراطي في زمرة الكتاب . لقد كانت المواضيع العلمية تستهويني في دراستي المدرسية ، وهذا ما دفعني الى تدريس الرياضيات في دراستي العالية. ولكنني كنت بنفس الوقت مولعاً بالأدب ، وبقسم القصة بصورة خاصة ، فكانت قراءة الكتب الادبية والقصصية كل ما يشغل وقت فراغي من يوم ان تعلمت القراءة والكتابة ، باللغتين العربية والانكليزية . ولقد كنت كثير الملاحظة والانتقاد لكل ما يمر بي في حياتي اليومية . وقد حدث في حياتي فيالوظيفة ان اصطدمت ببعض الجهات الحكومية اصطداماً نبهني ، بل ايقظني ، واقنعني ان الكثير مـن المتناقضات في المجتمع وفي منطق رجال الحكم يرجع الى عوامل جذرية تكاد تنظم كل نواحي الحياة عندنا ، فأثارني ذلك وأوجد فيّ الرغبة في التعبير عن هذه الثورة ووجدتني فجأة وبصورة غير اختيارية تقريباً ، أعبر عن آرائي وخلاصة تجاربي وانتقاداتي في كتيبات رخيصة الثمن ، سهلة التداول ، قريبة الى الافهام ، فيها ما يغري على القراءة. وهكذا كان من الطبيعي ان اسجل انفعـالاتي وانطبـاعاتي وتمنياتي وآرائي باسلوب قصصي فيه متعة وفائدة، وهذه الاقاصيص لا تتناول افراداً بل نماذج وحالات عامة .

وكان شعاري في كل ذلك الصدق ، اولاً ، الى حد التعرض للخطر ، والامانة ، ثانياً ، الى درجة ان توهم بعض النـاس ان المقصود بما اكتب اشخاص معينون بالذات ، حتى استعار بعضهم اسماء قسم من شخصيات قصصي فأطلقوهـا على أناس متنفذين معروفين ، فجعلوني محط نقمتهم . والبساطة والوضوح وقوة الايمان ، ثالثاً ، الى حـد التأثير العميق في نفوس عدد لا يستهان به من القراء ، بل في نفوس كل من قرأها تقريباً ، ولست اتبجح اذ اقول ان رائدي كان ، وما زال ، حسن النية والشعور بالواجب كفرد يعيش في مجتمع . فما استفدت ممـا كتبت ، لا مالاً – هذا اذا لم اقل باني خسرت بسببها مالاً – ولا مركزاً ، لأن السلطات صارت تنظر الي بحذر شديد ، مما جعلني في مؤخرة اقراني ورفاقي في الخدمة . أما المتاعب فحدث عنها ولا حرج ، وتوجت هذه المتاعب بالضجة التي اثيرت حولي .

فقد قال أناس : هذا رجل يقحم نفسه فيغير اختصاصه ، وقال آخرون هدام ماهر يعرف كيف يتجنب الخطر ، وقال البعض وصولي يطلب الشهرة، وأخيراً توهم بعض السذج من المتأدبين بأني اتبوأ عرشاً : فأرادوا ان ينزلوني عنه . فاستعان بعضهم بالشتم والسباب،والتجأ آخرون الى التفلسف والتحذلق والدعاوى الطويلة ، ووجد قسم منهم ضالته بالنقد المستمد من مبادىء بعض الاتجاهات المنحرفة في الفنون الحديثة . أن بعض هؤلاء النقاد يقيسون فنون الادب بمقياس فنون التصوير والموسيقى ، ناسين ان للادب مجالات اوسع لأنه لغة المنطق والعقل والفكر ، فاذا ما ولد الأدب فكرة عند القارىء فلأن ذلك من ميزاته ، واذا ما وجد فيه موضوع فلأن ذلك من حسناته .

وقد غالى بعض هؤلاء النقاد الى حد ان حتموا على الاديب الخلو من الاتجاه السياسي ، ناسين ان الأديب بل والمصور والنحات والموسيقار ايضاً يتكامل بتكامل ثقافته ، وأن من أهم نقائص المثقف ، في الوقت الحاضر ، وفي كل حين ، ألا يعلم الى اين يسير هذا العالم الذي هو احد افراده ، ولا يدري ما يضر الدنيا وما يفيدها ، فتراه يتجاهل فلسفة المبادىء والمذاهب السياسية ، بدعوى الترفع والسمو . لقد ذكر سلامة موسى في جواب على استفتاء نشر في هذه المجلة ، ان الاديب لا يكون انسانياً اذا لم يكن اشتراكياً. فتعجب ناقد معروف من هذا عجباً كبيراً ، تعجب ان يقول ذلك كاتب كبير كسلامة موسى . أما انا فأتعجب الا يقول ذلك رجل كسلامة موسى ، ما دام يسمى كاتباً كبيراً . ان الفنان غير الموجه لا يساوي اكثر من منظر عابر خال من الحكمة والعقل ، وان المعاني وما تستهدفه من سمو هو ما يخلد الفنان . ان الاساليب تتغير وتفنى ، ولكن الآراء الصائبة هي الاحجار في بناء الحضارة في العالم . والفنان الذي غايته المتعة المجردة والتسلية الفجة ، لا يختلف كثيراً عـن مرقص قرد او دب . واحب ان اذكر بأني اتمنى ان اكون من زمرة الفنانين الواعين،واني لسائر على الطريق بقدر ما تستطيع حملي قدماي . ولكني لن ابتعد عن فهم الجمهور بقصد التعالي والخلود ، ولا اريد ان أسف في التعبير الى حد الوقوع في فوضى اللغـة العامية بدعوى التصوير الصادق والتجدد . ولا اجمع بين هذين النقيضين بدعوى اتبـاع احدث الأساليب في الكتابة . لست إلا عنصراً في مجتمع منـاضل على قدر طاقته ، في سبيل حياة افضل ، بالأسلوب الذي يحسنه ويشهد الله اني لا اروم شهرة او خلوداً ، وانما الأعمال بالنيات والسلام .

جواب الدكتور عمر فروخ

تنقسم كتبي قسمين رئيسيين: الكتب التي قصدت تأليفها اقتناعاً بوجهةنظر او بعد درس خاص ، وهي : ابو تمام – حكيم المعرة – اخوان الصفا – ابن باجه – التصوف الاسلامي – التبشير والاستعمار في البلاد العربية . ثم هنالك كتب دعتني الى تأليفها مقتضيات التدريس . من هذه الكتب : الحجاج بن يوسف – عمر بن ابي ربيعة – الرسائل والمقامات – احمد شوقي – ابن خلدون – الفارابيان – بشار بن برد – ابن طفيل وسواها .

اما كتب القسم الاول ففيها جهد خاص : إن منها ما اقتضى سنتين مـن العمل المتواصل ككتاب (ابو تمام) وكتاب (اخوان الصفا) ؛ وبعضها احتاج الى عشر سنوات من العمل المتقطع مثل كتاب (التصوف الاسلامي)

– التتمة على الصفحـة ٧٨ –

الشخصُ الثاني

لو جئتَ غداً وعبرت حدود الأمس الى غدي الموعود
وشدا فرحاً بمجيئك حتى المعبرُ والبابُ المسدود
ولقيتك أبحث فيك عن المتبقّي من أمسي المفقود

لو جئتَ ولم أجد الماثل في ألحاني
وأطلّ على روحي منك الشخص الثاني

★

الشخص الثاني ، من أعماق شهور التيه المطموره
حاكته دقائق تلك الأيام الجانية المغروره
وترسّبَ في عينيه تثاقلُها ورؤاها المذعوره

وسأبحث فيك عن الماضي في اطمئنانِ
فيفاجىء لهفتيَ الحرّى الشخص الثاني

★

وهناك على الوجه الحسّاس الحيّ الصمت أرى ظلّين
ومكانَ الواحد في عينيك المرهفتين أحسُّ اثنين
ويقابلني الشخصان معاً وسدىً أرجو فصل الضدين
وسأسأل عما خلّفه لي عامانِ
من وجهك ، والردّ جبين الشخص الثاني

★

وسيسكن هذا الشخص الثاني الأحمق حتى في البسماتْ
سيمدّ برودته في رقة صوتك في لين النبرات
وسيرمقني في خبث مختبئاً حتى خلف الكلمات

ولمن أشكو هذا المخلوق الشيطاني
والأول فيك محتْهُ يد الشخص الثاني ؟

بغداد **نازك الملائكة**

العَوْدة

... وأطلَّ وجهك مشرقاً من خلف عـام
عام طويل ظل في عمري يدبّ كألف عام
عام ظللت اجرّه خلفي وازحف في الظـلام
وعواصف ثلجيـة تصطك حولي ، والطريق

كانت تضيق كأنها امل يضيق
ويضيـع في تيه القتام

★

عام طويــل ظلّ يفصلنا به بحرٌ صموتْ
بحرٌ دجتْ امواجـه وتجمّدتْ ؛ بحرٌ تموت
فيه الحياة وتغرق الخلجات في برد السكوت ..

وانا على الشط الأصمّ
انا والفراغ وليل وهمي
اصغي لعلّ صدى يمرُّ

بي ، علّ شيئاً منك ــ همسٌ ، نبأةٌ ــ شيئاً يمرُّ
بي منك عبر مدى السكوت
لا شيء إلا وطـأة ثقلتْ وصمتٌ مستمرُّ

★

عام ؛ ودبتْ بعـده في البحر معجزة الحياه
لم أدر كيف ؛ هناك رفّتْ بغتة فوق المياه

وهفتْ حمامه !

زرقاء .. في طهر السماء ، هفتْ إليّ على غمامه
وطوتْ جناحيها وقرّتْ في يديّهْ

ورنتْ اليّهْ
وتنفّستْ دفئاً وعطرا .
وشممتُ فيها منك شيئا هاجني وجداً وذكرى
فمضيتُ ألثم ريشهـا
وجعلتُ صدري عشّها
وشعرت انك عدت ، انــك في الطريق !
واجتاحني فرح الغريـق
حضنته شطآن النجــاه

★

وأطلّ وجهك من بعيدِ
حلواً يرفّ على وجودي
ورأيت احزاني تموت عــلى تعانق راحتينا
وأضاء في فمـك ابتسام
البسمة الجذلى الــتي احببتُها منذ التقينــا
عادت تضيء كأنها قلب النهار
وتصبّ في نفسي فيشربها دمي
ويعبّهـا قلبي الظمي
ونسيتَ آلامي الكبار
ونسيت في سكر اللقــاء عذاب عــام
عام طويل ظل في عمري يدب كألف عـام

نابلس — **فدوى طوقان**

العرب ودراسة تاريخهم

بقلم الدكتور نبيه امين فارس

– ١ –

عندما سئلت (١) ان أبحث قضية « تنمية اهتمام الشباب العرب بتاريخهم » كان اول شيء تبادر الى خاطري ان هذا السؤال ، بصيغته الحالية ، غير صحيح ، ولا يتفق مع واقع الحال . ولم يكن هذا الذي تبادر الى خاطري ابن ساعته وإنما هو وليد تفكير جدي ، طويل ، في جميع نواحي هذه القضية . فالمسلمون ، عموماً ، مهتمون بتاريخهم اعظم الاهتمام ، معنيون به كل العناية ، وهم يحيون تاريخهم هذا ، ويعيشون حوادثه ، كانها حوادث الامس القريب .

وسبب هذه الحالة الغريبة ان التاريخ الاسلامي (٢) مرتبط بالدين الاسلامي ارتباطاً وثيقاً . والاسلام حي بآثاره المتخلفة عن عهود ماضيه المشرقة ، وبشعائره التي يمارسها المسلمون . ولا بد للشاب المسلم من ان يلم بشيء من التاريخ الاسلامي عن طريق الدراسة الاولية التي قد تتاح له ؛ وعن طريق الوعاظ والمرشدين من رجال الدين ، وعن طريق الاحتفالات التقليدية بذكرى المولد النبوي ، وعاشوراء ، وسواهما من المناسبات الدينية ؛ وعن طريق هذا القصص الشعبي الذي يغرم به العامة ، والذي يتصل بالتاريخ العربي القديم من قريب او من بعيد ، وعن طريق الأدب العربي القديم الذي يقبل عليه العامة والخاصة بشغف عظيم . لقد كاد اهتمام العرب بتاريخهم القديم ، وانصرافهم الى التفكير في الماضي ، ان يكون حالة مرضية . (٣)

وتعنى المدارس الابتدائية ، والثانوية ، والعالية ، بالتاريخ الاسلامي عناية بالغة . وقد اقبل كثير من الكتاب العرب المعاصرين على التاريخ العربي يؤلفون فيه الكتب ، وينشرون سير ابطاله ومشاهير رجاله ، بحيث اصبحت الكتابة في التاريخ الاسلامي منبعاً ثراً للرزق ، ووسيلة لكسب الشعبية والشهرة والجاه العريض بين جمهور القراء . ان معظم الكتاب المعاصرين «الكبار» يعيشون على مائدة التاريخ الاسلامي الدسمة الغنية . الف طه حسين « على هامش السيرة » في ثلاثة اجزاء (الطبعة الاولى، القاهرة، ١٩٣٣) ، والف « الفتنة الكبرى » في ثلاثة اجزاء ظهر منها « عثمان » (القاهرة ، ١٩٤٧) ، و (علي وبنوه (القاهرة ، ١٩٥٣) والف عباس محمود العقاد « عبقرية محمد » (القاهرة ، ١٩٤٢) ، و « عبقرية الصديق » (القاهرة ، ١٩٤٣) ، و « عبقرية عمر » (القاهرة، ١٩٤٢) ، و«عبقرية الامام» (القاهرة، ١٩٤٣) و « الصديقة بنت الصديق » (القاهرة ، ١٩٤٢) ، و « سيد الشهداء » (الطبعة الثانية ، القاهرة ?) ، و«عبقرية خالد» (القاهرة ?) و « اثر العرب في الحضارة الاوربية » (القاهرة ، ١٩٤٦) ، و « الديموقراطية في الاسلام » (القاهرة ، ١٩٥٢) ، و « عمرو بن العاص » (القاهرة ?) . بحيث اصبح العقاد يدعى ، تهكماً ، [العبقري ، كاتب العبقريات] . وتحول الدكتور محمد حسين هيكل من ابحاثه في الادب والفكر الاوربي الى الكتابة في التاريخ الاسلامي فكتب « محمد » (اعيد طبعه عدة مرات) ، و «الصديق ابو بكر» (القاهرة، ١٩٤٢) ، و « الفاروق عمر بن الخطاب » (جزءآن في مجلد واحد ، القاهرة ، ١٣٦٤ هـ) ، و « في منزل الوحي » (القاهرة ، ١٣٥٦ هـ). وحتى الكاتب المسرحي توفيق الحكيم مال الى المشاركة في التاريخ الاسلامي فكتب مسرحية « محمد » (القاهرة ، ١٩٣٦) ، و « تاريخ حياة معدة » (القاهرة ، ١٩٣٨) المستمد من حكايات التاريخ العربي ونوادره . وكتب مصطفى صادق الرافعي الكتب والمقالات والقصص في شرح هذا التاريخ ، وبيان رموزه ، والكشف عن روحه . وقد اقبلت دور النشر ، التي تنشر سلاسل دورية من الكتب الشهرية الرخيصة الثمن ، على هذه المؤلفات ، تعيد نشرها ، وتروج لها بين عامة القراء ، بحيث نجد كثيراً من المؤلفات التي صدرت في سلسلة «الهلال» الشهرية ، وسلسلة « إقرأ » تدور حول حوادث التاريخ الاسلامي ، او الادب العربي القديم .

وقد أدت الحركات الاسلامية الحديثة . لا سيا السياسية منها ، الى زيادة الاهتمام بالتاريخ الاسلامي . فالمؤلفات في التاريخ الاسلامي من امهات المصادر ، الى الكتب الحديثة البسيطة ، تملأ المكتبات . والمجلات الادبية والدينية ، التي تعنى بشؤون التاريخ الاسلامي ، والدين الاسلامي ، اكثر من ان تحصى .

– ٢ –

على ان هذا الاهتمام بالتاريخ الاسلامي ، وهذا الاقبال الشديد عليه من قبل ناشئة العرب والمسلمين ، لا يغنيان شيئاً ، فالمؤلفات الحديثة في التاريخ العربي ، بصورة عامة ، تبحث في هذا التاريخ بحثاً اقرب الى السطحية منه الى الدراسة العلمية المتعمقة ، التي تميز بين الحقائق والاساطير ، وتبحث عن الاسباب ، وتعلل النتائج . هذه المؤلفات تستثير حماسة القراء ، وتبعث في نفوسهم الغرور بدلاً من ان تنير عقولهم ، وتثقفهم بالثقافة التاريخية الصحيحة . ان الثقافة المستنيرة التي يتوقعها

« إن الحكام الذين لم يستمدوا سلطانهم من رضى الشعب وموافقته ، وإنما يحكمون بأمرهم حكماً عشائرياً مستبداً ، ورجال الدين الذين نشأوا في الجهل ، وعاشوا في أجواء التعصب ، وتجار السياسة والمال والعلم والدين ، والدول الاجنبية ذات المصلحة الثابتة في هذه البلاد ، كل اولئك يخشون البحث العلمي وكشف الستار عن الحقائق الواقعة ، وتنوير أذهان عامة الشعب » .

(١) محاضرة ألقيت في مؤتمر برنستون .

(٢) يدور هذا البحث ، بصورة رئيسية ، حول التاريخ العربي والاسلامي المدون باللغة العربية .

(٣) انظر نبيه امين فارس ومحمد توفيق حسين ، هذا العالم العربي (بيروت ، ١٩٥٣) ص ٤١ – ٤٦ .

المرء من دراسة موضوع انساني كالتاريخ معدومة في هذه المؤلفات . ان كتاباً مثل « تاريخ الامة العربية » لدرويش المقدادي (بغداد ، ١٩٣١) ، الذي اعتمدته المدارس الثانوية في سورية وفلسطين والعراق سنوات عديدة والذي تتلمذت عليه اجيال عديدة من الشباب العرب ، لا يمكن ان يعتبر مؤلفاً علمياً في التاريخ ، بل الاجدر اعتباره خطبة حماسية .[1]

ومن اسباب ضعف هذه المؤلفات التاريخية انها تشير الى مآتي العرب ، وتذكر امجادهم العلمية والفلسفية ، اشارة غامضة ، عابرة ، مقتصرة على تعديد الاسماء ، وذكر النظريات ، وسرد المؤلفات العربية التي ترجمت الى اللغات الاوربية ، والاشارة الى اعلام الباحثين الغربيين الذين تأثروا بها ، والمستشرقين الذين مدحوها واثنوا عليها ، دون التركيز المفصل على حقيقة الانتاج العربي ذاتـه في العلم والفلسفة والحضارة عامة . ومن اسبابها تخوّف الباحثين العرب من القيام بدراسة علمية رصينة للحضارة العربية تحدها ، وتفسرها ، وتحللها ، وتعللها ، وتكشف عن حقيقة جوهرها ، وتضعها في موضعها الحق من التاريخ الانساني العام . على ان هذه العبارة تحتاج الى شيء من الايضاح والتبسيط .

لا بد لكل دراسة علمية للتاريخ الاسلامي من ان تتعرض للدين الاسلامي ، لما بين هذا التاريخ وبين الاسلام من ارتباط عضوي متين . وكل دراسة علمية للدين لا بد لها من ان تعامله معاملة الظواهر الطبيعية والاجتماعية ، يعني ان تضع الجانب الالهي منه موضع البحث الواقعي ، اي تبحثه كما تبحث اية حقيقة اجتماعية او فكرية او وجدانية . وهذا النوع من الدراسة لا يلقى اقبالاً عـند جمهور المشتغلين بالتاريخ الاسلامي من مؤلفين او مدرسين ، إما خوفاً على ايمانهم من عواصف الشك ، او حرصاً على ايمان العامة ، او تجنباً لنقمة العامة ومن يوجهها من رجال الدين .

والعالم العربي والاسلامي يمر في اخطر مرحلة من مراحل حياته . انه ينتقل من القرون الوسطى الى العصر الحديث . من القرون الوسطى بما فيها من قيم تنهض على الخلاص الفردي ، واعتبار الحياة على هـذه الارض معبراً الى الحياة الاخرى الخالدة الباقية ، وتفسير الحقائق الاجتماعية والتاريخية تفسيراً الهياً غيبيا . وبما فيها كذلك من حياة اجتماعية تقوم على تقسيم المجتمع الى طبقات متفاوتة الحظوظ من الثروة ، وفصل عالم الرجل عن عالم المرأة ، وقطع عالم الاطفال عن عالم الكبار . وبما فيها الى كل هذا من حياة اقتصادية تقوم على الزراعة ، وعلى عمل الانسان ، والمهن اليدوية البسيطة . ان العـالم العربي والاسلامي ينتقل من هذه كلها الى العصر الحديث الذي يعتبر الانسان ، رجلاً وامرأة ، مصدر القيم ، ويعتبر حياته على هذه الارض جـديرة بان تحيا سعيدة ، ويؤمن بالخلاص الجماعي ، ويعتمد العلم في اغناء الحياة من الناحية المادية ، وفي تفسير ظواهر الطبيعة والمجتمع ، ويجعل المجتمع يقوم على الآلة بدلاً من ان يقوم على عمل الانسان وحده ، ويحلّ رابطة القومية والوطن محل رابطة الملة والطائفة والدين .

ومن هنا ، في نظرنا ، تنبعث محنة التاريخ العربي والحضارة العربيـة . فان جمهرة الشبان المسلمين والعرب المتعلمين تعلماً عصرياً ، ان لم نقل جميعهم ، يجدون الحضارة العربية الاسلامية بعلومها وفلسفتها وقيمها ومؤسساتها الاجتماعية والاقتصادية ، غير كافيـة لتثقيف عقولهم ، والاجابة عن المسائل العديدة التي تثيرها في نفوسهم مشاكل اوطانهم وشعوبهم ، وافكارهم القلقة ، المتطلعة ، المتسائلة . وكل بحث علمي ، سطحي متسرع ، في هذه الحضارة يقوي انحراف هؤلاء الشبان عن تاريخهم وحضارتهم ، ويكرههم بها ، ويدفعهم دفعاً الى تلمس خلاصهم الروحي ، وثقافة عقولهم ، وسعادتهم الفردية والجماعية ، في هذه الحضارة الغربية التي تبدو لهم عظيمة الغنى ، سخية العطاء .

اذا استثنينا المحاولة الضخمة التي قام بها جورج سارتون[1] نكاد لا نجد في اللغات الاوربية اية دراسة علمية ، عميقة ، وافية ، للحضارة الاسلامية العربية ، تحاول ان تحدد محتواها ، وروحها ، تحديداً دقيقاً ، وتقدر قيمتها ومـا قدمته للحضارات الاخرى تقديراً عادلاً . وليس في اللغة العربية مثل هذه الدراسة ايضاً . وفضلاً عن ذلك فان ما يوجـد من الدراسات والابحاث عن الحضارة العربية في اللغات الاجنبية يكاد يجهله جمهور المتكلمين باللغة العربية . وما لم يوجه القراء العرب الى مثل هذه الدراسة العلمية الموضوعية لا يحتمل ان ينجحوا في سعيهم للخروج من المحنة المؤلمة التي يضطربون فيها .

---

(١) ولا يختلف الكتاب الرسمي المدرسي عن تاريخ لبنان (اسد رستم وفؤاد وافرام البستاني ، تاريخ لبنان الموجز) عن هذا الكتاب في شيء . وقل مثل هذا عن مؤلفات محمد عزت دروزة ، والعقاد ، وعمر ابو النصر ، وعمر فرّوخ ، وسواهم .

(١) المدخل الى تاريخ العلم ، ثلاثة اجزاء .

- ٣ -

حالة الدروسات التاريخية في العالم العربي اليوم

لو القينا نظرة ناقدة على الدراسات التاريخية في العالم العربي الاسلامي لوجدناها ما تزال خاضعة لتأثير المؤرخين العرب القدماء ، سائرة على مناهجهم ، مترسمة طريقتهم في البحث ، والمعالجة ، والتفكير . وما زالت نظرة معظم المؤرخين العرب المعاصرين لحوادث التاريخ ، وطريقتهم في معالجتها ، وتأكيدهم على بعضها دون البعض الآخر ، هي هي نظرة المؤرخين القدماء تقريباً . ولايختلف كثيرمن كتب التاريخ الحديثة ، كمحاضرات تاريخ الامم الاسلامية للشيخ محمد الخضري ، عن الطبري وابي الفداء الا قليلا ، اذا استثنينا اقحام بعض الملاحظات الاعتذارية هنا ، وحشو بعض المواعظ والارشادات هناك . ويتميز معظم الانتاج الحديث بما يلي :

اولاً : ما يزال اهتمام المؤرخين المعاصرين منحصراً في تاريخ الاسر الحاكمة ، والشخصيات المشهورة من خلفاء وقواد ورجال دين .

ثانياً : وما زالت مادة التاريخ عبارة عن سرد مجرد لمجموعة من الحوادث والتواريخ واسماء الاعلام .

ثالثاً : ومازال المؤرخون يتناولون التاريخ العربي باعتباره فترة من الزمن قائمة بذاتها ، تامة ، منفصلة عن التاريخ الانساني ، تبتدىء بعام الفيل ، او بهذه الفترة الغامضة التي تدعى بالعصر الجاهلي ، وتنتهي بسقوط بغداد عاصمة العباسيين على يد هولاكو في عام ١٢٥٨ في المشرق ، وسقوط غرناطة ، وخروج عبد الله الصغير ، آخر ملوك بني نصر ، لاجئا الى مراكش عام ١٤٩٢ في المغرب . اما الازمان التي سبقت الجاهلية فيحفها الظلام ، او انها ، في الحقيقة لا تستحق اهتمام المؤمنين . ولم يكلف الا القليل من المؤرخين العرب المحدثين انفسهم عناء البحث في هذه الفترة الواقعة بين سقوط بغداد والاحتلال العثماني . وذلك يعود ، بصورة جزئية ، الى الصعوبات التي تعترض سبيل الباحث ، وبصورة اساسية الى هذا الاعتقاد الغامض بان التاريخ العربي الاسلامي قد انتهى امره بسقوط الخلافة .

والمؤرخ الحديث إما ان يسرد التاريخ العربي سرداً يظهر امجاده بالوان ساطعة ، قافزاً الفترات المضطربة فيه ، متجاوزاً عن الاعمال والحوادث المظلمة ، قارئاً فيه كل ما حققته « اللبرالية » الغربية . وقد سميت هذه النزعة ، تسمية موفقة ، بالرومانتيكية الاسلامية . وإما ان يعرضه عرضاً متسرعاً ، سطحياً ، متجلبباً بجلباب العلم ، يظهره مسيخاً فارغاً ، سقيماً حائل اللون ، منفراً للشبان المتعلمين العصريين .

- ٤ -

كيف يجب ان يعلّم هذا التاريخ؟

اولاً : يجب ان ينقل اهتمام الباحثين من سرد الحوادث والتواريخ الى التفسير ، والتحليل ، والتعليل . يجب ان تفرد القضايا الاساسية في التاريخ العربي الاسلامي ، وتفحص ، ويعين موضعها الحق من التاريخ الانساني تعييناً دقيقاً . ويجب ان يتناول بمثل هذه الطريقة من الدراسة والبحث جميع ما حققه العرب في الحضارة والعلم ، « والمميزات البارزة التي تميز مختلف ادار تطورها » . ولعل كتاب الاستاذ برنارد لويس (العرب في التاريخ ، لندن ، ١٩٥٠) هو من اصح الامثلة على هذه الطريقة في الدراسة والبحث .

ثانياً : يجب ان يهتم المؤرخ الحديث اهتماماً جدياً ، الى جانب اهتمامه بدراسة الجانب السياسي من التاريخ الاسلامي ، ببحث الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية . وقد لا تعين المصادر التاريخية العربية الباحث في دراسة هذه النواحي اعانة كافية . على ان دراسة ما تركه العرب من ادب تكمل هذا النقص ، وتيسر على الباحث مهمته . والحقيقة انه ليستحيل فصل مصادر التاريخ عن مصادر الادب في اللغة العربية .

ثالثاً : يجب ان يدرس التاريخ الاسلامي على انه جزء غير منفصل من تاريخ البشرية . ولعل هذه القضية اهم نقاط البحث جميعاً ، وعلى هذا يجب ان نتوسع في بحثها قليلا . ان الباحثين المحدثين لم يعنوا بالحضارة العربية العناية الكافية ، ولم يدرسوها الدراسة التي تستحق . ولم يبذل ، حتى الآن ، اي جهد منظم لدراسة هذه الحضارة دراسة دقيقة ، متقصية ، تبين علاقاتها بالحضارات السابقة والمعاصرة ، وتحدد تأثيرها الاساسي في الحضارات اللاحقة وخاصة الحضارة الغربية . ونحن على يقين ، استناداً الى الدراسات الجزئية التي تمت في الموضوع ، بان مثل هذه الدراسة ستظهر الاثر الخيّر الذي كان للحضارة

العربية على الحضارة الغربية ، مهما كان هذا الاثر ضئيلاً . ومثل هذه النتيجة تعيد الثقة الى نفوس ناشئة المسلمين بان الحضارة العربية ، وان انقضى دورها اليوم ، قد كانت حلقة نيرة من حلقات الحضارة البشرية، التي نستمتع الآن بطور من اطوارها. على ان هذا الأثر لايتم في عقول هذه الناشئة ما لم يغير الباحثون الغربيون ، الذين يكتبون التاريخ الغربي خاصة والتاريخ الانساني عامة ، موقفهم من الحضارة العربية ، فيعطوا هذه الحضارة حقها عند البحث عن مصادر الحضارة الغربية الحديثة . ان مؤرخاً عظيماً من مؤرخي الفلسفة، كبرتراند رسل مثلا ، لم يخصص للفلسفة العربية ، والدين الاسلامي والنبي محمد ، اكثر من ست عشرة صفحة متفرقة من صفحات كتابه الكبير (تاريخ الفلسفة الغربية ، الطبعة الثالثة ، لندن ، ١٩٤٨) البالغ عددها ٨١٦ صفحة . وهذا باحث اميركي مشهور يؤلف حديثاً « بحثاً في تفهم العالم » ولا يخصص للعرب والمسلمين غير اثنتي عشرة صفحة من مجموع ٤٩٦ صفحة [1] . قد يكون هذا مقياساً غير دقيق لتقدير الاهمية النسبية لأفكار الناس واعمالهم. ولكن هذا المقياس على ما ينقصه من الدقة ، يعكس لنا اهمال الباحثين الغربيين المعاصرين ما قدمه المسلمون ، وهم سبع الجنس البشري ، في حقل الحضارة والدين .

لم اشر الى المؤلفات العديدة التي كتبتها اجيال متعاقبة من المبشرين . وليس الدافع الى اغفال هذه المؤلفات تقصيراً في التنبه لها ، او رغبة في نكران ما قدمته للدراسات العربية الاسلامية . ولكن معظم هذه المؤلفات لم تكن مجردة عن الغرض ، خالصة النية العلمية . ان هذه الطائفة من المؤلفات كما يقول هـ. ا. ر جب بايجاز بليغ [2] « تصدر عن اولئك الذين يتحكم بتفكيرهم الاعتقاد بان الاسلام دين منحط . قد تكون هذه النظرة جديرة بالاحترام عندما تنشأ عن اعتقاد ديني مخلص . تلك حال معظم مؤلفات المبشرين . وانه لمن الظلم ان نغفل هذا التقدم العظيم الذي حققه المبشرون ، في السنوات الاخيرة ، نحو تفهم الاسلام تفهماً داخلياً مشبعاً بالعطف ،بدلاً من دراسته دراسة خارجية مغرضة ، فجة . ومع ذلك فما تزال الاحكام السابقة ، والآراء المغرضة تلازم موقفهم من الاسلام . وهذا ما يحسن التنبه له عند تقدير كتاباتهم » .

على ان هنالك من الدلائل ما يشير الى ان الباحثين الغربيين قد بدأوا يتلافون هذا النقص . فقد اشار ويل ديورانت ، في كتابه « قصة الفلسفة » اشارة عابرة واحدة الى الاسلام . اما في كتابه الكبير الذي صدر حديثاً عن تاريخ الحضارة فقد عقد للحضارة العربية والاسلامية سبعة فصول كاملة ، استغرقت ١٠٣ صفحة من صفحات الكتاب البالغة ١١٠٠ صفحة . ان عناية الباحثين الغربيين ،بما قدمه العرب والمسلمون للحضارة الانسانية ، عناية حقيقية ، وانصرافهم الى دراستها دراسة اكثر موضوعية لا تظهر في هذه المؤلفات الادبية الرصينة التي ينتجها الغرب فحسب ،ولكنها ظاهرة ايضاً في ازدياد عدد الجامعات والمعاهد العلمية التي تفسح المجال للدراسات الاسلامية ، وفي هذه الاعانات الضخمة التي تهبها المؤسسات العلمية للباحثين في الشؤون الاسلامية. وهي متجلية في هذا المجهود الضخم الذي يبذله هذا المؤتمر . ويجب ان تؤدي هذه المجهودات في حقل البحث المجرد اولاً الى معالجة الحضارة العربية والاسلامية معالجة اكثر عدالة وانصافاً ،والى الحكم على ما قدمته الى الحضارة الانسانية حكما عادلاً نزيهاً . وأخيراً الى اعادة ثقة المسلمين عامة، لا سيما الشبان منهم ، بان دينهم وحضارتهم لم يتعرضا ، ولن يكونا عرضة ، لاحكام متسرعة ، قائمة على التحيز المغرض ، والحقد الاعمى .

- ٥ -

على ان أفضل وسيلة ننمي بها اهتمام الشباب العرب بتاريخهم ، وأقواها تأثيراً ، انما هي ان نجعلهم يهتمون بمشاكل

(١) ف. س. ك. نوثورب ، التقاء الشرق والغرب ، نيويورك ١٩٤٧
(٢) المحمدية ، لندن ، ١٩٥٠ .

بلادهم الحاضرة ، ويتفهمونها التفهم الصحيح . وهـذا الفهم للمشاكل الحاضرة يقتضي ، بطبيعة الحال ، تقصي جذور هـذه المشاكل في التاريخ ، ودراسة جميع علاقاتها السابقة . وهـذه القضية تنقلنا الى قضية اخرى خطيرة ، ألمعنا اليها فيما تقـدم إلماعاً ، ولم نبحثها بحثاً وافياً .

ان المؤرخين بصورة عامة والمؤرخين العرب والمسلمين بصورة خاصة ، قد أهملوا دراسة الفترة الممتدة من سقوط بغداد في القرن الثالث عشر الى بداية النهضة القوميـــة الحاضرة في أوائل القرن التاسع عشر . اما أسباب إهمال المؤرخين لهـذه الفترة فعديدة . على ان اهمهــا هو انحطاط الحياة الفكرية والسياسية في هذه الفترة ، وتغلب الدول غير العربية على ديار الاسلام ، وصعوبة تتبع المراجع الأجنبية . لقد زالت البلاطات العربية الفخمة ، وانحطت الخلافة بأمجادها الروحية وبهرجهــا الدنيوي ، فظن المؤرخون ، وتبعهم عامة القراء العرب ، بان التاريخ العربي قد توقف ، وان العرب ، كافة ، قد أغفوا فلم يعد لهم حوادث تذكر ، وتاريخ يدون ، وأمجاد تنشر . ثم ان حالة الناس الوجدانية كانت تدفع بهم الى تجاهل هذه الفترة. لقد غلب المسلمون والعرب على أمرهم ، وانحطوا من عليـاء أمجادهم الى واقع فقير ، متأخر ، ضعيف ، فلا غرو ان يهربوا من حقائق واقعهم المؤلمة ويحتموا بذكريات ماضيهم البهيجة ، وان ينصرفوا الى التغني بأمجادهم القديمة . والحق ان هذه الفترة لم تهمل إهمالاً تاماً . فقد ألفت فيها الكتب ، وإن كانت هذه الكتب لم تخل من جميع الشوائب التي علقت بالمؤلفات التاريخية العربية والاسلامية التي ذكرناها آنفاً . وزيادة على ذلك فان هذه المؤلفات ، بصورة عامة ، إقليمية ، لم تربط موضوع بحثها بالتاريخ العربي العام ، ولم تعالجه كتيار من تياراته ، لتفكك الوحدة السياسية . مثل هذه المؤلفات التي تبحث في تاريخ قطر معين ، « كحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» للسيوطي، وخطط المقريزي . او أسرة ملكية معينة كتاريخ السلاجقة لعماد الدين الأصفهاني . او مدينة معينـة ، كالدر المنتخب في تاريخ حلب لابن الشحنة ، ان جميع هذه المؤلفات ، مفيدة ، ممتعة ، ولكنها تظهر بجلاء انحلال الوحدة السياسية للعالم العربي والاسلامي ، وفقدان النظرة العامة الموحدة للعرب والمسلمين .

ان دراسة هذه الفترة مهمة جداً ، لأنها ترتبط بحياتنا الحاضرة ارتباطاً عضوياً بحيث لا يمكن فهم اسباب تخلف العرب الحاضر وسوء ما هم عليه من أوضاع ، إلا بتفهم تاريخهم إبان هذه الفترة.

— ٦ —

على ان كل هذه الملاحظات التي ذكرناها لدراسة التاريخ العربي والاسلامي دراسة علمية ، بريئة ، عادلة ، لا يمكن ان تتحقق إلا اذا تحقق الشرط الأول لوجودها . ألا وهو حرية التفكير ، والتعبير ، والنشر ، التي تتيح للباحث ان يبحث ويفكر ، وينشر تفكيره على القراء دون ان يلقى عائقاً يحول دون إعلان رأيه ، ودون ان يضطهد في رزقه او منصبه ، او ذات نفسه ، ودون ان يتعرض للسجن ، واحيانــاً للتعذيب الجسدي والروحي . وتعاني حرية الرأي اليوم محنـة قاسية في العالم العربي والاسلامي . فالحكام الذين لم يستمدوا سلطانهم من رضى الشعب ومواثقته ، وإنما يحكمون بامرهم حكمـاً عشائرياً مستبداً ، ورجال الدين الذين نشأوا في الجهـل ، وعاشوا في أجواء التعصب ، وتجار السياسة والمال والعلـم والدين ، والدول الأجنبية ذات المصلحة الثابتة في هذه البلاد ، كل اولئك يخشون البحث العلمي وكشف الستار عن الحقائق الواقعة ، وتنوير أذهان عامة الشعب .

★

والى جانب حرية التفكير والتعبير والاذاعة يحتاج هـذا التاريخ العربي والاسلامي ، الذي نريد ان يهتم بـه الشبان العرب والمسلمون ويمنحوه ولاءهم المخلص الواعي ، الى معلمين معدين إعداداً حسناً لتدريسه . وإلى باحثين مخلصين في بحثهم متمكنين من الطريقة العلمية . وإلى ناشرين يهمهم العلم الخالص اكثر مما يهمهم تملق الجمهور والسعي وراء الثروة .

نبيه فارس

القِصّة التي فازت بالجائزة الثانية في مسابقة «الآداب»

سأربح الجائزة !

بقلم إنعام الجندي

صدقني إن قلت ليست في ذهني اية قصة . ولكن هـذا الاعلان الغريب المتشبث بالصفحة المفتوحة امامي ، هذا الاعلان عن مسابقة القصة يدفعني لأن اكتب ، لأن افكر ، وربما لأن أهذي ... اريد ان اربح الجائزة باي ثمن ! ولو كان امـد اختيار القصة الفائزة بعيداً ، لما جربت ان اكتب ، بـل لحلمت بوسيلة اخرى لكسب دريهمات ، فأنا لن استطيع ان انتظر جائعاً مدة طويلة ، او ان أعلل النفس بالشبع هـذا المدى الطويل ، فلا بد ان يتغلب الجوع على كل محاولة إلهـاء ، وإن يكن جوعاً من نوع جديد ! ...

ليست في ذهني اية قصة. وان تكن حياتي ملأى بالقصص. ان املاً يراودني فيسد عليّ معابر الذكرى الى الماضي ، حتى اقرب ماضٍ الى اللحظة التي احيا . ان املاً جديـداً يترنح في خيالي فأطرب لسكره ، بل واسكر له ، واترنح معـه ، في ارجوحة يهنأ بها القدر ، قدر المحرومين . هذا الأمـل سينفتح احلاماً وقصصاً واساطير ، فلأستسلم له ، لعله يخلق القصة التي ستفوز بالجائزة .

تراني أصر على الفوز بالجائزة ! .. قد تظن اني من المتكالبين على المال ؟ صدقني ان قلت اني اكره المال ، هذا الذي يتخم الخزائن والجيوب ، ولا يتسرب إلي إلا خلسة ، وكأنما هو خجل من كفي ، من جيبي ، من اللحظات القليلة التي يحياهـا معي قلقاً ملولاً ، من المشاريع الكبرى التي تنتظره على قلته ، فيسد ثغيرات ، لتفغر اشداقها ثغرات ، فيجفل وينسحب الى صناديق الصيدليات ، والأطباء ! ..

لن تلومني على إصراري لو علمت ان اخي المقعد ، المشوّه الوجه واليد ، يقبع في زاويته كالليلة الكدراء الطويـلة ، في انتظار لحظة واحدة من العمر ، هي آخر ما يخط القـدر في صفحة وجوده ! .. اما امي ، فثق اني رغم حنانها المـاضي ، ورغم ما حبتني به من حب ، لا احتمل ان احدق ثانية واحدة في كتلتها المضطربة على فراش القش ، القش الأجرد . وانت رغم المشاعر الانسانية المختلجة في صدرك ، لو رأيتها ، لحولت وجهك عنها ، ولبصقت من الغثيان ، كما تفعل لو رأيت فأراً مسحوقاً الى قدر ، تحت نعل عن غير عمد . لن اصفها لك لئلا تكره ان تتم نجواي او شكواي لا ادري ! .. واما اختي فهي رهينة البيت حتى تموت ، او اموت أنا ، وحينئذ لها ان تطلق لنفسها الحرية . لا تظلمني وتنعتني بالقسوة او الاجرام .. انا اخجـل ان احدثك بحديثها . ليست مريضة ، ولا مشوهة ، ولكنهـا اجمل من كل من رأيتهن في حياتك . سل عن لمياء .. لمياء التي اختطفها الصهيونيون ، او التي أسروها او قتلوها .. فهنالـك شائعات كثيرة عن اختفائها ، ولكنها على كل حبال ، هنا في كوخنا الهزيل ، الذي سرقت حطبه في الليل من الغابة القريبة. والى اين تخرج بربك ؟.. ألتقصّ على الناس قصة عارهـا ، وعارهم ايضاً ؟. ألتستدر الشفقة ، وهي رغم جمالها لن تجـد الانسان الذي يحتضن هذا العار ويستره ، بل ستجد دائمـاً الخادعين الذين سيندفعون لتدنيسها كما دنسها الصهيونيون ؟

قد تسألني : لم لا ألجأ لوكالة الغوث ؟ انا يا اخي لم ألجأ لأحد منذ هجرتنا من ارضنا ، بعد ان خرج اخي من المعركة مشوهاً ، وسقط البيت على امي فشلت وتغيرت معالمها ، وفقدت اختي عفافها ، وسلموني عكازاً استعيض به عن رجلي المقطوعة ! . .

قيل : كل ذي عاهة جبار .. وقد كنت جباراً الى حد ، فلم ألجأ لوكالة الغوث لتعيننا ببعض الملبس والمأكل . فكيف اقبل ممن ساهموا بمأساتنا المعونة ؟ ان كل ما يأتي منهم رجس ودنس ، وكل يد تمد ، لا تمد الا لتعوق شعورنا بالمأساة وبالحاجة للخلاص القريب . اخاف ان تقول لي : « إلجأ للحكومات العربية » .. لا تهزأ مني ومنك ومن كل عربي .. لا تلفظ هـذه الكلمات .. لأنها جرح طويل المدى يحز في اكبادنا .. فلو كان فيها خـير لاستطعت ان تقول لي : إلجأ الى الحكومة العربية ، او لكنت في غنى عن مثل هذا القول ، ولكننا جميعاً في غنى عن مأساتنا ! لا تهزأ مرة اخرى فتقول : « ولكن الحاكمين تبدلوا ! ». لم

يتبدلوا يا اخي !

لقد ادركت اخيراً ، ان لا ملجأ إلا الشعب .. انا الذي شوه اخوه ، انت الذي فقدت اخاك ، هي التي سلبت اعز ما تملك ، ونحن جميعاً الذين فقدنا فلسطين واسكندرون ، وبلادنا، لن اخدعك ولن تخدعني بالاستقلال الزائف الذي تتبجح به بعض حكوماتنا ، فالاستعمار يغل اعناقنا ، ويلتهم مواردنا ، ويقودنا مرغمين الى مآسينا ، تسانده حفنة خونة مستثمرة ، اذا حلت محلها حفنة اخرى لعنت اختها .

لقد ادركت اخيراً ... ولا بأس ، فالمجال متسع امامنا، والأمة التي لم تحيَ المآسي لا تعرف معنى الحرية ، ولا يمكن ان تعرف طريق الخلاص ! لقد ادركت ، وانا اليوم عضو في حركة شعبية ، تتسع رغم الاضطهاد والتشريد ، وستشمل الوطن العربي كله ، لأنها منبثقة عن حاجات الأمة العربية في كل جزء منها، وفي كل مرقد عنزة. وستنصبّ فيها كل ثورة الشعب وحقده وحرمانه وإيمانه بنفسه وحريته وامته .

لعله يتبادر الى ذهنك انني اشتريت المجلة من مالي الخاص . انا يا اخي لا اكاد املك ثمناً لطعامي ، وداء اخي وامي اشبه بداء هذه الامة ، أداويه بما يسكّنه ويطيل امده ، لا قصوراً ولا جحوداً ، وإنما قلة امكان تزيد من عذاب نفسي . نحن نشتريها ونشتري غيرها من مال الحركة . وإنها لمأساة يا اخي ان تكون اكثر مجلاتنا وصحفنا مجرمة عن عمد وغير عمد . تمنينا كثيراً ان نجد واحدة بينها تعالج قضايا الشعب العربي بصدق وفهم، هذا إذا لم نقل انها تساهم في توطيد دعائم الفساد وتسطيح مشكلتنا . والغريب ان اكبرها لا تكاد تقع عينك على اسطر منها حتى تشتم رائحة الدولار ، او النظريات المستمدة من غير واقعنا ، وكل حل لا يأتي من واقعنا لا يمكن إلا ان يبعدنا عن إدراك هذا الواقع . وأغرب من كل شيء ان بعض الاقلام البريئة والقوية ايضاً ، تناقش مشكلتنا بسطحية غريبة ، ذلك انها تبحث من ناحية نظرية ، ولم تعرف نضال الشعب يوماً ، هذا النضال الذي يستطيع وحده أن يطلعنا على الواقع .

اني اتشبث بالجائزة يا اخي ، لا لأنعم بمالها ، ولكن لأقدمه للحركة ، فهي بحاجة اليه ، لأنها لا تعتمد على أجنبي ؛ ولا على نفوذ ثري ، وهذا المورد الذي أطرقه مورد حلال لا دنس فيه .

لعلك تريد ان تتعرف إلي ! ... كنت كاتباً وشاعراً ، ولكني وهبت كل امكانياتي للنضال الشعبي ، ولولا رفاقي لما ولجت باب الكتابة من جديد . وعلى أي حال انا عربي مشرد ولا غرابة فكل عربي مشرد، ولا يوهمنك ان لك بيتاً وعائلة، فالطريق التي جعلتني كما ترى، ما تزال موجودة وقادرة على ان تصنع منك شخصاً مثلي .

قد تتساءل : لماذا لا اقدم المال لعائلتي المنكوبة فيما لو ربحت ؟ لن ينقذهم هذا المال ، ولن يزيد إلا في تطويل عذابهم، ولكنه لا شك سيساعد على استمرار الحركة ، لان عملها طويل وشاق ، لكنه منتصر آخر الامر .

من تشويه اخي ، وعار اختي ، وموت امي وهي على قيد الحياة ، درب فسيح اطلع منه على الحلول الصحيحة .

فكلما عدت لكوختنا الأجرد ، برجلي الوحيدة ، لأرى كتلتين من لحم ، احداهما صامتة الى الأبد ، والثانية تنتفض

مَوْلِد

« ايها العبيد ، انهضوا ،
إنهم لا يبدون امامكم عظماء ،
إلا لأنكم راكعون ! »

[توسان]

عيني مفتّحة ، على الشرق الجديد
متفتحاً ، كالبرعم النّديان ، كالأمل الوليد .

★

عيني ترفّ ، على جمالٍ ، شقّ أسْوِدةَ الظلام
وعلى جباهٍ ، كالطفولة ، نابضاتٍ بالسلام ،
تحْمِلُ نفسي كالضياء ؛
فأسير جذلان الخُطى ، أحيا على دفء النداء .

★

وُلدت ، على عيني ، الحقيقةُ ، فانتشت نفسي الحزينة ؛
وهببتُ ، منطلقاً ، أصفّق ، بين اضواء المدينة ،
وأصكّ اعداء الحياة ،
اعداء تاريخي العظيم ، وأمتي ، والعاملين ،
العاملين الكادحين ،
السافحين دمَ البطولة ، في سبيل الآخرين ،
بل في سبيل القادمين ،
مع العصور ، مع السنين ...

★

اطفالنا السعداء ، في غدهم ، يرودون المدينة
نفساً مجنحةً ، تصفّق ، في دُجى نفسي الحزينة .

★

عيني مفتحة ، على وردٍ جديد ،
وعلى رفيفٍ ، كالصلاة ، يموج في الشرق الوليد ..
فأمدُّ كف الحب ، تستعطي ، ويا طيب العطاء ،
يا طيبه ، كالخبز ابيض ، كالورود ،
وكصوت موسيقى ، تسيل مع الصباح ،
ومع الشروق ، مع الضياء .

★

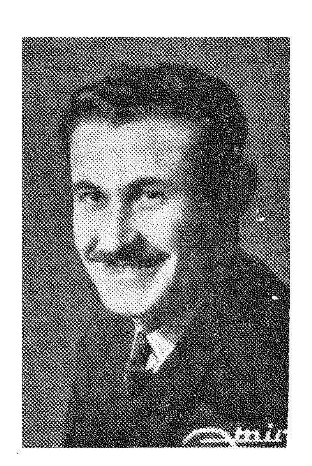
وأنا ، وإخواني ، ملايين العيون
نبكي ، ونضحك ، لا نزال
طرباً ، الى شمس الحقيقة ، والسعادة ، والسلام
وُلدت على عين الصباح
تنتابُ نافذتي ، وصدري ، والجراح ؛
وتفتحتْ ، كالبرعم النديان ، في فجر الحياة ..
وأنا ، وإخواني ، هنا ، وهناك نضحك للحياة وللسلام
ولَدته معركة الحياة
فشبّ ، يحتضن الحياة ..

حمص — نصوح فاخوري

انتفاض المقرور ، ولأرى جبين اختي ينخفض انكساراً وذلاً ، ادركت عمق المهمة الملقاة على كاهلي ، وقارنت بين هذه الخلائق التي اصابتها النكبة في الصميم ، وبين تلك الاصنام المرفوعة على الكراسي ، فخرجت بنتيجة واحـــدة وهي الايمان العميق بالنضال العربي الشعبي .

اما مصيري ، فأنا اعرف خاتمة قصتي . نضالنا يحتاج الى تضحيات ، ولن اكتفي بان قدمت رجلي واخي وامي واختي فداء ، بل ان في رأسي عقلاً ما يزال يعمل ، وسيظل يعمل حتى اقـــدم الرمق الاخير . وقد تكون الطعنة من اخ لي في العروبة ، من جندي يأتمر بأمر ديكتاتور ، او شرطي يدفعه لقتلي خادم للمستعمر ، وقد تكون من يد عدو . ولكني راض بالمصير على اي حال. واذا مُدّ لي في عمري حتى تتحقق أهدافنا، فسأساهم في البناء ، بناء امتنا الطالعة ! انا لا يهمني مصيري ، بل ما تصير اليـه أمتي . وبموتي تكتب لها الحياة .

وبعد ، هل ترضى معي ان يكون هذا مصيرك ؟ هل انت مستعـد لبعث امتك ؟ اذا كان ذلك فمعنى هذا انك ستحيا قصتي وقصـة كل عربي ، وتشاركني في الخاتمة .



انعام الجندي

مذهب الحلاج

بقلم المستشرق الاستاذ ماسينيون
نقله الى العربية شعبان بركات

قام الاستاذ لويس ماسينيون، بالاضافة الى دراسته القيمة عن الحلاج، بنشر ديوانه المسمى بـ «الطواسين» وتحقيقه. وقد قدم له بمقدمة مختصرة عن عقيدة الحلاج ومذهبه الكلامي. وقد رأينا ان نعرب هذه المقدمة آملين ان يكون فيها الخير لدارسي التصوف الاسلامي.

يبدو من الضروري، كي نقدر كتاب «الطواسين» حق قدره، ان نذكر هنا باختصار المميزات الاصيلة لعقيدة الحلاج ومذهبه الكلامي، إذ انه يجب ان لا ننسى ان الحلاج من بين «المتكلمين» الذين يذكرهم صاحب «الفهرست».

(١) نظرية الوحي والالهام
(٢) « الـ «هوهو» (لاهوت وناسوت: حلول الروح)
(٣) « «الطول والعرض» (صيهور وديهور)
(٤) « «الامر» و «الارادة» (المشيئة)
(٥) مذهب المتكلمين الحلاجيين

١ – نظرية الوحي والالهام

قام المذهب السني منذ امد طويل على الاعتقاد بانه لا مجال للقول «باتصال مباشر دائم» بين الله والانسان. حتى أن الانبياء انفسهم لم تتعد مهمتهم تلقي النصوص القانونية المحددة التي تتضمن المحافظة على «ميثاق» بين الله والناس. وان هذا الميثاق «المكتوب» هو كل صلة لهم بالله.

ولم يتلق محمد نفسه هذه الامانة عن طريق مباشر بل تلقاها بواسطة مَلَك. وهكذا يبقى الله في منأى عن الناس.

بيد ان الصوفية في عهد الحلاج لم يكن هذا شأنهم. لأن مدرستهم، وقد اصطبغت السنة اليهو نصرانية، راحت تحاول، عن طريق الصلاة، الاتصال المباشر بالله. يروى أن جعفراً الصادق (مات سنة ١٤٥ هـ = ٧٦٢ م) قال: «مازلت اردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته تعالى». حتى ان السالمية كانت تعتقد ان على المؤمن ان يعتقد ان الله يختصه بهذه الآيات وانه يتحدث اليه.

وهذا مما اثار الكيلاني بعد قرن من الزمان فقال: «ان الاعتقاد بان الله هو الذي يتحدث بلسان المرتل واننا نسمع الله حين نسمع القرآن ان هو الا اعتقاد بالحلول». وقد حدا هذا بالمدارس الصوفية إلى التستر وراء الصفات والقول بانهم لا يتصلون في ذلك بالله بل باحدى صفاته التي تصفها الآيات القرآنية، وان الاسماء التسعة والتسعين تصير اوصافاً للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل.

ولم يكن الصوفية بعد، في عصر الحلاج، قد ادركوا مدى النزاع القائم بين طريقتهم في الصلاة وطريقة اهل السنة لانهم كانوا يعتقدون ان الصلاة تصل النفس اتصالا مباشراً بالله. وبهذا نستطيع ان نتبين اهمية «السماع» في ذلك الوقت ومقدار ما كان يعتريهم من نشوة لدى سماعهم إما للقرآن واخبار الانبياء واما للشعر الصوفي والتراتيل المنغمة التي كانوا ينظمونها، اذ كانوا يرون في كل ذلك نوعاً من الوحي وقسماً من «التجلي» الالهي في كل شيء حي ناطق.

سأل عمر المكي الحلاج، ذات يوم في المدينة، عما ينظم. فاجاب: «هو شبيه للقرآن». ولم يكن ذلك سخرية منه وكفراً بل هو تعبير عن انه ينظم في حالة من الوجد تشبه الحالة التي كان عليها محمد لدى سماعه للوحي. ولهذا فقد كتب ابو عثمان المغربي (مات سنة ٣٧٣ هـ = ٩٨٣ م) يقول: «المكونات كلها يسبحون الله باختلاف اللغات، ولكن لا يسمع تسبيحها ولا تفقه عنها ذلك إلا العلماء الربانيون الذين فتحت اسماع قلوبهم» كما كتب ايضاً: «من صدق مع الله في احواله فهم عن كل شيء. وفهم عن كل شيء، فيكون له في اصوات الطيور وصرير الأبواب علما بعلمه وبيانا بتبيينه». لأن حروف القرآن ونصه لم تكن «معجزة اعجازاً ابدياً» كما سيرى فيها التصوف الاسلامي الحرفي في عهد ابن عربي. بل هم كانوا يرون ان احرف القرآن مخلوقة وان القرآن كنص عربي مسطور مخلوق ايضاً. فكانوا يستعيدون في حالة الوجد هذا العنصر الالهي الذي يمتاز به «القرآن الابدي»

ولم يعبر احد عن هذا الشعور كما عبر الحلاج.

وكتاب «الطواسين» ينم عن الاعتقاد بوجود «وعي

للحق » فوق الوعي الفردي . ذلك الوعي الذي يجعلنا – بين حين وآخر – نقول : « انا » عوضاً عن « هو » كما فعل محمد وأبليس .

٢ – نظرية الـ « هو هو » (اللاهوت والناسوت)

لم يكن الحلاج يعتقد – رغم ايمانه بفكرة تعالي الله – ان هذه الفكرة في منأى عن الانسان . وهذا مما حدا به لأن يستخلص ، من السنة اليهونصرانية القديمة الموجودة في القرآن والتي تقول بان الله خلق الانسان على « صورته » ، مذهبا في الخلق يماثل عقيدة « التأليه » . لأنه يدعو الانسان الى مماثلة الله عن طريق التقوى ، فيجد في ذاته حقيقة « صورة الله » تلك الصورة التي طبعها الله فيه . ولدينا كثير من النصوص الحلاجية التي لا تدع مجالاً للشك بهذا الصدد : والحلاج يقول : « كان الله قبل علمه بالخلق يتحدث الى نفسه في وحدته حديثاً حميماً وهو يتأمل روعة ماهيته وتأمله لذاته في بساطة هو الحب والحب في ماهيته هو ماهية الماهية » وهو فوق كل تشكل باشكال الصفات . وهكذا يحب الله ذاته في انفراده . يحمد ذاته ويتجلى في الحب .

وعن هذا التجلي الأول للحب في المطلق الألهي ظهرت صفاته واسماؤه . ولقد اراد الله حينئذ « بواسطة ماهيته وفي ماهيته » ان يتأمل ذاته في حبه لذاته في انفراده وان يتحدث الى هذه الذات . ولهذا فقد تأمل في الأزل واخرج من العدم صورة لذاته فيها كل صفاته وكل اسمائه الا وهي صورة : آدم .

ولقد جعل نظره الالهي من هذا الشخص صورة له على مدى الدهر . فحيا هذه الصورة وصلى عليها ثم اختارها .

ولما كان الله يتجلى بهذه الصورة فقد اصبح هذا الشخص المخلوق : « هو هو . » ولقد اودع الحلاج هذه النظرية في ابياته المشهورة :

سبحان من اظهر ناسوته سرّ سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا لخلقه ظاهراً في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقهُ كلحظة الحاجب بالحاجب

ويشير البيت الاول الى المشهد الذي دعا فيه الله الملائكة الى الاعتراف بان آدم : هو هو . بينما الابيات التالية تطبق نظرية الشاهد الآني على المسيح . واما الابيات في مجموعها فهي محاولة من الحلاج لأدخال فكرة مستقاة من اللاهوت المسيحي والسرياني في الاسلام العربي .

وهذه الفكرة هي فكرة وجود طبيعتين في الله ألا وهما : اللاهوت والناسوت . وهذان اللفظان المسيحيان يدلان على طبيعتي المسيح – « الكلمة المجسدة » – ألا وهما : طبيعته الالهية الخالدة وطبيعته الانسانية التي ظهر فيها في التجسد .

ويعتقد الحلاج – وتتبعه السالمية في اعتقاده هذا – ان الله سيظهر في « ناسوته » – اي في شكله الانساني – في اليوم الاخير ليحكم بين الناس . وتبدو هذه الفكرة من اصل مسيحي كالحديث القريب الذي ورد عن الغزالي حول تضحية الموت في يوم الحساب على صورة جدي .

ويرى الحلاج ان « الناسوت » يعبر عن الطبيعة الانسانية في الروح والجسد او كما يقول : « في العرض والطول » . وناسوت الله هو : « هو هو » باجمعه .

وكذلك فان الطبيعة الالهية لا تستطيع الاتحاد بالمركب الانساني إلا عن طريق الحلول ، كحلول الروح الانساني في الجسد الانساني . وهو نوع من التجسد يطبعه الله فيه .

وهذا مما يحمل الحلاج على تسمية « الطبيعة الالهية » في هذا الاتصال باسم الروح .

ولا نستطيع ان نجعل، في هذه النصوص ، لكلمة «الروح» هنا معناها العادي الا وهو « الروح الانساني » او « الروح الملائكي » ولا معنى العقل بالقوة عند ابي سعيد الخزاز الذي كان يرى في كلمة « الروح » مرادفاً لكلمة «العقل» في ترجمات مؤلفات الافلوطينية .

وليست الروح الناطقة عند الحلاج هي العقل بالقوة بل هي «العقل الفعال» وهي عبارة عن « شخص إلـهي » يتحدث اليه . وما مؤلفات الحلاج الشعرية سوى احاديث متواصلة لروحه مع هذا الروح الالهي حول حبهما المشترك . وليس هناك من متصوف في هذا العصر اكثر « عِشرة » مع الله ، يتصل في حديثه معه «انا وانت» و « نحن » دون اية اشارة لرموز الحب الجنسي . إذ ليس هناك من شعر صوفي اشد حرارة واكثر بعداً عن المادة من شعر الحلاج .

وهاك بعض مقاطع من مؤلفاته عن الحب المشترك بين هذين الروحين وعن حلول الروح الالهي في الروح الانساني الموازيين لاتحاد « اللاهوت » و « الناسوت » .

من الخفيف :

انت بين الشغاف والقلب تجري مثل جري الدموع من اجفان
وتحلّ الضميرَ جوف فؤادي كحلول الارواح في الابدان
ليس من ساكن تحرك الا انت حركته وخفيّ المكان
يا هلالاً بدا لأربع عشر لثمانٍ واربعٍ واثنتان

من الرمل :

انا من اهوى ومن اهوى انا نحن روحان حللنا بدنا
فاذا ابصرتني ابصرته وإذا ابصرته ابصرتنا

•

علم النبوة مصباح من النور معاني الوحي في مشكاة مأمور
فالله ينفخ الروح في جلدي لخاطر وينفخ اسرافيل في الصور
وإذا تجلى لروحي ان يكلمني رأيت في غيبتي موسى على الطور

•

مُزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
فاذا مسك شيء مسني فاذا انت انا في كل حال

•

من الطويل

دخلت بناسوتي لديك على الخلق
و «لولاك» لاهوت «خرجت من الصدق»

فما هو هذا « الروح » الالهي الذي يقوم مقام الشخص الثاني في هذه الاحاديث ؟

اتخذت مشكلة « الحلولية » عند الحلاج طابعين :

فلقد رأى فيها البعض تأثيراً مسيحياً بينما رأى الآخرون ايماناً بازلية الروح على شكل ما كوحدة عددية للعقل الانساني

وهذه الفكرة إما ان تكون مستقاة من الفلسفة اليونانية وإما ان تكون مستقاة من الفلسفة الهندية . وهي على كل حال مهدمة لوحدة الله حسب رأي القرآن . وهذا ما يراه البيروني في قوله : « ان بعض الصوفية يؤمنون بوجود روحين : الأول مخلوق والثاني غير مخلوق عند المتصوف وقد بلغ مرتبة الحكمة والى مثل ذلك اشارات الصوفية في العارف إذا وصل الى مقام المعرفة فانهم يزعمون انه يحصل له روحان : قديمة لا يجري عليها تغير واختلاف ، بها يعلم الغيب ويفعل المعجز ، واخرى بشرية للتغير والتكوين » .

ثم احتدمت « مسألة الروح » عند الحلاج خلال القرن الرابع للهجرة في محاولات المزج بين المتيافيزيقية اليونانية عن « العقل » والتصوف التجريبي عن « الروح » .

ونجد صدى لذلك عند السلمي الذي يحدثنا بان استاذه النصراباذي (توفي سنة ٣٧٢ هـ = ٩٨٢ م) وهو من تلاميذ الحلاج قد دافع عن الحلاج فيقول : « سمعت ابراهيم بن محمد النصراباذي وعوتب في شيء حكي عنه ، يعني عن الحلاج ، في الروح فقال لمن عاتبه : « ان كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج » .

ويبدو من الصعب رد « الروح » الحلاجي الى الادراك والقدرة على الفهم او « العقل بالقوة » حسب النظرية اليونانية القديمة المضافة لارسطو عند المعز لاسكندر الافرودوي . تلك النظرية التي استنتج منها ابن رشد بعد ابن سينا قوله بانه ليس هناك سوى عقل واحد هو العقل بالقوة عند جميع الناس ، وان الارواح تخلد فيه دون أي خلود شخصي ، وانها تخلد في ازلية وحدة الوجود المثالية .

اما « الروح » عند الحلاج فهو «العقل الفعال» ، ذلك الشيء الذي يشعل المعرفة في النفس عن طريق صورة روحية تلتهب فيها . كما يقول :

« تنتشي لهيباً بين تلك السرائر » . هذا الاشعال هو الوعي لأن حالة الوعي هي اولى مراتب الوجد « مواجيد حق أوجد الحق كلها » حيث نلقى « الحقيقة » وهي ليست بالحقيقة العقلية بل هي « الله » . هذه الحقيقة القائمة ليست حقيقة اي شيء .

يتحدث الحلاج عن هذا « الحق » في الابيات التالية ويرى فيها ابن خفيف (٣٧١ هـ = ٩٨٢ م) انها تمثل مذهب الحلاج في الاتحاد الالهي :

من الخفيف :

وحدني واحدي توحيد صدق ما اليه من المسالك طرقْ
هو الحق والحق للحق حق ولابس ملبسَ الحقائق حق
وقد تجلت طوالع الزهرات يتشعشعن من لوامع برق

ولقد كانت عقيدة الحلاج في « اللاهوت » و « الناسوت » شديدة الصلة باصولها المسيحية مما حال دون استمرارها في التصوف الاسلامي . ولم يقل بها من دون تلاميذه الاولين سوى « السالمية » لأن نظريتهم التي ينقدها الكيلاني تقول بان الله سيظهر في يوم الحساب في صورة آدمية محمدية لتحكم بين الناس . وهي تشبه قول الحلاج ان« الاحكام محكمة بناسوتيته» وان « الهياكل قائمة على ذرة بلاهوتيته » .

ثم اذا بهاتين الكلمتين تختفيان لقرنين من الزمان من المصطلح الصوفي بينما نرى المعجبين بالحلاج يحاولون تفسير مؤلفاته بشكل مرضى لينجو من عقوبة تحريم التفسير « الحلولي » لعقيدته .

ولا تظهر كل من كلمة « اللاهوت » و « الناسوت » إلا في مطلع القرن الثالث عشر في مؤلفات ابن الفارض (٦٣٢ هـ = ١٢٣٤ م) وعند ابن عربي (٦٣٨ هـ = ١٢٤٠ م) وقد تطورتا

تطوراً كبيراً :

قال ابن الفارض :

من الطويل :

ولم ألهُ باللاهوت عن حكم مظهري ولم انس بالناسوت مظهر حكمتي

اي انه يكفيني ان ابدل من وجهة نظري كي أراني في لاهوتيتي (إلها) وفي ناسوتيتي (انسانا) او كما يقول : (فلو بسطتْ جسمي رأت كل جوهرٍ به كلُ قلب فيه كلُ محبة)

وهكذا فان (الطبيعة الالهية)و (الطبيعة الانسانية) ليستا هنا سوى وجهين خالدين لحقيقة واحدة مطلقة . لان الفكرتين قد تماثلتا عند الصوفية المتأخرين بحل وجه التعارض بينهما . ولم نعد - كما هو الحال عند الحلاج - امام « هذا الارتفاع في المستوى الاولى الذي تنشأ عنه الطاقة ويسيل منه هذا المجرى بين الخالق « الحق » وصورته « هوهو » بل نحن هنا امام طرفين جامدين متماثلين لا يمكن تبديلهما .

ويرى ابن عربي ان الانسان « ضروري » لله كضرورة (الله) للانسان ، لان كلا منهما يشهد للآخر . وما علينا إلا ان نرجع لنقد ابن عربي لنظرية (انا الحق) عند الحلاج لنرى امثلة ذلك .

«فاللاهوت» يصبح عند ابن عربي المظهر الدائم الازلي الروحي في الكل الكبير ، بينما «الناسوت» هو مظهره المتغير المتنقل المتوالد المادي . وهكذا نرى مدرسة ابن عربي تعدل من بعض جمل الحلاج . فحينما كتب عند تعبيره انهصار (هوهو) كقوله : (هوية لك في ناسوتي) تقول مدرسة ابن عربي مصححة : (في لاهوتي) عوضاً عن (في ناسوتي) .

وكذلك اسم (هوهو) ، فقد استعيض عنه شيئاً فشيئاً بتأثير افكار اجنبية حول (العالم الكبير) والانسان « كعالم صغير » باسم : (الانسان الكامل) اي الانسان القديم عند المانوية و (آدم القدمون) في القبالة .

والانسان الكامل هو نموذج للانسانية العليا . ونرى هذه الكلمة لأول مرة في القرن الثالث عشر عند ابن عربي وعند سعد الدين الحموي ثم تصبح متواترة (كلاسيكية) بعد نشر كتاب عبد الكريم الجيلي (٨٢٦ = ١٤٢٣ م) وقد اتخذها عنواناً لكتابه .

وهكذا فان موضوع كتاب (طاسين السراج) هو محمد (كانسان كامل) .

١٢٧

٣ - نظرية « الطول » و « العرض » (الصيهور والديهور)

يعتقد الحلاج ان لادراكنا مرفوعين (dimensions) ألا وهما : الامتداد والفهم . وان لمستوى تصوره للعالم مرفوعين ايضاً . لأن مبدأ التعارض ليس سوى تبين العقل لضرورة (Dichotomies) .

ويضيف الحلاج ان هذه الاثنينية في الادراك تقابلها اثنينية العالم في الواقع ، فهو منفصل الى روحي وعالم مادي . وكذلك الاثنينية في الاخلاق : الفرض الديني والسنن العملية .

وتنتمي نظرية الحلاج - كما يقول ابن عربي - في (الصيهور) و (الديهور) الى اثنينية العالم المخلوق .

وعنوان الكتاب الذي يعرض فيه الحلاج نظريته هو (كتاب الصيهور في نقض الديهور) . وهو ولا شك يرمي لنقض المذهب الهليني عن خلود العالم .

وانه لمن العجب ان يقوم فيلسوف متصوف فيقول في اواسط القرن الرابع الهجري باثنينية العالم (روحي ومادي) تلك الاثنينية التي لا صلة لها البتة بالاسلام الأول .

وهل لنا ان نفترض - كما يقول ابن عربي في مدحه الرائع للحلاج - ان نظرية « الطول والعرض » ليست سوى النظرية اليونانية حول الاثنينية الظاهرة **لعالم الامر** ، (اي عالم الغيب او عالم الارواح) **وعالم الخلق** (اي عالم الشهادة او عالم الاجسام) وقد اصطبغت بالصبغة الاسلامية على يد مترجمي كتب الافلاطونيين المحدثين .

وهل هذان العالمان سوى مظهرين لمذهب وحدة الوجود الرئيسي ؟ هل يحتوي «الطول» عند الحلاج في « العالم الروحي» على العقل الالهي والروح غير المخلوق كما يحتوي في نفس الوقت على الارواح المخلوقة ؟

لا يشك ابن عربي في ذلك ، وهو من انصار وحدة الوجود حين يقول : « [ومن ذلك] سر الناقلة والقرض في تعلق العلم بالطول والعرض ، من كان علته عيسى فلا يوشى ، فانه الخالق المحيي والمخلوق الذي يحيي ، « عرض » العالم في طبيعته ، و « طوله » في روحه وشريعته ، وهذا النور من « الصيهور والديهور » المنسوب الى الحسين بن المنصور ، لم أر متحداً اوثق وفتق وبربه نطق ، و « اقسم بالشفق والليل وما وسق ، والقمر اذا اتسق » ، وركب « طبقاً على طبق » ، مثلهُ فانه نور في عنق ، منزلة الحق لديه منزلة موسى من التابوت ،ولذلك

كان يقول « باللاهوت والناسوت » وان هو ممن يقول « العين واحدة » ويجيل الصفة الزائدة ، وابن فاران من الطور وابن النار من النور ، « العرض » محدود و « الطول » ظل ممدود ، والقرض والنقل شاهد ومشهود . »

وفي الحقيقة فان الحسين بن منصور الذي يرى فيه هنا ابن عربي احد اصحاب مذهب وحدة الوجود يختلف كثيراً عن الحلاج الذي تعرفه من مؤلفاته الصحيحة .

وابن عربي هنا ، كعادته ، قد عبر حسب تفكيره عن النظرية التي قام بتحليلها .

٤ ـ نظرية الامر والارادة (المشيئة)

يعتمد الحلاج هنا على التجربة الصوفية المباشرة لحل مشكلة الصلة بين اللطف الالهي (Providence) والقضاء والقدر (Prédestination) ، تلك المشكلة التي ترجع الى النزاع بين « الخير » الذي يأمرنا الله به (الامر) وبين الشر الذي يتنبأ بوقوعه (الارادة) .

ويرضى الحلاج بهذا النزاع بدلاً من ان يخفيه . فهو يعلم ان لا حيلة للعلم بالوصول الى الماهية الالهية بل ان « الحب » هو الطريق اليها .

إذ ليست المعرفة الفكرية للقضاء الالهي هي التي تقربنا من الله بل انما هو خضوع القلب للامر الالهي في كل لحظة . لان « الامر » غير مخلوق بينما الارادة مخلوقة . وهكذا يضع الحلاج حداً لنقاش متكلمي عصره حول هاتين الكلمتين : «الامر عين الجمع والارادة عين العلم » . فكل قلب إذن يشغله السعي وراء الجزاء عن حرمة الامر ان هو إلا مرتزق وليس بخادم حق لله . وهذا ما حدا بالكيلاني في القرن التالي الى محاربة هذه التفرقة بين فكرتين هما صفتان متماثلتان لله .

وقد تبنت السالمية هذه التفرقة ونمتها مستشهدة على ذلك بموضوع « طاسين الأزل » . فلقد كان امر الله في دعوته ابليس لأن يسجد لآدم امراً شكلياً ، ولم تكن تلك ارادته . وإلا لسجد ابليس لأن كل ما يريده الله واقع . ويعتقد الكيلاني في اختصاره لهذه العقيدة ان الله (في امره وارادته) لا يريد من عبيده سوى الخير والطاعة . اما المعصية والشر فقد « ارادهما بهم لا منهم » فهو يريد ان يعصوا ولكن لا يريد المعصية من جانبهم .

ويرد الكيلاني على هذه العقيدة مستشهداً بآيات من القرآن (س ٢ آ ٢٥٤ ؛ ٥ ، ٤٥ ؛ ٦ ، ١١٢) مؤكداً ان الله يريد المعصية . ويخرج ابن سالم بنتائج مهمة من هذه العقيدة إذ يقول بان النزاع بين « الامر » و « الارادة » يحدث عنه « الابتلا » مصدر « البلا » . فالله « يأمر » بفعل شيء و «يريد» ان يحدث ضده . يأمر بالطاعة ثم يجعلها مستحيلة بارادته . ولقد فهم الحلاج هذا تماماً ، حين قال : « القاه في اليم مكتوفاً وقال له : « اياك اياك ان تبتل بالماء » . فمعرفة كل من الخير والشر الذي قدر علينا ارتكابه (الارادة) مُرة لأنها لا تعفينا قط من فعل الخير عن طيبة خاطر (الامر) . وما حكمة الحكيم الاليمة إلا في امتلاكه لهاتين الحقيقتين البديهتين المتعارضتين .

فامر الله شكلي وهو يحبه رغم انه يعلم ان الله اراده ان يعصيه . ذلك هو موضوع البلاء الذي لا مفر منه للانسان كي يكون قديساً . وهذا ما اباه ابليس إذ لم ير في «الامتلا» سوى « الارادة » دون «الامر» . ويكف ابليس عن المعصية ويعود الى طاعة امر الله وقد علم ان « الارادة » قد قضت عليه بهذه المعصية ، وذلك لكي لا يكون مسؤولا عن خطيئته متى اخطأ . واما الحلاج فهو لم يتراجع بل رضي بالتعارض . ولكي يدرك تماماً حدة هذا النزاع فقد تبنى ـ وهو العادل الذي يطبق قوانين الشريعة ـ معادي الآخرين ليحق عليه عقاب الشريعة التي يمارسها . فيبرهن بذلك على حبه للطاعة .

هذه العقيدة هي التي كانت تدفع به لألقاء خطبه الغريبة امام الجمهور في مفارق بغداد غربي سوق القطيفه امام مسجد العطاب او في مسجد المنصور داعياً سامعيه الى التشهير به وتكفيره فيزداد بذلك الله ويتضاعف اضطهاده ويعظم عذابه . وجميع هذه الخطب صحيحة وإلا لكان ذلك دليلا على ان تلامذة الحلاج قد تأثروا بتعاليمه تأثراً حدا بهم الى التوفيق ـ بواسطتها ـ بين حياته وخطبه امام الناس .

اما فيما يتعلق بفكرة الحلاج عن « المشيئة المخلوقة » وعن طابع «الارادة الالهية» المخلوقة فهناك نص صريح قاطع شوهه النساخ ينم عن تأثير الحلاج اللاحق في تطور الفكر الميتافيزيقي في القرن الوسيط . وهاك هذا النص: قال الحسين (بن منصور): « اول ما خلق الله تعالى ذكره ستة اشياء في ستة وجوه ، قدر بذلك تقديراً ، الوجه الاول المشيئة خلقها على النور ، ثم خلق النفس ثم الروح ثم [خلق] الصورة ثم الاحرف ثم الاسماء ثم اللون ثم الطعم ثم الرائحة ثم خلق الدهر ثم خلق المقدار ثم خلق

العماء ثم خلق النور ثم الحركة ثم السكون ثم الوجود ثم العدم ثم على هذا خلقاً بعد خلق ، على الوجوه الأخر اول ما خلق الله تعالى الدهر ثم القوة ثم الجوهر ثم الصورة ثم الروح هكذا خلقاً بعد خلق ، في كل وجه من الستة خلتهم في غامض علمه لا يفهم إلا هو قدرهم تقديراً واحصى كل شيء علما » .

نرى من هذا النص ان فكرة ترتيب المباديء الاولى المخلوقة التي يتكون فيها العالم غريبة عن الاسلام وهي ذات اهمية كبرى ، وقد اخذت من نظريات الفيض اليونانية رغم انها تقول « بالمباديء الستة » المخلوقة حسب (ستة اوجه) . وتجد العدد ستة في رسالة ابي نصر الفارابي (٣٣٩ هـ ٩٥٠ م) عن الفيض الافلاطوني المحدث .

بيد ان المشيئة عند الحلاج تتعارض مع « العقل » .

ولقد استمر استعمال هذا « العقل » عند الميتافيزيقيين المسلمين فيما بعد ، بعد ان وضع في صيغة حديث يقول : « اول ما خلق الله العقل » . حتى ان النظرية الدوزية ساوت بين « المشيئة » و « العقل » ، ولم تنتصر نظرية الحلاج في « المشيئة » وثورته ضد المذهب اليوناني العقلي إلا عند الفيلسوف اليهودي سليمان بن جبريل (١٠٢١ هـ) فهو يرى ان الفيض الأول هو « المشيئة » وكذلك الشأن عند معاصره بهيان بقودا.

٥ ـ مذهب المتكلمين الحلاجيين

وهو اول مذهب كلامي صوفي إذ ان الجنيد يقول : « وللصوفية كلام » . وقد اعتمدنا في جمعنا لمذاهب المتكلمين الحلاجيين على مقاطع الحلاج المئتين وواحد وتسعين التي حفظها لنا الكلاباذي في « التعرف » والسلمي في « التفسير » . وما عليك إلا بالرجوع الى كتب البغدادي وابن حزم والشهرستاني و « تبصرة » ابن الداعي لمقارنتها بمدارس المتكلمين القدماء . واما مقارنتها مع سهل التستري فيجب الرجوع لمخطوط كوبرولي رقم ٧٢٧ . اما مع الجنيد فبالرجوع لمخطوط شهيد علي باشا ١٣٧٤ ، واما مع السالمية فبالعودة لقوت القلوب المكي . ولا يجب ان ننسى تأثير فارس الحلاجي في خراسان في مذهب الماتريدي الحنفي .

١ ـ الاصول :

الترتيب المتبع : الأصول الخمسة عند المعتزلة (راجع المسعودي في مروجه ٦٠٠٠ ، ٢ وما يليها) . والأركان الخمسة عندالأشعرية (راجع البغدادي في الفرق ، ص ٣١٢ ومايليها) وكذلك الكتاب الشامل المعتزلي (مخطوط في ليدن ١٩٤٥)

١ ـ الشهادة : يرددها الله فينا إذا أراد ، والقول بتأكيد وجود الله بها كفر .

نفي التشبيه : يشبه مذهب المعتزلة والأشعرية معارضاً الكرامية .

الصفات : توكيد علو ذات اللاهوت . والصفات جميعها ازلية . (راجع الماتريدي ضد التفرقة الأشعرية بين الصفات الذاتية غير المخلوقة والصفات المعنوية والعقلية المخلوقة) هذه الصفات ان هي إلا اوصاف للجوهر (راجع « المعاني » عند تمام و « الاحوال » عند ابي هاشم على عكس عقيدة الظاهرية في الصفات الحقيقية ونظرية ابن الحكم وابن كلاب والاشعري) والصفات هي (نعوت الحلول) اي ان الجوهر الالهي يمكنه « الحلول » في الطبيعة الانسانية (الناسوت) فتصير الهية ، وذلك بواسطة الروح (راجع النقض الاشعري في الفرق ص ٣١٥) ، وهكذا تصبح رؤية الذات ممكنة (وقد رفض ذلك المعتزلة والامامية) (بينما اكدها البصري وسهل وفارس) وما بقي فهو مخلوق . المشيئة مخلوقة (راجع نقض الاشعرية في الفرق ص ٣١٥) والحروف مخلوقة (راجع المحاسبي ، سهل ، والمعتزلة ضد الحنابلة) ومن ثم فنص القرآن مخلوق (راجع قول المعتزلة ضد الاشاعرة .)

٢ ـ العدل

خلق افعال العباد : قبل ذلك في نقاش مع الجبائي ضد فكرة « التوليد » عند المعتزلة . لان « الاستطاعة » الالهية موجودة « قبل الفعل » (راجع ضرار وسهل .) « مع الفعل » و « بعد الفعل » (قال المعتزلة بانها موجودة فقط « قبل الفعل » . ولكن هناك اختيار العبد (راجع الماتريدي ضد « الاكتساب » عند الاشعرية . راجع نظرية الصوفية «في الكسب » و « الحال »)

الاستثناء في الافعال : لا فائدة فيه (راجع الواسطي ـ التبصرة ص٤٠٧ ، كذلك قول الحنفية ضد ابن حنبل والاشعري والامامية) . الله لا يوهب الفساد كقول المعتزلة ضد الاشعرية (راجع الفرق ص٣٢٠). وهذا يتفق مع الاقوال السابقة بفصل نظرية « الارادة » المنفصلة عن « الأمر » (راجع السالمية والبصري في قوت القلوب ج ٢١ ص ١٢٨ ضد الحنابلة .)

٣ – الوعد والوعيد

التوبة فرض (راجع سهل والمعتزلة ضد المرجئة)

مع القول بان الله لاتوبة عنده (راجع قول المعتزلة)

قبول التوبة واجب على الله : (كقول معتزلة البصرة ضد معتزلة بغداد وضد المرجئة والاشعرية) « نظرية الامرين » (راجع الترمذي وابن العربي في الفتوحات ، ١ ، ٢٠٥)

٤ – الاسماء والاحكام :

الاسم والمسمى والتسمية لاتتساوى إلا في الله (ضد الحنابلة)

اسماء الله العظمى : (والتفرقة بين الكيفية والمجاز والحقيقة) كقول المعتزلة ضد مدرستي الاشعرية عند الباقلاني والرازي .

صاحب الكبيرة ليس « فاسقاً » كقول المعتزلة بل « منافقاً » (راجع البصري الذي يرى في « النفاق » الخطيئة المميتة ، راجع قوت القلوب ، ١ ، ٢٤٣ ، و « الشامل » ١٢٦) و « كافراً » (كالخوارج ضد المرجئة الذين يستمرون في تسميته « مؤمناً »)

الايمان : هو القول والتصديق والأعمال . (ضد « القول » عند الكرامية ، و « التصديق » عند المرجئة و « الاعمال » عند المعتزلة . ليس المهم عند المؤمن ان يكون موحداً لأن هذا لا يمنع من ان يكون ملعوناً . (راجع نظرية المرداء في الشهرستاني ١ ، ٨٨ ضد المرجئة) بل المهم ان يكون « محباً » (راجع قول الخوارج وسهل) . وليس الايمان ثابتاً لايتغير الا عند الله ، – وهو ينمو ويزداد عند الحكماء – ويتغير عند الآخرين . (راجع فارس – الساعة ، في الكيلاني في الفنية ١ ، ٧١ ، والشعراوي ، ١ ، ٧٧) وكذلك الجنيد وسهل ضد الاشعرية)

٥ – الوجوب والامر بالمعروف :

وجوب العقل والشرع في الامامة . (راجع اهمية الأمام « العادل » عند سهل وابن عطاء والسالمية . راجع قوت القلوب ٢ ، ١٢٥ ضد وجوب « العقل » فقط عند الشيعة ووجوب « الشرع » عند الزيدية والاشعرية كقول معتزلة بغداد .)

الشاهد : نظرية «الشاهد الآتي» المستمدة من نظرية الحلول وهي تفضي الى القول بأن «الولي» افضل من «النبي» (نص عند ابن بابويه في « الاعتقادات » وهو مخطوط في لندن رقم ١٩٦٢٣ fo ٢٤ b وهي نظرية الترمذي . راجع نقض الاشعرية في الفرق ، ٣٣٣)

كرامات الاولية (ضد الجبائي وابن سهل النوبختي والمعتزلة . راجع الفرق ٣٣٥)

دليل الحجة : هو الله وحده (نظرية اجماع اساتذة الصوفية حسب الكلاباذي) ومنها ان البيعة والشفاعة لله وحده (ضد نظرية « شفاعة النبي والعلماء » عند الاشعرية : راجع الفرق ٣٣٩) ولكن الله يحل في الأولياء .

التجلي بالعبادة : (راجع ابن بابويه والسالمية في قوت القلوب ٢ ، ٨٦)

٢ – الفروع .

١ – الفروض و (٢) النوافل عند الحلاج وفارس (نفس المصادر)

١ – الفروض : تكليف العبد : نوعان : تكليف الوسايط وتكليف الحقايق . اسقاط الوسايط عند تحقيق الحقايق والاستعاضة عن الحج (راجع نص السليمي المهم في تفسير القرآن ٣ ، ٨٩) وفناء الشهادة ، وفناء الذكر والاستعاضة نهائياً عن الصوم والزكاة وجميع الشريعة با «لحقيقة» (راجع قول الباطنية في الفرق، ٣٣٦ ضد الحنابلة في وجوب الفروض، الفرق، ١٣٣)

تحقيق الحقايق : (اطاعة الارادة الفردية الأمر الالهي في كل حين (حلول الخاص) .

٢ – النوافل : لها اهمية خارقة إذ ان كل فرض يجب ان يصير « نافلة » فيصبح عملياً تلقائياً غير مأجور (راجع فضيلة الوالي، ص ١٥٤ رقم ٢) فضل الفكر على الذكر (لا اللاهوت الارسطي ١٧٢ ، ١٧٧ . نقض الدقاق) .

فضل الشكر على الصبر : (راجع الترمذي العطار ضد الجنيد) اما عند الحلاج فالشكر يأتي من عند الله وحده كما كان يقول له «اشكر نفسك اني» .

فضل المعرفة على العلم : (راجع النصيرية ضد الجنيد وابن رشد (٥٢٠، ١١٢٦) ليس للمعرفة هذه منتهى « الاقناع » والقبول كما هي في النظرية اللاهوتية عن الايمان عند الجهمية والامامية بل هي عن « الحكمة » الالهية المائلة لله والتي لا يملكها الانسان إلا في الجود الالهي، على عكس « العلم » الذي هو معرفة استنتاجية discursive

باريس

نقلها عن الفرنسية
شعبان بركات
ليسانس في الآداب

هجم التتار

هجم التتار
ورموا مدينتنا العريقة بالدمار
رجعت كتائبنا ممزقة .. وقد حَمِيَ النهار
الراية السوداء والجرحى وقافلة موات
والطبلة الجوفاء والخطو الذليل بلا التفات
وأكف جندي تدق على الخشب
لحن السغب
والبوق ينسل في انبهار
والأرض حارقة كأن النار في قرص تُدار
والأفق مختنق الغبار
وهناك مركبة محطمة تدور على الطريق
والخيل تنظر في انكسار
الأنف تهمل في انكسار
والعين تدمع في انكسار
والأذن يلسعها الغبار
والجند أيديهم مدلاة الى قرب القدم
قمصانهم محنية مصبوغة بنثار دم .

★

والأمهات هربن خلف الربوة الدكناء من هول الحريق
او هول انقاض الشقوق
او نظرة التتر المحملقة الكريهة في الوجوه
او كفهم تمتد نحو اللحم في نهم كريه
زحف الدمار والانكسار
وا بلدتي ! زحف التتار .

★

... في معزل الأسرى البعيد
الليل والأسلاك والحرس المدجج بالحديد
والظلمة البلهاء ، والجرحى ورائحة الصديد
... ومزاح مخمورين من جند التتار
يتلمظون الانتصار
ونهاية السفر السعيد
وانا اعتنقت هزيمتي ورميت رجلي في الرمال
وذكرت – يا أمي – أماسينا المنغمة الطوال
وبكيت ملء العين يا أمي ، لذكرى كالنسيم
وغمائم الكلم القديم .

★

أمي .. وانت بسفح ذاك التل بين الهاربين
والليل يعقد للصغار الرعب من تحت الجفون
والجوع والثوب الشفيف
والضم والسعلاة والظلماء تقعي في الكهوف
أترى بكيت لأن قريتنا حطام ... ؟
ولأن اياماً أثيرات تولت لن تعود ... ؟
أماه .. إنا لن نبيد
هذا بسمعي صاحب من اهل شارعنا العتيد
وسعال مهزوم قعيد
وفم يهمهم من بعيد ... بالوعيد
وانا – وكل رفاقنا – يا أم حين ذوى النهار
بالحقد أقسمنا سنهتف في الضحى
بدم التتار
اماه ؛ قولي للصغار
أيا صغار
سنجوس بين بيوتنا الدكناء ان طلع النهار
ونشيد ما هدم التتار .

القاهرة صلاح الدين عبد الصبور

بول ڤاليري : المفكر السياسي

بقلم عبد اللطيف شراره

الشائع المشهور – في بلادنا العربية على الاخص – ان بول فاليري شاعر، وانه شاعر من طراز رمزي خاص! وإذا صح أو استقام لعارفيه قدره الفكري، وقيمته الفلسفية، فان هذه القيمة لا تتعدى، في نظرهم، حيز النقد الادبي والنظريات الجمالية الخالصة.

ذلك بان الذين عُنوا بفاليري من رسل النهضة الادبية الحديثة، لم يشارفوا آفاقه، في ديار العربية، إلا من زاوية النقد والشعر، واهملوا، تبعاً لذلك، سائر مناحي النشاط التي ظهر بها فاليري، في الربع الثاني من هذا القرن.

والحقيقة هي ان بول فاليري مفكر أكثر مما هو شاعر. وليست شاعريته نفسها إلا جانباً من جوانب عبقريته الفكرية، حتى ان بعض النقاد قارنه مع غيره من فلاسفة العصور الغابرة والحديثة، ثم لم يجد له قريناً بينهم غير ديكارت، استاذ المفكرين المحدثين في اوربا.

ولا مشاحة ان التيار الفكري الذي احدثه فاليري في اوساط المثقفين المعاصرين، يحمل من العمق والطرافة والشمول ما يجعله قوياً دافقا، بحيث يسري زخمه الى اجيال واجيال ... من بعد هذا الجيل الذي عرفه.

على ان الغرابة التي يقع عليها الباحث في أدب فاليري وسيرته الفكرية، إنما تظهر اكثر ما تظهر، في اشتغاله النظري بالسياسة، او اهتمامه، على الاصح، بدرس الواقع السياسي في عالمه، في عصره، وتحليل ظواهر ذلك الواقع، وابراز ما فيه من ضلال وخطأ واعوجاج، فاذا انت اطلعت على « نظراته في العالم الراهن » وعلى « صور فرنسا » تجد ان مكانة ذلك الشاعر في التفكير السياسي، لا تقل عن مكانة اي سائس اوربي، كان لمبادئه وتوجيهاته أثرها القوي الفعال في حيوات معاصريه. فأين السر في هذه الغرابة ؟

– ١ –

هناك شيء اكيد، هو ان خوض ميدان الفكر، او الاشتراك في « لعبة الفكر » يؤدي حتماً ودوما، الى الارتطام بما هو اجتماعي، وما هو شخصي، ولا يملك « اللاعب » ان يتحامى هذه الورطة، مهما جهد في تجنبها، واختطّ من سُبُلٍ للابتعاد عنها.

تأمل سِيَرَ الأفراد في قريةٍ ما، ولاحظ اساليب سكانها في المعيشة، وطرائقهم في اجتماعاتهم وسهراتهم وحفلاتهم وزياراتهم، وانظر موقف كل منهم حيال الأحداث المهمة في القرية من عرس الى مأتم الى قدوم غريب الى ولادة طفل، تجد ان « الأذكياء » في القرية يفكرون في هذه الأحداث تفكيراً خاصاً، وكثيراً ما ينتقدون ردود الفعل لدى مواطنيهم، ومنهم من يحاول تبديل الأوضاع، وتغيير العادات وتحسين الجو الذي يهيمن على ابناء قريته، فينزلق في « سياسة » القرية، ثم لا يخرج بعدُ من الورطة التي ارتطم بها.. وما ذلك إلا لأنه « يفكر » !

تلك هي قصة ڤاليري الشاعر ! وتلك هي قصة اشتغاله النظري بالسياسة الأوربية، فقد كان ڤاليري يعمل، في نجوةٍ من الدنيا، ومعزل عن المجتمع، على فرز الفكر المحض، المطلق، وتخليصه من جميع الشوائب التي تعلق به عادة، من الانفعالات، الى المصالح، الى العواطف . .

كان يعلم، خلال اهتمامه هذا، ان المحاولة التي شرع فيها لا تفضي الى « ممكن اجتماعي »، هذا إن لم يكن نجاحها « مستحيلاً » حتى على الصعيد الفردي" ! ولكنه بدأ .. فليمض في تجربته، ولتكن نفسهُ مختبراً يمارس فيه اعماله، إذ لا بد له من عمل يعمله، وهو القائل: « ان اشرف نشوة واشدها عداوة



بول فاليري – بريشة جورج دسبانيا

للاشمئزاز الأعظم ، هي تلك التي تأخذ اصولها في الأعمال » .

وهنا .. غاص ڤاليري ، وغاص في افكاره ، يقلّبها ، وينقيها ، وينقحها ، ويتأمل فيها ، وفي الكلمات التي تعبر عنها ، وفي الأجواء التي تخلقها لفظة الى جانب لفظة ، وفي المعاني التي تتضح هنا وتختفي هناك ، ولكن .. عبثاً ! !

لم يستطع ، حتى في عالم الألفاظ والكلمات ، ان يبلغ منيته الكبرى في « فرز الفكر المحض » ، فهذه الكلمات التي يستعملها ليست له ، ولا هو وضعها ، ولا هو الذي اوجدها .. انها من عمل اجيال واجيال ، تقدمته في العمر ، وسبقته في التاريخ ، وكانت ملتقى الأفكار القديمة والمعاصرة على السواء ، فلا بُدّ للناس ان يفهموا منها ما لا يفهمه هو ، كما انه هو يفهم منها ما لا يفهمه غيره .

امام هذه العقبة الكأداء ، لم يجد ڤاليري مفراً من إلقاء سلاحه ، او تغيير وجهة سيره الفكري ، فرأى بثاقب نظره ان الهزيمة تنتظره اذا استمر على عناده في تحرّي الفكر المطلق عن طريق الكلمات ، ووقف يستجم قائلاً « ليست هناك نهاية ! »

ها هو يقف على عتبة الهداية ، ويوشك ان يهتدي ، ولكنه انفتل عن غايته ، وعوضاً عن ان يفكر في « المطلق » الذي ينشده ، أدار سمعه للموسيقى ، وطفق يحسد عباقرتها الذين يعيشون في عالم الأنغام ، لا في عالم الكلمات ، ويبنون هناك أبنيتهم الشامخة بكل حرية ، ولا يجبرون على مساومة احد خارج عن نفوسهم ، وتبديل أحاسيسهم او معانيهم من اجله ، ثم يظلون ، الى ذلك ، قادرين على الاتصال بالناس ، وبثهم ما في قلوبهم !

اخذ هذا « الامتياز » الذي يتمتع به اهل الموسيقى يعذب نفسه ، وعن هذا العذاب الغريب ، الفريد في نوعه ، تنبثق جميع الآراء الفنية والفلسفية والسياسية التي تفرّد بها ڤاليري .

— ٢ —

ذلك يعني ان ڤاليري لم يكن « فيلسوفاً » ، وإنما سيق الى التفكير والتأمل سوقاً ، إزاء مشاكل فنية عرضت له ولم يملك حلّها ، لا لأنها بطبيعتها لا تحل ، بل لأن حلها غير منوط به وحده . إنها من شأن المجتمع ، من شأن الجماهير ، من شأن التاريخ والساسة والحكام ، وهكذا ... اصبح ، رغماً عنه ، مفكراً سياسياً .

لم يكن يثق بالفلاسفة ، ولا بمذاهبهم ، لأنه يحمل عنهم فكرة صحيحة ، في منتهى الضبط والصحة ، هي ان كل جهاز فلسفي معرّض للشطط ، محكوم عليه بالغلوّ والمبالغة ، ابداً ودائماً .

هذا صحيح عند فرويد الذي اشتطّ في تعميم نظرته الى الغريزة الجنسية ، وبالغ في تأثيرها على كل سلوكٍ إنساني ، حتى جعل من الانسان « بهيمة » لا يملك من امر غريزته شيئاً ، ولا فكاك له منها بحال من الاحوال ، ولا بشكل من الاشكال .

وهذا صحيح عند آدلر الذي اشتط في حسبانه حبّ السيطرة مدار كل حياة ، ومبعث كل تصرّف ، واداة كل تقدّم وعمل .

وهذا صحيح عند ماركس الذي غالى في نظرته الاقتصادية مغالاة أعدم بها كل تجربة انسانية اخرى ، ومحا من النفس كل تطلّع نحو المطلق ...

الأجهزة الفلسفية إذن ، غير اهلٍ للثقة ، لانها تخسر ، إذ تعمّم وتشمل وتبالغ ، قسماً كبيراً من الحقيقة التي تنطوي عليها .

ولكن ڤاليري لا يقف عند هذا الحد في مقاومة « السَّتْمَمَة » [1] الفلسفية التي يلجأ اليها الفلاسفة ، ويفرضون بها رأيهم على الحياة تعنتاً واعتباطاً ، بل يذهب به التفكير الى حجب ثقته ايضاً عن المؤرخين ، ويرفض تخويلهم اي حقٍ في التعليم والارشاد والتنبؤ ، لأن الحوادث ، حوادث هذا العصر خاصة ، أثبتت عجزهم وقصور حساباتهم ومقابلاتهم ومقارناتهم ، ويقول : « ما من شيء يتكرّر ! على الرجال ان يستعدّوا لمجابهة ما لم يكن قط ، ولا حدث قط ! » .

ماذا بقي لدى ڤاليري إذن ؟

— الدين ؟؟ هذا لم يبحث فيه ، ولا تعرّض لذكره ، ولا خاض في حديثه . الأخلاق ؟؟ هذه ايضاً لم يكن له معها اي شأن ، ولا اقترب منها في قليل أو كثير ! ماذا إذن ؟

كانت متعة ڤاليري الكبرى في مجموعة من الكلمات التي يردّدها الناس ولا يفهمونها ، ويتحمسون لها ولا يدركون شيئاً واضحاً من مدلولها : طبيعة ، حب ، حقيقة ، عقل ، جمال ، شعر ، فكر ، وما اشبه ذلك ورادفه واشتق منه وتفرّع عنه.

ولكن ، هل للشعر سياسة ؟

هذا سؤال طرحه كارل شابيرو في مجلة «شعر» التي تصدر

(١) هذا تعريب ، على اسلوب العلامة الشيخ عبد الله العلايلي ، لكلمة Systématisation

في نيويورك[1] وأجاب عنه بما يلي : « يبدو لنا ان النقد المجرّد المُستتم ليس مما يخص الادب ، وإنما هو من اختصاص العلم والفلسفة . نحن نرى ان النقد الادبي يجب ان يكون ذاتياً - لا شخصياً - ، مليئاً بالحرارة، إنسانيّ التواضع والاحتشام ، متفرّداً في اسلوبيته ، ونميل الى الحكم على فصلٍ نقديّ بما فيه من بيان وطلاوة ، لا بما فيه من فضيلةٍ واستقامة » .

أظن أن هذا الجواب هو الصحيح، إذ لا يمكن ان يكون للشعر سياسة ، ما دام تعبيراً عن خلجاتٍ وأحاسيس وعواطف لا يجري عليها حتى مبدأ الحريّة ،بمعنى ان الشاعر نفسه لا يكون حرّاً في ان يحس على هذا النحو او ذاك ، أو يمر بهذه التجربة العاطفيـة أو تلك ، فهو ينطلق إذ ينطلق مدفوعاً بدوافع داخليّة عميقة لا يد له فيها ، ولا قدرة له على تبيّنها في اكثر الأحيان !

غير ان ڤاليري ردّ الشعر نفسه إلى قيودٍ فكرية ولغوية

---

(١) Poetry . June 1953 P . 178

وبيانية ، ووضع له نظاماً رياضياً دقيقاً يذكرنا بأعقد المعادلات الجبرية ، والعمليات الحسابية ، أي أنه انتهى ، بتعبيرٍ آخر ، إلى وضـع « سياسة شعريّة » كما فعل قبله سبينوزا ووضع « هندسه اخلاقيّة » !

أقول « سياسة شعرية » استناداً إلى محاضرة القاها ڤاليري في جامعة الأنـال ، عنوانها « سياسة الروح » برهن فيها أن الروح تجتاز اليوم ازمة عظيمة ، وانّ القيم الكبرى في أزمة ، فلا فائـدة بعدُ ولا جدوى من الحضارة ، حتى ولا أمل في إنقاذها ...

- ٣ -

تلك هي نتيجة السياسة الشعرية التي انتهى اليها ڤاليري وآمن بهـا : تشاؤم كالح ، وظلمةٌ سوداء ، واضطرابٌ في تناول الحياة ، وتلذّذٌ فريد بالتهاويل والتصاوير وزخارف الأخيلة . ويشدّ هذه الاشياء في نفسه شوقٌ غامضٌ خفيٌ ، إلى الجمال ، والجمال فحسب ، دون أي رابطةٍ تربطـه بالحق أو العدالة أو الخير الشامل ، وهـذا من أعجب الأمزجة الكئيبة التي شهدها القرن العشرون !

ڤاليري يرى أن « السياسة وحرية الفكر يتمانعان ، لأن السياسة أصنام ! » ويرى أيضاً أن« كل سياسة تنزع إلى معاملة الرجال على أنهم اشياء ، لأنهـا تتصرف بهم وتستخدمهم وفق مبادىء وقواعد مجرّدة غامضة ، بحيث يتاح لها تحويل هـذه المبادىء والقواعد إلى أعمـال من جهة ، وتجهد في تطبيقها من جهةٍ ثانيـة ، على جمهرة عديدة مختلفة من الأفراد المجهولين » . ويرى اخيراً أن «مامن سياسةٍ إلا وهي تنطوي ضمناً على رأي خاصّ، وفهمٍ خاص للانسان وطبيعته »

أما نظراته في أوروبا ومصيرهـا فانها من الدقة والعمق والسخرية السوداء بمنزلةٍ عجيبة ، طريفة ،أليمةٍ في آنٍ واحد . فهو يحسب أن أوروبا « ستُحرم من النبيذ ، ومن أشياء أخرى تتبعه ... » وتبدو له أنهـا « ليست غير رأس جغرافيّ صغير تابع للقارّة الآسيوية » ولا يداخله ريب في أنها تتوق إلى ان تحكمها لجنة أمريكيّة ...

وتجد ، الى هذا التشاؤم في نظره الى اوربا ، يأساً من السلم وإمكان تحققه في إطـار الحضارة الاوربية الحديثة . إسمعه يشرح يأسه :

« لن يكون ثمـة سلم حقيقي إلا اذا كان الجميع مرتاحين

مطمئنين ! هذا يعني ان ليس ثمة سلم حقيقي ! » وفي مقام آخر : « السلم انتصار وهمي ، أخرس ، مستمر للقوى الممكنة ، على الشهوات المحتملة ! » . ويقول : « ربما كان السلم تلك الحالة التي تتمثل بها كراهية الناس بعضهم لبعض ، في اعمال انشائية ، عوضاً عن ان تتمثل في التدمير والتخريب اثناء الحرب » .

الواضح من هذه الافكار والآراء السياسية التي انتهى اليها ڤاليري ، انها لا تتخطى منطق الواقع الاوربي ، ولا تحاول ان تسبغ على الاحداث العامة لوناً من هوى خاص ، او عاطفة خاصة ، فمن أين هذا التشاؤم وكيف نفسره ؟

الحقيقة ان فاليري واحد من عديد المفكرين الاوربيين الذين شغلهم مصير الحضارة الغربية اكثر مما شغلهم اصلاح هذه الحضارة ، وتدارك النتائج التي تنجم عن عيوبها .

فهؤلاء المفكرون ـ شبنغلر ، اندره سواريس ، كايزرلنغ ، برغسون الخ ... ـ ادركوا الخطر ، لانهم كانوا يعيشونه ، ولكن عاطفتهم الاوروبية ظلت مكانها ، ولم يتزحزحوا عنها قيد انملة ، فأنت لا تقرأ كلمة واحدة كتبها فاليري مثلاً في شجب الاستعمار الغربي ، ولا نلاحظ انه حاول مقاومة الشرور والمفاسد التي تنجم عنه في داخل اوربا ، في تفكيرها وسياستها ، وما ذاك إلا لأنه مفتون ، على غير وعي منه ، بما حققه الاوربيون من فتوحات ، في عالم الفن والعلم ، فهو إذ ينعى اوربا لنفسها نعياً منطقياً رياضياً ، لا يفكر ابداً ، ولا يخطر على باله شيء مما فعله اهل اوربا في فلسطين ، والعراق ، والهند ، وايران ، ومصر ، وسائر بلاد افريقيا الشمالية والجنوبية !

ذلك هو مصاب اوربا الحقيقي الذي لم يوفق احد من مفكريها الى التقاطه واظهاره عياناً إلا فيما شذّ او ندر ! والذين تشاءموا منهم ـ واقواهم المتشائمون ـ إنما كانوا يصدرون في افكارهم ، عن إحساس بالواقع ، دون استقراء لأسبابه الخارجة عن اوربا ، الداخلة في تكوين بلائها وعذابها .

اوربا جزء من العالم ، وهي أقل اجزائه عدداً ، وأضعفها إيماناً بالمبادىء الانسانية ، وأبعدها عن تحقيق ما تستطيع تحقيقه من خير وعدالة وانصاف ، ولكنها تصرّ على اعتبار نفسها فوق العالم ، وتسعى الى السيطرة ، متناقضة بذلك مع منطق الحضارة الانسانية ، أقتل التناقض وأقساه !

وهذا هو السبب في تشاؤم كل مفكر أوربي عظيم !

عبد اللطيف شراره

في غيبة الحلم

[الى كل من عانى الهزيمة بعد الكفاح ، ولكنه لم يستسلم لان الكفاح في روحه ودمه]

•

نحن لم نحمل من الليل سوى وهج النجوم
وسوى بارق طهر رفّ في العتم الأثيم
واختزنا من زهيد الزهو في عهد الهموم
خمرة تمسح عن أضلعنا ذكرى الجحيم

★

نحن ، والصحراء : ارض الكفر بالغيث الكريم
شربت دفق صبانا ، وسقت شوك الهشيم
دمنا المسفوح كم روّى من الرمل العقيم ،
ونضبنا ، ورآنا الفجر انصاب وجوم
وجفوناً حَفيت ، اودى بها لفح السموم
ترمق الأفق وترجو مهبط الطلّ الرحيم
ترمق الأفق وترجو رجعة الحلم العظيم
صغرت احلامنا في غيبة الحلم العظيم
وابتلينا بالظما الكافر ، والجوع اللئيم
فهززنا الشهوة الحرّى على صدر رميم
ووردنا بركاً سوداء فاضت بالحميم
واعتصرنا ثمرات نضحت سمّ السموم

★

أمسنا ! خذ الظما الكافر والجوع اللئيم !
أمسنا المهدور في الصحراء ، في الرمل العقيم ! !
صبّ ما شئت من الحسرة ، من ذكرى الجحيم
في مدانا ، في مدى حاضرنا الغضّ النعيم
انت في عتمتك النكراء خيط من هموم
يتلاشى في البحار الزرق ، في النور العميم
نحن لم نحمل من الليل سوى وهج النجوم

بيروت ــ الجامعة الاميركية **خليل حاوي**





« فورة الترجمة »

ليس الاقبال على الترجمة في الادب الحديث بالشيء الجديد . فقد ترجمت آثار كثيرة مختلفة في حقول شتى من حقول الثقافة . وكان نصيب الادب منها كثيراً . ولا شك ان الادب العربي والادباء قد افادوا من هذا النصيب الغريب ، وارشدهم الى الاخذ بفنون جديدة كانت مهملة ، او معدومة . ومما زاد عنصر الترجمة قوة ان كبار ادبائنا اخذوا به ، ونقلوا بلغتهم واسلوبهم الكثير من الادب الغربي . ومن هـؤلاء الدكتور طه حسين واحمد حسن الزيات والعقاد والمازني وسواهم من قادة الجيل الحاضر ، بل نرى بعضهم راح يلح على الترجمة ما دمنا فقراء لأن ترجمة الآثار العالمية تفتح لأدبائنا آفاقاً جديدة في الاطلاع عـلى القمم الشامخة التي اكتشفها نبغاء العالم ، وكأن الحاجة الى الترجمة اصبحت فناً قائماً بذاته بعد ما تشابكت الآداب العالميـة ، واقتربت عوالم التفكير بعضها من بعض .

ولكن هذه الترجمة منها ما كان يحسن الى الادب ، ومنها ما كان يسيء اليه . فهي من الحسنات حين يتناولها رجال ثقات في علمهم وادبهم ولغتهم ، اذا نقلوا نقلوا بأمانة ، واذا كتبوا كتبوا بأسلوب عربي مبين . وهي من السيئات حين يتولاها رجال ضعفاء لا يكادون يتوهمـون الفكرة حتى يعبروا عنها تعبيراً سيئاً مشوهاً ركيكاً .

إن من يتتبع النشاط الادبي في هذه الايام عندنا يجد ان هنالك ثـلاث مدارس : مدرسة التأليف الحديث ، ومدرسة نشر القديم ، ومدرسة الترجمة . اما الاولى فلا تزال هزيلة ، لا تكاد تقوى على حمل نفسها . والسر في ضعفها يعود الى عوامل كثيرة . منها انطواء الاديب على نفسه ، وعـدم اتصاله بمجتمعه ، ومنها عدم التشجيع والاستجابة له في بيئته . ومنها ضعف الناشر الذي يخاف المؤلف ، ويخـاف القراء . واما الثانية ، وهي مدرسة نشر القديم ، فتتولاها مجامع محدودة ، تعمل على إحياء الآثار القديمة المهملة ، او نشرها نشراً علمياً صحيحاً . لا تتخطى فائدتها استفادة المؤرخ الدارس منها ، فهي قليلة الاثر في الحياة الواقعية ، ضعيفة الطابع ، ليس لها لون ادبي موصوف ...

واما الثالثة ، وهي مدرسة الترجمة ، فهي اكثر الانواع الادبية رواجاً ، واحمدها فائدة للناشر والمترجم ، واغناها ثقة عند القراء . فالاقـلام حيث نظرت تترجم ، والمطابع تقذف ، والمكاتب تغص بألوان مختلفة ، وموائد مكتظة بكل طعام غريب ، ولون جديد من الوان الآداب العالمية . وقد كان اللون الفرنسي قبل الحرب العالمية الثانية يغلب على آثارنا المترجمة ، ثم جاراه اللون الانجليزي ... وكان المترجمون يتناولون ادب القصة حيناً ، وادب المقالة حيناً . ولم يكن في هذا كله ما يشجع على إتباع طريق الترجمة ، لأن اكثر ما ترجموه يعود الى ادب الخاصة ، والترف الفني المحدود .

والآن ، طغى على هذه الالوان كلها لون الادب الروسي الحديث . وقد كان هذا اللون معروفاً عندنا ضمن حدود ضيقة لم تسمح بالكشف عن هذه الكنوز الرائعة التي وجد فيها نقاد الغرب اصدق ما جادت به القرائح الادبية في مجالي القصة وتصوير الواقع . وغير بعيد ما احدثه الادب الروسي من ضجة حين نقله الناقلون الى الآداب الغربية الاخرى ، وقد تجلى اثره في توجيه الادباء الى معالجة القصة الواقعية النفسية التي تتخذ النفس الانسانية مادتها الرئيسية . ولن ترى ابلغ في الدلالة على اثرها من هذا الاسلوب القصصي المعاصر الذي يأخذ عن القصة الروسية ويجعل منه، طريقة متبعة في كتابة القصة .

وقد تزاحمت دور النشر على نقل هذا اللون بعد ما رأت رواجاً له عند القراء . منها ما اتخذ طريقة الاقتباس والتلخيص . ومنها ما كان اميناً في نقل الاثر كله . ولا شك ان الطريقـة الاولى فيها مسخ للفكرة والقصة ؛ لا تؤتي نفعها في عـالم الادب ؛ بينا الطريقة الثانية الحريصة على نقل الاثر كله بأمانة هي الاجدر بالتقدير ، لأنها جعلت غايتها ادبية قبل ان تجعلها تجارية .

وفي طليعة هذه الدور الناشرة « دار العلم للملايين » و « دار اليقظة » وقد طلعت كتاباهما على عالمنا ببرنامج ضخم ، سيترك تحقيقه اثراً كبيراً في الادب العربي الحديث ، ويعمل على تشجيعه ، لانـه السبيل الاول الى نقل هذه الآثار التي قرأهـا الكثيرون منا بلغات اجنبية . وليس بغريب بعد هذا ان تلقى هذه الآثار رواجاً عند القارىء العربي الذي يتلهف منذ القديم الى قراءة آثار تتفاعل نفسه مع نفسها ، ويستجيب تفكيره لتفكيرها ؛ لأنها منبثقة من صميم النفس الانسانية ، صادقة في تصويرها بآلامها ومتاعبها ، ويأسها ورجائها ، ونعيمها وشقائها . ولعل اهل الادب المحنط سوف يعتبرون بهذا الادب ، فيعرضوا عما ليس له صلة بأنفسنا ، ويقبلوا على كتابة ادب مستمد من واقعنا وحقيقتنا !

على ان افضل ما يلزم دور النشر الاخذ به ان تحسن الانتقاء والاختيار . فخير ما يخلد ويبقى تلك الآثار التي استهدفت النفس الانسانية في كل زمـان ومكان ، فتناولتها كنفس بعيـدة عن اغراض ضيقة محدودة ، لأن الغرض المحدود يموت ، ويموت معه ما تسبب عنه ، بينا الأثر النقي يخلد ، لأنه يحمل معه المادة الخالدة . وكذلك مراعاة البيان المشرق امر واجب ، لان الكثير من الآثار الادبية كتبها اصحابها بلغة نقية تستتر فيها مؤثرات كثيرة . واللغة العربية نفسها لعلها تكون اكثر اللغات العالمية احتفالاً بالبيان ، لأنها تعتمد في الاثارة ، في كثير من المواقف ، على اللقطات البيانيـة الفنية . وقد رأيت الاكثرين ممن ترجموا يهملون الناحية البيانية ، ولا يهمهم ان يعبروا عن المعنى بأي اسلوب كان ... والآثار المترجمة انما تحيا بفكرتها ولغتها .

ويقيني ان الكثير من دور النشر المبثوثة في الاقطار العربية ستعمد الى النقل والترجمة لغاية ادبية او تجارية ، ولن يبقى منها على المنافسة الا ما يستجيب لهذه الشروط التي ذكرت . كما ان الادب العربي الحديث سيشهد اكبر اتصال له بالأدب الغربي ، يدفعه ويوجهه توجيهاً صحيحاً نحو الواقع والحياة .

حلب **خليل هنداوي**



كان ذلك منذ عشرين سنة على التقريب .

وكان هذا أول يوم من ايامه في شركة البترول أو الشركة ، باختصار ، كما يدعوها الناس جميعاً .

« اخرج من هذا الوكر : المدرسة. لقد نبت ريشك فطر في فضاء هذا العالم ، واختبر قوة جناحيك » . هكذا قالت له يومئذ اسرته .

فطلق الدراسة ورغبته فيها ملحة، وذكاؤه عطش ، ليشغل وظيفة في الشركة بثلاثين ليرة لبنانية سورية في ذلك الحين . وقد سلمه مديره في الصباح دفتراً ضخماً سميناً ، ملؤه الارقـام ، وشرح له ما عليه ان يصنع به ، فاذا وظيفته حاسب من حاسبي الشركة .

تكدر فائق ولكنه ارسب كدره الى قرارة نفسه . ارقام ! حسابات ! ما له وللحسابات والارقام ؟ انه يحب الشعر، بل هو شاعر قوي الخيال، وثابه، تدغدغ ذهنه الصور الحسان ، وان كان لا يزال مقصراً عن جلوها في الثوب الذي يليق بها من اللفظ والوزن . ان قلبه ليتفتح ابتهاجاً حين تبتسم له فتاة الجيران كما يتفتح الزهر ، مثلاً، تحت ندى الاسحار . لقد لمحها مرة في فستان ليلكي ، وراء زجاج النافذة وهي مرسلة الشعر . فاشتهى ان يغنيها قصيدة ، ان يقول لها : «ان وجهك كالقمر ، وشعرك كخيوط نسلت من الليل ، وأما فستانك فمقصوص من قماشة الفلك الازرق . وافيني الى الغـابة قبيل الغروب، حين تعقد الشمس أشعتها كأشرطة الحرير الناعمة، بغصون الاشجار. لاقيني فنقعد هناك، حتى تنعس الزهور البرية على قدميك متثائبة عن عطورها...»

اشتهى ان يقول لها ذلك في شعره ، إلا ان الوزن لم يطاوعه واللفظ لم يؤاته . فهو غارق الفكر يكويه هذا العذاب الذي يكوي الفنـان اذا عصاه التعبير عما في دخيلة روحه — اذا اعياه اطلاق المجرى للفيض السخي الذي ينبع من غور نفسه .

كم كان فائق يتوق ان يظل طايقاً غير مقيد ، يعاق إله الشعر حتى يرق له ويغدق عليه .

ولكن ها هو الآن في مكتب الشركة ، مكباً على الدفتر الضخم امامه ، يكاد يمس ورقه أرنبة انفه ، والارقام تهتز في مواضعها امام نظره المتعب ، وتزحف وتتراقص ... ارقام لا تحصى، متراكبة كحلقات السلسلة ، كأسنان العمود الفقري في افعى ، او كالكراديس المتراصة من نمال تدخل وتخرج من اوكارها . والقلم في يده قد كل من الدبيب على القرطاس ، ودماغه قد خدر من هذا التوليد العقيم للارقام بعضها من بعض جمعاً وطرحاً وضرباً وقسمة!

«ان الآلة من جماد لتستطيع وحدها ان لا تسأم هذه الارقام النهار بطوله . وأرى دماغي سيتحول في قريب الى آلة . »

ولم يكد نهـار العمل ينتهي ، حتى اندفع فائق من مقعده وهبط الدرج بقامته النحيلة في رفق وتؤدة ريثما تكون اعضاؤه قد لانت وطاعت ، وريثما يكون دمه قد توزع في بدنه التوزع الطبيعي ، لأن معظمه كان قد احتشد في عروق اذنيه وانصب على دماغه . فلما انحدر الى اسفل الدرج وواجه الباب المفتوح على الشارع ، اتسع منخراه اذ عب الهواء عباً عميقاً . وجس صدغيه بإصبعين من اصابعه فوجد لهما نقفاً سريعاً . ثم مر بكفه على جبهته يريد ان يمسح عنها ما علق بها من التجاعيد في نهاره .

ومشى الى البحر يرفه عن نفسه المكدودة ، ويستلهم الشعر (انه لم ينس الشعر بعد !) فرجع الى بيته وهو موقن ان دماغاً عصرته الارقام لا يدر شعراً ، ودار في خاطره ان فتاة الجيران عليها ان تنتظر مدة قبل ان تسمع منه قصيدته فيها .

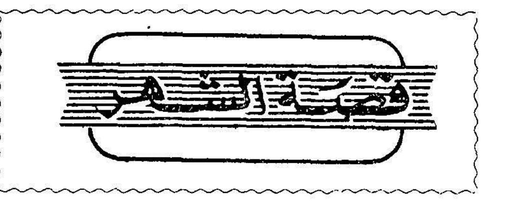
— كيف كان الشغل اليوم ؟ سألته عمته ، وكانت اجسر اهل البيت على سؤاله عن كل صغير وكبير من شؤونه . وكان هو صريحاً معها ، يستكين اليها ويطمئن ، ويعابثها كثيراً ويلمس فيها طيبة البقرة وسذاجتها ، ويعجب للشبه القوي بينها وبين البقرة في ضخامة رأسها وبحلقة عينيها. انتظرت منه ان يجلس اليها ، ان يجاذبها حبل الحديث الطويل كعادته ، ولكنه اكتفى بان اجابها : « ماشي الحال » . ورجا منها ان تتركه ليستريح قبل العشاء. فرافقته بعينين دهشتين مستفهمتين ، وهو يمر امامها ، كما تنظر البقرة الى صاحبها حين يجتاز لا يسقيها ولا يلقي لها شيئاً من علف ، ولا يمـد حتى يده يحك ما تحت ذقنها .

ودخلت عليه عمته بعد قليل ، فرأت ذراعيه مفتوحتين على مداهما وشعره الاسود مسبلاً على المخدة البيضاء وكتابه مطروحاً على صدره فوجمت لحظة تتأمل قسماته على شعاع المصباح . ثم رفعت الكتاب في حذر واطفأت الضوء وخرجت على اطراف اصابعها موسوسة مغمومة .

★

تعاقبت الاشهر وفائق في كل يوم (عدا الاحد الذي سماه يوم الهدنة) يسرع في الساعة الثامنة صباحاً او قبلها بقليل تفادياً من غضب المدير، فلا يخرج في غير ميعاد الغداء مقدار ساعة ونصف الساعة يبلع فيها لقمات تحدث له سوء هضم اكثر من المتعة والتغذية ، ثم لا يفرغ إلا الساعة الرابعة او بعدها من عمله الذي اصبح يسميه حرباً مع الارقام لا هدنة فيها الا هدنة الاحد التي يفسدها هم الاثنين .

ارقام ، ارقام ، محتشدة عليه كحب رمال الصحراء ، ليست تعني له البتة شيئـاً سوى ان عليه ان يجمعها او يطرحها او يضربها او يقسمها بحركة آلية مطردة . وايام تتلاحق ، شمس تغيب واخرى تبزغ ، علـى وتيرة ، وما من جديد او لذيذ . بلى ، في نهاية كل ثلاثين يوماً كان يتسلم غلافاً فيه ثلاثون ليرة



لبنانية سورية، ثلاثون ليرة دفع عوضها من حدة دماغه وبذل من نور عينيه.

« ان الحياة على هذا المنوال لا طعم لها » قال له احد اصحابه : « يجب ان تدخن . دخن . هـــذا يساعد اعصابك . ولا بأس بكأس في السهرة تحيي به نشاطك . »

وهكذا اصبح فائق اذا اكب على دفتره علت سحائب من لفائف التبغ ظللت رأسه طول النهار . فاذا خرج من عمله توجه تواً الى احدى الخمارات فتناول كأساً او كأسين حاول عبثاً ان يغرق بها تعب النهار .

في صباح يوم اسرع فائق الى مكتب الشركة ، ولا علم له بما ينتظره من مفاجأة . ولو كان له بها علم لطار فرحاً لأنه لا يتوق الى امنية كما يتوق الى فراق هذا الدفتر المحشو ارقاماً والذي يكاد يتقيأ الارقام بين يديه .

قال له مديره لما جاوز عتبة المكتب:

—تذهب اليوم الى المستودعات فتسلم عملاء الشركة البنزين والزيت والكاز، وتقيد ما يتسلمه كل عميل . وسيكون شغلك هناك وقتياً على الاقل ، لأن صاحب الوظيفة قد طرد منها . وهناك حمالون ينقلون صفائح البترول عـــلى ظهورهم في صناديق خشبية من المستودعات الى الطريق العام حيث يتسلم العملاء بضائعهم ، فقيد بدقة عدد الصناديق التي ينقلها كل حمال ... وكن اميناً .

لماذا قال له المدير : وكن اميناً ؟ اتراه يرتاب في امانته ؟

مشى فائق الى مستودعات الشركة ولم تكن بعيدة جداً — في ضاحية من بيروت على الشاطيء صوب الجبل . والحيرة مستولية عليه من جراء الكلمة التي ختم بها مديره حديثه معه... رأى سوراً سميكاً من الاسمنت يحيط بمكان المستودعات ، وأبنية وبراميل حديدية جبارة . ورأى باباً من الاسلاك الثخينة المشبكة مفتوحاً على مصراعيه ، قد صف امامه عدد عظيم من سيارات الشحن والطنابر. فولج فيه ، ليستقبل رائحة حادة من البترول تخالط اجزاء الهواء . ولقي على الطريق القصير الذي يؤدي من المستودعات الى الطريق العام ، صفاً من الحمالين في خرق بالية، وحبالهم على اكتاف شبه عارية ، ينتظرون. فكل من كان قاعداً منهم وقف له وقوفاً فوريا آلياً كأنما بكبسة زر . ثم تبعه الجميع على الاثر صامتين ولا صمت الساعين الى مدفن . ثم لقي حراس المستودعات فدفع اليه رئيسهم بالمفاتيح . والتف عليه معاونوه والعشرات من عملاء الشركة الذين بكروا يترقبون قدومه .

بعد ربع ساعة، نشطت حركة العمل في المستودعات آخذة مجراها المعتاد. في اليوم الاول لم يلحظ فائق شيئا . على انه كان لا يزال يفكر في تلك الكلمة من مديره. فلما انصرف آخر النهار خطر له خاطر جديد ، وهو ان المخلوق الذي شغل الوظيفة قبله كان متهما في امانته .

في اليوم التالي ، لحظ فائق ان معاونيه كثيرو التبجيل له — « أمرك يا افندي » ، « كما تريد يا بك » . فوقع في دهشة وامتعاض . أتراهم يتهكمون به ، أم ان وراء الامر سراً ؟

— يا فائق افندي !

— نعم !

كان الذي يخاطبه واحداً من معاونيه ، فتى مشوش الهندام قليلاً ، لكنه غير رث الثياب ، قد طوق عنقه بربطة حمراء معقودة في غير مبالاة ، وقد فاحت منه رائحة حادة من سائل عطري رخيص . تقدم من فائق وقد وقف هذا الاخير وبيده دفتر وقلم رصاص .

— يا فائق افندي ، دخن سيكاره . ولكن تعال نبتعد قليلا كي لا نحدث حريقة قبل ان نتفاهم .

— «شكراً...» وأخذ منه اللفافة ، ومشيا مسافة . ثم اشعل فائق لفافته من قداحة المعاون وارسل بصره على فساحة البحر . ووقف المعاون بجانبه وقد اشعل هو ايضا سيكارة وقال له :

— أترى الى هؤلاء الحمالين مقوسة ظهورهم ، محنية رقابهم تحت الصناديق الخشبية ؟ مساكين ، يا للظلم القهار .

كان فائق يشمئز من الحمالين . يأنف من ثيابهم الخرقة المتسخة ، ومن الروائح التي تنبعث منهم ومن ابدانهم . وكان يثور حين يسمع لغتهم الفظة وشتائمهم الوقحة ، فقال للمعاون :

وما يعنيك منهم ؟

— الشركة تدوسهم بنعل من حديد . وامرهم يعنيني ، ويعنيك كذلك ما دمت انساناً ، ولا سيا انسانا مثقفا وشاعراً يحس آلام البشرية .

فأراد فائق ان يضحك لهذه النبرة الخطابية ، والروعة البيانية الملتمسة . لكنه اكتفى بابتسامة حامت حول شفتيه .

— لا تضحك يا فائق افندي. الشركة تدوسهم بنعل من حديد، وتدوسنا معهم . تستخدمهم وتستخدمنا بفتات المائدة . كم معاشك ؟ ثلاثون او خمس وثلاثون ليرة في الشهر ؟ أليس هو ذلك ؟ ومعـــاني عشرون . فانظر كم معاشات الموظفين الاجانب . ثم فكر كم ملايين تغص بها كل سنة خزائن الشركة ربحاً صافيا لها .

— لست افهم قصدك ، اجابه فائق وقد لمعت في عينيه نقطة تنبه واهتمام .

— قصدي ان اقول لك انك مغشوش .

— مغشوش ؟ ولمَ ؟

— اجل مغشوش . اتظن الشركة تستحق منك كل هذه الدقة والامانة . فانت ابداً واقف بالمرصاد ، لا تستقر عيناك في رأسك لشدة ما ترقب كل حركة في المستودعات ، ولا يستريح القلم في يمينك لشدة ما تقيد كل شاردة وواردة . أفحرام ان كسبت زيادة فوق معاشك الزهيد وتركتنا وتركت الحمالين يكسبون ؟

اتسعت عينا فائق من الدهشة ، وحدق مليا وعميقا في عيني مخاطبه .

— لا تستنكر قولي . ان صاحب هذه الوظيفة قبلك قد خرج بالوف الليرات ربحا خالصا له . ولم يكتشفوه إلا بعد سنة ونصف السنة . ثم لمــا اكتشفوه مادا فعلوا به ؟ قالوا له : اذهب ، فانك معزول . فأدار لهم قفاه

وذهب غانما سالما .

اراد فائق ان يقول للمعاون : لماذا لا تكون اكثر صراحة ؟ كيف استطاع ان يربح تلك الالوف كما تذكر ؟ ولكنه خشي ان يظنه المعاون قد رضي عن كلامه ، فلبث صامتا مزموم الشفتين ، فاستمر المعاون يقول

– هذه البراميل الحديدية الضخمة ، من يدري اذا اخرجنا من كل منها مائة صفيحة ، مثلا ، فبعناها للعملاء بسعر ادنى ؟ هذه الصناديق الخشبية المملوءة صفائح ، من يدري لو اخذنا منها خمسين صندوقا جئنا في عوضها بخمسين فيها صفائح فارغة ، وقلنا : انها تثقبت وسال ما فيها على الارض ... من يعلم لو دبرنا يوما تهريب نصف مستودع بكامله ، واضرمنا في بقيته النار، ثم هرعنا نصيح : النجدة ، النجدة، بعد ان توشك النار ان تأتي عليه برمته؟

فصعد الدم الى وجه فائق ، واحتقن واحمر ...

– هذه سرقة !

– الشركة تسرق ! وهز المعاون كتفيه وتحول عنه كالذي يهم بالانصراف وهو يقول له : شأنك . غير انه ما لبث ان انفتل نحوه ثانية وأعاد عليه الكرة : الشركة تسرق ... ثم بعد هنيهة من اطراق ، اردف يقول ، بصوت كالهمس ، تأكيداً لأهمية ما يقول : ولكن الشركة تسرق طمعاً في المال ، وفي إفقار العباد لأجل استعبادهم . أما نحن فاذا سرقنا ، ففي سبيل لقمة نأكلها ، بل في سبيل حق إسمى وغاية انبل ! هل تسمعني يا فائق افندي؟ وهنا زاد المعاون في تخفيض صوته زيادة في التأكيد لأهمية ما يقول : ان سرقتنا للشركة ضرب من الثأر من هذه المؤسسة الاستثمارية الممتصة لدم البشرية. فعملنا هو العدل بعينه ، من الناحية المبدئية ، فضلا عن انه تخريب للشركة يؤول من الناحية الفعلية الى ازالة عقبة تعترض تقدم البشرية . وان البشرية لتتقدم بخطى فسيحة ، ولها في هذا التقدم ركب صاعد وطليعة واعية جبارة ، على انها تحتاج بالطبع الى مؤازرة مني ومنك . ولا اكتمك ان قسماً من هذا الذي سنسرقه من الشركة سينتهي الى مؤازرة تلك الطليعة الواعية الجبارة التي ذكرتها لك ، والتي ارجو – اذا قبلت – ان اجمعك بممثل لها يبهرك ويملأ نفسك حماسة وإيماناً واقتناعاً بالغد القريب المشيد على الحرية والعدالة والسلم والسعادة ، وما شئت من اماني مقدسة بقيت مجرد احلام حتى حان موعد تحقيقها في هذا العصر على يد ذلك الركب الصاعد وتلك الطليعة الواعية التي سأجمعك باحد ممثليها .

ومسح المعاون بكفه على ربطته الحمراء ، وانصرف يمج في الهواء آخر رشفة من دخان عبها من سيكارته التي احترقت فرمى عقبها وسحقه بقدمه. أما فائق فبقي كالمسمر في مكانه، وقد تراكم الرماد على اللفافة في يده حتى طفئت. إلا انه لم يلبث ان صحا من ذهوله حين طرق سمعه صدى هذه الكلمات :

– أهلا بمصلح البشرية ! وكانت هي كلمات وجهها معاون آخر الى المعاون صاحب الربطة الحمراء .

★

ومنذ ذلك اليوم تبدل فائق تبدلاً عميقاً ، انقلب انقلاباً ، اصبح الذي يقع عليه بصره يقرأ في ملامح وجهه انه مشغول ابداً منهمك مأخوذ بصراع ناشب في دخيلة نفسه . وهو يجتهد في ان يصلب نفسه كالخشب ، فلا تتأثر بما ينتابها من الصراع ، ولكن الصراع كان في باطنها كالسوسة تتأكل الخشب .

أيمالىء على سرقة الشركة ام لا ؟

مرت به ايام وليال وهذا السؤال محفورة حروفه عريضة بارزة في لوح دماغه ، وقد ختمت بعلامة استفهام كبيرة محرقة .

أفيمكنه هو الشاعر المترفع العاطفة ان يمالىء على السرقة ، أياً كانت المبررات ؟

ولكن الشركة تسرق . لماذا تسرق الشركة ؟

اصبح فائق لا يشك البتة في هذه الحقيقة : ان الشركة تسرق . كلمة المعاون تلك كانت وخزة نبهته ، وومضة نور فتحت عينيه .

ها هو في غرفته قد خلا الى نفسه ، واستلقى على سريره يمج دخان لفافة إثر اخرى ، ويراقب سحب الدخان يشردها النسيم المنبعث من النافذة فلا يأذن لها بالانعقاد في جو الغرفة . صورة واحدة تلح عليه ويلتمس دفعها عنه بمراقبة ذلك الدخان يتصاعد وينتشر ويتبدد فوقه . على انه يخفق في دفع تلك الصورة ، وهي صورة الانابيب الطوال تمتد وتتلوى كالثعابين في احشاء ارض العرب . في مكان تراها تمتص جشعة نهمة ... تمتص الدم من عروق الارض العربية، ذلك الدم القاتم الذي سموه الذهب الاسود. وفي مكان آخر هي تقيئه متخمة من اجوافها فيحمله فراعنة المال على الامواج الى بلادهم .

دم ارضنا ، البترول ، علام يغصبوننا اياه ؟ بلا ثمن يأخذونه إلا تلك الحصص الهزيلة التي لا تساوي من الجمل اذنه ، كما يقال والتي يستولي عليها ملوك وامراء ووزراء ينفقونها نصيب الشيطان على سيارة يقتنونها لفخفخة فارغة ، او على شاعر يكذبهم ويكذب الفن ويكذب الله ، او على محظية يطرزون حذاءها المخملي بذهب يطعم يتيماً طول عام ، او يمين معلم مدرسة على تجديد بذلته قبل اربعة اعوام . دم ارضنا البترول ، علام يغصبوننا اياه بلا ثمن ، ثم يعيدونه الينا بابهظ الاثمان ، ولا سبيل لنا الا ان ندفع والرزق رزقنا . ألا إنما نحن العيس التي حكى عنها شاعرنا ، يقتلها الظمأ في البيداء والماء فوق ظهورها محمول !

الشركة تسرق . الآن صار لتلك الارقام المتكدسة التي اشتغل بجمعها وطرحها وضربها وقسمتها ، معنى في نفسه .

الشركة تسرق ... لكن قبل ان يتخذ قراراً ، علام لا يلبي دعوة معاونه ، مصلح البشرية ، (لقد استطرف هذا اللقب) فيجتمع بممثل ذلك الركب الصاعد ، او تلك الطليعة الواعية الجبارة التي سمع عنها من مصلح البشرية ما يقطع الحيرة وينفي اليأس ويوقد نبراس الأمل في النفس .

وإذا بفائق بعد يومين يوافق على سرقة الشركة ، ويغض النظر عن معاونه فيدبر الامر .

غير ان الشركة كانت الآن ساهرة العيون . السارق لا تسهل سرقته مرة بعد مرة . شم رجال الشركة رائحة ما يطبخ لهم في السر ، فاستدعي فائق ومعاونه للاستنطاق ، فأنكر المعاون ان يكون له ايسر ضلع في السرقة ، في هذا الفعل الخسيس . وكيف يشترك في السرقة ، وهو المعروف بمبادئه الشريفة التي تهدف الى تحقيق العدالة والحرية والسلم والسعادة للبشرية . فأما فائق فهم بان يقول : ان سرقة الشركة حلال لأنها هي تسرق . إلا انه في اخر لحظة لجم لسانه وآثر الصمت . ففصل من وظيفته !

★

قالت له عمته في تلك الليلة : انك مغموم جداً يا فائق . لا بد ان يكون حدث امر ، فاصدقني الخبر .

والحق ان فائق كان يشعر بثقل عظيم من الغم يسحق نفسه . ذلك انه صدم بخيبة شديدة مرة من جراء هذا التصريح الذي فاه به معاونه لدى الاستنطاق . فقد كان يعلم حق العلم ان معاونه يكذب ، وانه يستحل سرقة الشركة باسم هذه العدالة والحرية والسلم والسعادة التي زعم لدى الاستنطاق انها جميعاً روادع تردعه عن السرقة . بل هو يذكر اوضح الذكر ان ذلك الممثل الذي اتاح له معاونه ان يجتمع به ، ممثل الركب الصاعد والطليعة

الواعية ، قد قال له في معرض اقناعه بوجوب سرقة الشركة : « الحكاية لا تتحمل هذا الغرام بالفضيلة». وكان يعني بالحكاية تحقيق الرسالة التي زعم انه نذر لها نفسه من تحرير البشرية واسعادها واشاعة السلم والعدالة في حياتها ، فكيف ينقلب المعاون على هذا المنطق الذي كان يعتصم به في الامس ، فيتكلم لدى الاستنطاق بنقيض ما كان يتكلم . وإذاً ، فتلك كانت حيلة لاستدراجه، وهو الفتى الساذج القليل الخبرة ، الى ارتكابه السرقة ! أجل ، تلك كانت خدعة لدفعه باسم المثل العليا التي يقدسها ، الى مستنقع وحل يغوص فيه .

وهنا سمع عمته، ولاح له كأن صوتها قادم من بعيد، تكرر عليه القول:

– لا بد ان يكون حدث حادث يا فائق . فاصدقني الخبر .

فرد عليها، وكلماته لا تكاد تجاوز شفتيه حتى تتلاشى لضعفها وخفوتها :

– استغنوا عني في الشركة .

– والسبب ؟

فكر بماذا يجيبها . أيقول لها انه مالأ معاونيه على سرقة الشركة؟ ستصعقها الدهشة والخيبة اذاً ، وسينبغي له ان يشرح لها بأي منطق استحل سرقة الشركة ، ولكنها لن تزداد إلا دهشة وخيبة . وعلى كل حال هذا شيء يطول . فقرر ان يقول لها واذناه محمرتان كمن حرته الحمى : لا ادري ، لا ادري !

فصمتت ... هل صدقته عندما زعم لها ذلك ؟ لم يطمئن فائق الى ان عمته صدقته ، على سذاجتها . ولكنها تحاشت ان يبدر منها ما قد يجرح احساسه ، او يزيد في الهه وانكساره. بل لقد اندفعت تعابثه وتطيب خاطره ، وتنطلق بالضحك فيحمر وجهها السمين وتحتقن عروق رقبتها ويعلو صدرها ويهبط مع امواج الضحك . فتسلى فائق بعض الشيء . وحين ترك عمته ومضى يلتمس النوم ، قال في سره : ان المخلوقات الطيبة امثال عمتي لتساعدنا حقاً على احتمال الحياة .

لم يكن فائق بحاجة ماسة الى المال . كان ابوه صاحب حانوت صغير يرد على العائلة ما تستطيع به مع حسن التدبير ان تسوي امورها . لكن برغم ذلك لم يكد يمر اسبوع حتى بات فائق يحس البطالة كأنها حجر رحى عُلق في عنقه . ان الذين يزعمون ان الانسان بطبيعته يؤثر الكسل ، وبالتالي البطالة ، لكذابون او واهمون . ان الذين يدعون ان الانسان لا يسعى مجتهداً إلا وهو مسوق بحاجته المادية لجهلاء او أفاكون . فالانسان محب للعمل لأنه سبيل تعبير وافصاح عن الطاقة المخزونة فيه ، عن قوة الخلق والابداع الكامنة في استطاعته . وهو يكره البطالة لأنها تعطل فيه طاقته ، وقوته الخالقة المبدعة . والانسان ابن المجتمع يشعر ان مجتمعه كافر بحقه اذا حرمه العمل . يشعر انه منبوذ لا يرى فيه الناس كفاءة ما يمكن الانتفاع بها . أجل ، يشعر حقاً بما تشعر به قشرة بصل يقذف بها من شباك المطبخ ، لو كانت هذه تشعر !

كان لدى فائق نحو من مائة ليرة لبنانية سورية عندما فصل من وظيفته ، فأعانته على الفرار من الافكار السوداء التي اخذت تعشش في زوايا نفسه مع امتداد البطالة كما تعشش العناكب في السقوف المهملة . وأي افكار سوداء طفقت تملأ نفس فائق الشاعرة ؟ وأي تصورات كالحة اغرقت فيها مخيلته الحادة؟ رأى يوماً رسماً في مجلة عند احد اصدقائه ، تمثل فتى نحيفـاً تتقبض ملامح وجهه وينتفض جبينه بنوبة من ألم ناهش ، وقد حمل الفتى رأسه بين يديه منكباً فوق مائدة ، ومن وراء كتفيه شبح ، شبح قاتم مبهم لم تتوضح منه الا كف بأصابع معقفة كمخالب هيئت للانشاب ! فدس الرسم في جيبه وقال: هو والله انا ! الشبح ابداً من ورائي ومن لي بان أفر منه ؟

الى اين ؟ كان فائق قد تعرف الشراب وهو ما يزال في الوظيفـة . فوجده منعشاً مرفهاً . فأمل الآن من الشراب ان يغرق افكاره السوداء ، ويجلو تصوراته. أمل منه ان يصرف عنه ذلك الشبح او يذهله عنه بالسكر . فبات ملازماً للخمارات لا يخرج من واحدة حتى يعدل الى اخرى،وتوطدت بينه وبين العرق صداقة حميمة . احتجت عمته احتجاجاً صامتاً بدموعها اول الامر ، ثم احتجاجاً صارخاً بشهقاتها ، وعاتبه ابوه برفق ثم انتهره بعنف وسعى اكثر من عرفوه ان يحولوا بينه وبين المخدر الذي يسرع فيه ، إلا انه لم يأبه لأحد .

انتحار ! انتحار لا بالحبل ولا الخنجر ولا السم الزعاف ، بل بهذا السائل الذي تسطع رائحتـه حادة في خياشيمـه ، ويبيض باسماً مغرياً عندما يمازجه الماء ، وينسكب في الحلق لاذعاً عذباً يستعبد صاحبه استعباداً في مقابل ما يهب له من نشوة هي نشوة الانحلال والانجذاب .

مضى فائق شوطاً بعيداً في انحداره . وهو يرى نهاية المنحدر : القبر . والقبر ليس فائق وحده سائراً اليه . قد يصله هو قبل غيره ، ولكن الجميع واصلون لا محالة ان عاجلا او آجلا . وفي اعماق القبر تلك الراحة الابدية التي تلف المتعبين . ولشد ما كان فائق مولعاً بان يجعل لحماقته هذه اسماً رناناً فيقول : هي فلسفتي الخاصة .

على انه كان لا يعدم ساعات من صحو تعترضه فيها المرآة فيطالع وجهه الاصفر البليد ، وعينيه اللتين خبا بريقهما وران عليهما الغباء ، وأحـاط بهما اطار اسود علامة العياء والتضعضع ، فيدرك انه مشرف على نهاية المنحدر ، وان القبر بعيد عن ان يكون جميلاً كما خيل له . فتدب فيه ارتعاشة رعب . عند هذا الحد يجب ان يقف ! علام يجعل من شبابه مومياء مخيفة ؟ لا حق له بعد اليوم ان يخطو خطوة اخرى في المنحدر .

إلا انه بات اشبه بالحيوان المسخر ، كلما هم بالوقوف نخسه مـن ورائه ناخس وصاح به : هيا ... فقد الارادة ، فاذا شاء ان يمسك عن الانحدار بعد اليوم ، فلا بد من ان يكون بجانبه من يمسكه .

ليلة شرب فائق فأسرف في الشرب من هذا السائل الابيض . قعد وحده الى مائدة صغيرة في زاوية من احـدى الخمارات الرخيصة التي ألف التردد اليها ، لا يصنع شيئاً إلا اشعال لفافة اثر لفافة من التبغ الرخيف ، وتمزز كأس بعد اخرى ، واطلاق كحة جافة يهتز لها جسمه كأن الارض من تحته تضطرب في زلزال .

بلى ، كان يخرج من جيبه ذلك الرسم الذي يمثل الفتى المتقبض الوجه ، الحامل رأسه بين يديه منكباً على المائدة وفوقه مخالب الشبح القاتم الغامض . كان يخرج الرسم بين هنيهة واخرى ، فيستغرق في تأمله طويلا ... واذا به يحس،وهو يتأمل الرسم للمرة التاسعة او العاشرة يداً تلقى على كتفه وتضغطه شيئاً . فاقشعر وتلفت بحركة عصبية ، يتوقع ان يرى الشبح القاتم الغامض قد ظهر فوقه حقاً . غير انه رأى ربطة حمراء ووجه « مصلح البشرية » . فحول عنه وجهه لا يريد ان يكلمه . الا انه ما لبث ان سمع معـاونه بالامس يقول له :

– وأي شيء يعجبك في هذا الرسم الكريه ؟

فاجابه فائق وهو يقتصب الكلام اقتصابا ويرجو ان لا يطول الحديث :

– انه يمثلني حق التمثيل .

– ولكن هذا اعلان عن حبوب يداوى بها المعذبون بالأمساك وعسر الهضم . فهل انت مصاب بطرف من هذه العلة ؟

– ربمـا !

– بل علتك شيء آخر يا صاحبي . نحن ادرى بهؤلاء المثقفين الذين تفسد عليهم حياتهم عقدهم النفسية ، ويجعلون من كل تفاهة سبباً لأزمة تتخبط بهـا ضمائرهم.هل تجوز السرقة ولو في سبيل قصد شريف ؟ هل تجوز سرقة السارق؟ (كما فعلنا نحن حين سرقنا الشركة) . هل يجوز الكذب ؟ (كما كذبت انا حين تنصلت من السرقة) وهل ؟ وهل ؟ اسئلة ما تنتهي ، تتأكل نفسك كالسرطان. اذكر ما قيل لك : «ان الحكاية لا تتحمل هذا الغرام بالفضيلة».

فجأة انتصب فائق وصاح بمعاونه بالأمس : اذهب ، اذهب ، او اقتلك او تقتلني ! وانقدح من عينيه شرار شرس.

فأقبل نحوهما صاحب الخمارة يريد تدارك الشر . الا ان «مصلح البشرية» اسرع فانكفأ نحو البـاب وهو يقول لفائق ، يلتمس استفزازه وتحقيره امام نفسه :

– ثلاثون ليرة،معاشك الذيخسرته في الشهر،لا يسوىهذه الثورة كلها.

وكان صاحب الخمارة قد بلغ الى فائق فقال له :

– لعن الله القهار يا صاحبي !

فأفرغ فائق كأسه دفعة ، وقال لصاحب الخمارة : « كأساً اخرى » ، وهو لا يدري أيضحك ام يزداد غيظاً لهذا التفسير الذي فسر به صـاحب الخمارة سخطه وثورته .

ثم أحس بالمكان يضيق عليه ضيقاً خانقاً ، ففكر في ان يعقب ليلته زيارة احدى بائعات الاجساد . واستيقظت فيه شهوة ان يشبع خياشيمه من رائحة لحم انثى تفصد عرقاً في ليلة قائظة .

ولكنه ما لبث ان ذهل عن كل شيء حتى لفافة التبغ بين اصبعيه ، وكأس العرق امامه ، ورسم الفتى ووراءه الشبح . ومن العجيب ان يكون قد ترك هذا الرسم يسقط ارضاً ، فيدوسه على غير انتباه .. ثم هز برأسه قليلاً ذات اليمين وذات الشمال ، قبل ان اكب على المائدة وغرق في نوم عمقه السكر الى غير ما قرار .

ايقظه خادم الخمارة فتلجلج لسانه بكلمات لم يفهم منها حرفاً ، فتركه يسترسل في نومه ... هذه الساعة الحادية عشرة والناس قد انصرفوا او هم يهمون بالانصراف ، وهو ما زال نائماً .

– ماذا اصنع به ؟ قال الخادم لمعلمه صاحب الخمارة .

– فتش في جيوبه . خذ منه ثمن الكؤوس التي شربها ، ثم اقتده برفق الى الباب أو احمله حملا وضعه على الرصيف . ان له البوليس فلا بأس ، وان تركه ينام هناك فلا بأس ايضاً .

فسمع ذلك شاب كان قد عرج على الحانة منذ لحظة ، يريـد ان يرطب حلقه غب عمل طويل مرهق امتد حتى تلك الساعة المتأخرة من الليل . واذا بالشاب يرافق الخادم بعينيه وهو يمشي نحو فائق ، حتى اذا اخذ يهزه هزاً عنيفاً ويدس يده في جيوبه ، نهض اليه فقال له :

– خل عنه ، كم تطلب منه ؟... وأدى الشاب الحساب ، ثم طفق يعالج فائق حتى اقامه على رجليه نصف نائم ، وسار به خطوة خطوة .

وصحا فائق في الصبـاح فاستغرب المكان حوله . فظن على عينيه غشاوة ففركهما فركاً شديداً . فوجد المكان لا يزال غريباً عليه . وابصر فيجانب من الغرفة شاباً ما يزال مغمض العينين . فأخذ يكد ذهنه عساه يذكر شيئاً او لعله يستجلي جانباً من الموقف الذي هو فيه ، فلم يجد الى ذلك سبيلا ... وفتح الشاب عينيه وحياه تحية الصباح . ثم وثب من فراشه يروض جسمه . فتعجب فائق من عافيته وحيويته . وفطن الى انه هو لا يكاد يقدر عـلى الخروج من فراشه ، كأن مفاصله قد فككت ، فينبغي له ان يشد بعضها الى بعض قبل ان يستطيع الحركة . فأوشكت دمعة ان تسرح على خده . ثم اقبل عليه الشاب ، فأخذ يحدثه اين صادفه الليلة الماضية،وفي اي حالة وجده ، وكيف اتى به الى غرفته . ولم يذكر له انه كان قد شاهده من قبل في تلك الخمارة ، وراقبه ، فأحس ان حياته تنطوي على مأساة . وتعارف الشابان بالأسماء : فائق ومسعود .

ومنذ اليوم الذي تعارفا فيه شعر فائق ان مسعود هو الذي سيقف بجانبه، فيمسكه عن متابعة انحداره الى درك الهوة السحيقة التي بات مقرراً ان يصير اليها . وعظمت ثقته به ، كما تعظم ثقة الطفل بشقيقه الذي يدربه على المشي دون ان يدفع به للسقوط .

وفي ليلة تحول الحديث بينهما عن مسالكه المطروقة الى شعب لم يدخلا فيها من قبل . وكانت نقطة الابتداء في هذا التحول ان فائق اعلن سخطه على هذه البطالة التي ما زالت ترهقه بثقلها . فقال له مسعود :

– الى ان تبني العدالة الاجتماعية ستظل البطالة ترهق المواطنين ، وبالتالي سيبقى محتاجون لا يجدون ما يحيون به الحيـاة الكريمة اللائقة ، وسيبقى منعمون يجدون ما يجاوزون به حدود الحياةالكريمة اللائقة الىالبطر والفحش.

فارتسمت على محيا فائق سحابة من الوجوم حين سمع ذكر العدالـة الاجتماعية . ووثب به الذهن الى تلكالحرية والسلم والسعادة التي سمع حديثها من معاونه بالأمس: مصلح البشرية وصاحب الربطة الحمراء ، وذلك الآخر : ممثل الركب الصاعد والطليعة الواعية الجبارة . واستيقظت في نفسه اصداء ما ذكرا له من ان الحكاية لا تتحمل هذا الغرام بالفضيلة، وان سرقة الشركة حلال ، وانه هو مجرد مثقف – يا للتهمة ! – يجعل من الحادثة التافهة عقدة نفسية يتخبط فيها الى الابد .

ولحظ مسعود وجومه فقال له :

– اتراني قلت شيئاً ضايقك ؟

فأجابه فائق : عفواً ، ان ذكرك للعدالة الاجتماعيـة ذكرني اشخاصاً صادفتهم فلم اكن سعيداً بالمصادفة .

– ولماذا لا تزيدني تصريحاً ؟

– كان اولئك يكثرون من ذكر العدالة الاجتماعية وغيرها من الالفاظ المشوقة . ولقد صدقت دعواهم وانجررت بمنطقهم الى تجربة كانت بالنسبة لي مأساة قاتلة ، لولا ان لقيتك.وها انت تعود فتردد على مسمعي احدى الفاظهم التي كانت فخاً وقعت فيه . على اني لا اكتمك ان تلك الالفاظ المشوقة كانت احيانا تبدو لي في افواههم كالفاظ الفضيلة والشرف في افواه البغايا يحاولن ان ينسجن منهـا ستراً لقبح صنيعهن . غير اني كلما شعرت هذا الشعور كنت اتهم نفسي ..

– وهكذا رضيت الالفاظ وحدها ان تكون سبيلك الى حقائق الاشياء والاشخاص ! على انك لو زدتني تصريحا لأمكننا ان نجعل حديثنـا اوفر نصيبا من الدقة ... وحدق مسعود في عينيه ملحاً عليه ان يصرح له بما ظل يلمح اليه حتى الساعة تلميحا من بُعد .

فأطرق فائق مليا ، ثم انطلق يحدثه كيف عمل موظفا في شركة البترول وكيف قبل ان تُسرق الشركة ، وباي منطق اقنعه معاونه مصلح البشرية والآخر ممثل الركب الصاعد ، ثم كيف تنصل معاونه من السرقة بعد ان كشفت ، ثم كيف حاول تصغيره امام نفسه بنعته انه مثقف شأنه ان يقضي ايامه مرتبكاً في حل عقده النفسية السخيفة ..

فابتسم مسعود ابتسامة من يدرك الوجه في وجود الآلام والـذاجـات والاكاذيب والدناءات في هذا العالم . ثم قال لفائق :

– سيطول حديثنا فلا ينتهي الليلة . الا اني اقول لك اننـا لا نسرق الشركة ولا غيرها ، لا لأن الشركة على حق ، او لأننا نجهل انها تنهب

وحدي مع المنفى

الى امي الغاربة الى الأبد ...

وتطوفُ بي الذكرى اليكِ ، إليك والطفل الحزين ،
وسؤاله المتاع : أين ابي ؟ أيرجعُ ؟ هل أراه ؟
— لِمَ لا ؟ ستنعم بالهدايا ، بعد حينٍ ، أو لقاه ؟
ويروح يرتقب المآب الحلو ، مشبوب الحنين ،
وأنا هنا خلف المفاوز ، والجبال ،
وحدي مع المنفى ورعيان القطيع ، وخفق آل
والشمس تكره ان يغطّيها السحاب ،
ويغيب عنّا نورها الذهبي ، والدفءُ المضاع
خلف الغيوم السود — لا كانت — ويخنقنا الضباب ،
وهناك قريتنا الكئيبة ، والخرائب ، والقبور
والليل ، والدفء المضاع ،
ومغاور الأفيون ، والمقهى ، واغنية تدور .

★

وأبي يقبّل طفلي الباكي ، ويحلم ان اعود ،
والأم كالثكلى ، تئنّ وقلبها عبر المفاوز والجبال
ونداؤها الواهي ُسدىً يعلو « تعال .. »
فأنا هنا خلف الصحارى والسدود ،
وحدي مع المنفى ، ورعيان القطيع ،
السحب تهرب ، أو تذوّبها ُذكاء ،
وطحالب الصحراء ، والاعشاب ، تثمل بالضياء
ونداء أمي لا يزال يرنّ في أذني : « تعال ...
« الشمسُ عادت والربيع
والزهر عاد مع الفراش ، مع الطيور ،
وصديق طفلك كم يلاعبه أبوه بلا ملال
بين المزراع والحشائش ، والزهور
و « رجاءُ » يسأل أين أين أبي ؟ ألم يحن المآب ؟
وتلوح في عينيه بارقة الدموع ،
وأنا وصحبي المبعدون هناك ، مثلي يرقبون
أنا سنرجع رغم أغلال المنافي والجبال
كالشمس تسخر بالغيومِ وبالضباب ،

★

ومدينة الأفيون ، لم تبرح على الأحلام تغفو والمنون ،
ونداء أمي لا يزال يرنّ في اذني : تعال !

★

جامعة هارفرد — الولايات المتحدة

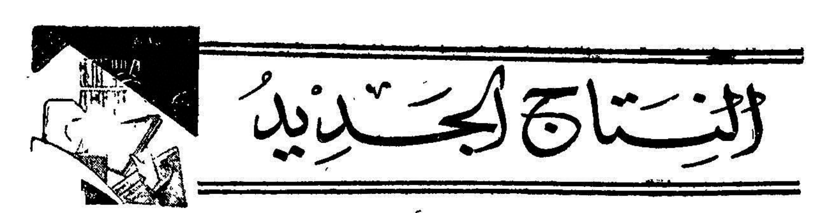
صالح جواد الطعمة

الوطن وتمتص دم العمال ، بل لأننا نحن اذا سرقنا الشركة عودنا انفسنا اللصوصية ، وبذلك بتنا لا نصلح لبناء نظام لا سرقة فيه ، قائم على العدالة والحرية والسعادة والسلم للجميع . انك لا تستطيع ان تشيد بيتا نظيفا بمواد قذرة ... ونحن لا نحاول ان نهزأ بالضمائر التي تنشب فيها الازمات نتيجة للتفكير في ما يعد حقا وما يعد باطلا . الألة الغبية والحيوان الغبي وحدهما قد اعفيا من مثل هذه الازمات ...

★

واليوم بعد هذا الوقت الطويل الذي انقضى على تلك المأساة ، اصبح فائق هو غير فائق الذي عرفته خمارات بيروت وكأنه هو ذلك الفتى الذي كان يحمل رسمه في جيبه والذي كان يظلله شبح قاتم مبهم يهم بانشاب مخالبه فيه. لقد تجدد فائق . حوّل خطاه عن المنحدر الذي كان يسرع فيه، ووجهه الى الحياة . ولقد ازهرت شاعريته في هذا الجو المفيء الدافيء . اما قصيدته لفتاة الجيران فانه أتم نظمها منذ زمن بعيد ، ومع ذلك فوجهه يلونه احمرار خفيف كلما طلب اليه ان ينشدها لأن الفتاة اصبحت زوجته . ولقد اثمر حبهما ما هو خير من قصيدته على رقتها وجمالها . اثمر فتيين ناميين يشير اليهما فائق باعتزاز ويقول : جنديان من جنود الاشتراكية ... الاشتراكية الحرة ، الشريفة بغايتها وبطريقها الى الغاية !

رئيف خوري



توفيق الحكيم : افكاره وآثاره

تأليف احمد عبد الرحيم مصطفى

مكتبة الآداب بالجماميز ، مصر – ١٥٠ ص

•

لا شك ان شخصية الحكيم مهما اختلفت فيها الآراء ، عنصر جديد في حضارتنا النفسية التي تتمثل في الفن ، وهو عنصر – على جدته – له مقوماته التي ينحل اليها ، وتتصل به مشكلات متعددة لها اهميتها من حيث الشكل الفني الذي حصر فيه انتاجه الغالب والممتاز ، وأعني به المسرحية ، ثم من حيث المضمون الداخلي لهذا الشكل وما يتصل به من جزئيات ، تتصل هي الاخرى بطبيعة شخصيته في جانبها الانساني ، وما يدخل في هذا الجانب من عناصر مختلفة ، كالوراثة ، ونوع التجارب النفسية التي عاشها ، وطبيعة انفعالاته امام المواقف التي يتعرض لها في الحياة ، وفي جانبها الفني وما يدخل في هذا الجانب ايضاً من عناصر تتصل بقراءاته ، وتجاربه الفنية التي مهدت لخروج شخصيته في مجال الفن بطابعها الخاص ، وفي الربط بين هذين الجانبين وتحديد مدى تفاعل كل منها بالآخر ، وفاعليته فيه .

والكتاب الذي اتخذناه موضوعاً للمقال ، يدرس آثار الحكيم وافكاره ، دون شخصيته كانسان له طبيعته الخاصة وتكوينه النفسي الذي يتصل مباشرة ، بتكوينه الفني ويؤثر فيه ، فالجانب الذي اختاره المؤلف لا يمثل الحكيم كله ، ولكنه جانب واحد من جوانب شخصيته ، وليس في هذا خروج بالبحث عن منطقة الدراسة النقدية ، وما دام الباحث قد سلمت مقاييسه واكتملت عناصر المنهج الذي يعالج به بحثه ، فله ان يختار من الموضوع اي زاوية تصلح من وجهة نظره ليقوم في مجالها بالدراسة والنقد .

والمشكلة الاولى والمهمة – في رأينا – حين نفكر في دراسة الحكيم ، كفنان خالق ، هي مقومات المسرحية عنده ، والسبب الذي يقدم هذه المشكلة على غيرها سبب يتصل بتاريخ تطورنا الفني من جانب ، ويتصل من جانب آخر بطبيعة المسرحية نفسها في شكلها العام ، وفي مكانها من الأدب العربي على وجه الخصوص . ففي الجانب الاول نرى ان الحكيم لم يحتفظ بمكانه في ادبنا ، كفنان ، يحتل وحده خانة من تلك الخانات التي ينقسم بها الفن الى اشكال ، إلا في مجال المسرحية اما الاشكال أو الخانات الفنية الاخرى ، فقد سار تطورنا الفني في طريقه حتى وصل الى مرحلة ظهرت فيها شخصيات يقف اصحابها مع الحكيم في مستوى واحد على الاقل ، وذلك في مجال القصة الطويلة والقصيرة ، ثم في مجال المقالة الادبية على اختلاف الصور التي تكتب بها . ذلك الى جانب ان المسرحية في ذاتها ، شكل من الاشكال الفنية التي تثير مشكلات أكثر ، وأشد تعقداً ، من ناحيتها كمفهوم عام غير متصل بأدب من الآداب على حدة ، وعلى الأخص بعد ان احتلت السينما – مع ما لها من الامكانيات الكبيرة – مكانها كمجال جديد ، لعرض القصة السينمائية ، وهي شكل فني قريب من المسرحية إلى حد ما . فاذا نظرنا اليها في الادب العربي وجدنا المشكلات التي تتعلق بها في هذا الادب تزداد بالتالي ، ويشتد تعقدها ، وتتصل بأصول تاريخية ، تدفع بنا الى مطلع النشأة الاولى لهذا الأدب وكذلك الى مراحل تطوره المختلفة ، حيث تأثر فيها بالتيارات الخارجية للآداب العالمية الاخرى عن طريق الترجمة وغيرها . ولكن هذه التيارات التي تدخلت في تكوينه من الخارج لم يظهر لها اثر في خلق الادب المسرحي ، وهنا تقوم مشكلة عميقة الجذور ، ينبغي لتبين العناصر التي تكونها ان ندرس طبيعة تلك التيارات الخارجية ، وطبيعة الذهن العربي ، وكذلك اللغة والحضارة العربيتين ، لنحاول الوقوف على الاسباب الحقيقية التي كان من نتيجتها ان تأخر ظهور المسرحية في ادبنا حتى العصر الحاضر . وعلينا بعد ذلك ان نواجه مشكلة جديدة تتصل بالمسرحية التي ظهرت بالفعل في الادب العربي واخذت أكمل صورة لها – في رأينا – عند الحكيم ، فهل كان ظهور المسرحية عندنا طبيعياً مهدت له مقدمات في حضارتنا وتفكيرنا أم كان نتيجة لعوامل اخرى خارجية لاتتصل بنا ولا بحضارتنا ومستوانا الفكري ؟ ويتصل بتفكيرنا في هذه المشكلة محاولتنا لتحديد طبيعة المسرحية التي ظهرت ، ومدى توفر طابعنا فيها كأمة لها تجاربها النفسية والتاريخية ، وظروفها التي نتج عنها مع غيرها – مشكلات تميزنا عن المجتمعات الاخرى حيث تشترك معنا في المرحلة الزمنية التي نمر بها ، وتعيش في بعض ظروفنا العامة دون ظروفنا كلها ، وبالتالي هل يمكننا ان نطلق

عليها اسم « المسرحية المصرية » ام ان هذا لم يتوفر لها بعد ؟

والكتاب الذي في أيدينا لا يتناول البحث في هذه المشكلات المختلفة ، حيث تعتبر – في رأينا – العناصر المهمة الأولى التي ينبغي أن يتكون منها بحث عن آثار الحكيم وأفكاره. فقد بدأ المؤلف في الفصل الأول ، بالكتابة عن حركة التجديد في الأدب العربي الحديث ، ومثل هذا الفصل في رأينا كان ينبغي ان يسبقه آخر يعالج مشكلة المسرحية في الأدب العربي القديم ، والأسباب التي من أجلها تأخر ظهورها حتى العصر الحاضر ، على أننا مع ذلك نجدنا – بوضوح – في الفصل المكتوب عن التجديد في أدبنا الحديث ، أمام خطأ يتصل بالمفاهيم المختلفة في ذهن المؤلف. فالأدب العربي الحديث ، غير الأدب المصري الحديث ، حيث يقتصر المؤلف في هذا الفصل على الكتابة عن أدبنا المصري بالرغم من ان العنوان يشمل غيره من الآداب العربية . ومن جانب آخر نراه يتناول الشعر والنثر ، فيتكلم عن التجديد فيهما على أساس مفهوم خاطىء يحدد في ذهنه معنى اللفظين . فبالرغم من أن كلمة النثر مثلاً أصبحت تتضمن اشكالاً أدبية مختلفة كالقصة والمسرحية والنقد ، ولكل منها مفهوم منفصل عن الآخر ، إلا أننا نرى ان مفهوم النثر عند المؤلف لا زال محدوداً باللفظ والمعنى . وقد كان من نتائج ذلك أن أخذ يبحث عن التجديد في مظاهر جزئية تتصل بالأسلوب حيث يتصور إمكان تحديد عناصر التجديد في أدبنا بنقل صفحة كتبها طه حسين في « دعاء الكروان » وأخرى كتبها العقاد في « سارة » ، ثم بالوقوف أمام تعبيرات معينة من هذه الصفحة أو تلك يبدو فيها الفارق بين الأدبين : القديم والحديث ، وكان من تلك النتائج أيضاً أن سجل المؤلف الأفكار الشائعة ، على انها أفكار سليمة من الخطأ ، وقد سجلها المؤلف الى جانب ذلك بأسلوب يكاد يكون هو الأسلوب الشائع نفسه ، فهو يقول – مثلاً – « إننا بدأنا تجديدنا ببعث القديم حيث مثّل البارودي مرحلة البعث في الشعر ، لأنه الشاعر الفخور ، المداح ، الرائي الغزل ، الذي يحاول ان يجمع بين دولتي السيف والقلم . وشوقي ، فانه لم يخرج عن كونه أبا الطيب المتنبي يعيش في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ولا يخرج حافظ ، عن هذا الحكم من حيث احتذاؤه للشعر العربي القديم فهو في اللغة العربية « البحر في أحشائه الدر كامن » .

وشيوع الافكار لا يعني سلامتها من الخطأ ، بل إنها في الغالب تكون تلك التي تقف عند الاطار دون المضمون ، وحتى لو سلمنا بأنها افكار صحيحة ، فكان ينبغي مراجعتها مراجعة علمية سليمة حتى يكون هناك فرق بين النظرة المسؤولة عن نتائجها وغيرها من النظرات . ولقد كان من الضروري لسلامة هذه الأحكام ألا يطلقها المؤلف إلا بعد دراسة تمنعه من ان يقول في بساطة إن شوقي هو المتنبي ، وان البارودي « يجمع بين دولتي السيف والقلم » وأن يرى وجهة نظر حافظ في اللغة من خلال تسجيله لها في شعره لا من خلال الحكم على مدى تطبيقه لها في هذا الشعر .

ومسألة التجديد أدخل من هذا في طابع المراحل الحضارية التي مرت بها مصر ، فينبغي ان نبحث عن الجديد في أدبنا . لا في لفظ او لفظين ، إنما في التحديد الدقيق للمفاهيم التي ترمي اليها كلمة أدب وكلمة فن ، مع رصد التغيرات التي طرأت عليها في المراحل المختلفة التي مرت بها ، والموازنة بين تلك التغيرات مع استخلاص الظواهر الجديدة في كل مرحلة .

والفصول الثلاثة التي تلي الفصل الاول ، برغم اختلافها في العناوين ، تتكلم كلها عن بعض المشاكل التي تتصل بعصر الحكيم ، وعن آراء الحكيم نفسه في تلك المشاكل . ولذلك فلم يكن هناك ما يبرر فصلها عن بعضها ما دام موضوعها واحداً ، وهو الصلة بين الحكيم وعصره من حيث تأثيره فيه ، وتأثره به . وهذا الخطأ المنهجي لا يعنينا كثيراً إلا من حيث نتائجه التي اصبح موضوع البحث معها بعيداً عن الالمام بالمشاكل الرئيسية التي كان ينبغي على المؤلف أن يعالجها ، والتي أشرنا إلى اغلبها في اول هذا المقال . فمقومات المسرحية عند الحكيم ، والمسرحية في الأدب العربي ومدى الصلة بين المسرحيات التي كتبها الحكيم وبين المشكلات الموجودة في مجتمعنا ، أو بين تلك المسرحيات وبين طبيعته النفسية التي تحددت على اساسها نظرته إلى الحياة وانفعاله بمواقفها المختلفة ، او الموازنة بين المسرحيات التي عالج موضوعاتها قبله فنانون آخرون ، مع تحديد مكانة الحكيم بينهم ، كل هذه موضوعات لم يتعرض لها المؤلف ، وإنما تركها ليحدثنا عن آراء الحكيم في بعض مشكلات عصره الظاهرة ، حديثاً تنقصه كثير من عناصر الدقة التي ينبغي أن تتوفر له ، ليصبح حديثاً علمياً .

والنقص الرئيسي الذي يبدو في عرض المؤلف لتلك الآراء هو اعتماده على الكتب التي عبر فيها الحكيم تعبيراً مباشراً عن آرائه ، كما يفعل كاتب المقالة . والحكيم كما حاولنا أن نبين في

الاجزاء السابقة من المقال – كاتب مسرحي قبل كل شيء . والمشكلات الأولى والمهمة التي تلفت نظر الدارس هي تلك التي تتصل بالمسرحية عنده ، وآراؤه الحقيقية في الفن والحياة ، وغيرهما من المشكلات هي التي نستخلصها من أعماله كفنان خالق قبل كل شيء . وفهمنا له ينبغي ان يضع رأيه المباشر في نفسه او في بعض أعماله ، كأي رأي من الآراء الاخرى التي تقبل المناقشة ، ويمكن تخطئتها ، ولا يصح للناقد الدارس بمجال – في رأينا – ان يسوي بين اعمال الفنان كلها ، من حيث اعتبارها أصولاً لأفكاره الحقيقية ، ووجهات نظره المختلفة في الحياة او الفن ، فان العمل الذي اشتركت في خلقه طاقات الفنان كلها ، من لا شعورية غير واعية إلى شعورية واعية ، غير ذلك العمل الذي اشتركت فيه طاقة تفكيره الواعي فقط . فالمسرحية على التحقيق ، تختلف في جوهرها عن المقالة من حيث اعتبارها مصدراً يرجع اليه الدارس لرسم الخطوط الرئيسية لشخصية الفنان في جانب من جوانبها . فاذا عرفنا أن هذا الكتاب لا يزيد عن ١١٨ صفحة ، يتلوها ثلاثون صفحة أخرى تحت عنوان « مختارات من مأثوراته » وعرفنا إلى جانب هذا ان المؤلف يسير من الصفحة الاولى في كتابه حتى الصفحة السابعة بعد المائة على منهج يعتمد فيه على « نقل » آراء الحكيم من كتبه التي يعبر فيها تعبيراً مباشراً عن آرائه ، وعلى رأسها « فن الادب » ، إذا عرفنا هذا أيضاً ، تبين لنا جوهر الخطأ الذي يؤدي بالمؤلف إلى الحديث عن مسرحيات الحكيم فيما لا يزيد عن عشر صفحات .

والفصل الذي يعنونه المؤلف «برائد الحوار» يقع في خطأ جديد هو اعتبار الحوار فناً قائماً بذاته ، لا عنصراً من العناصر التي يتكون منها شكل فني آخر هو المسرحية ، وهو منذ الصفحات الاولى يسجل هذا الغرض الذي يسلم به دون مناقشة ، فيقول في صفحة ٢٧ « اما توفيق الحكيم ، فهو مجدد الأسلوب الفني في الأدب العربي الحديث : أدخل عليه فن الحوار ... »

ولا شك ان المؤلف قد بذل جهداً في الفصل الاخير الذي جمع فيه مختارات مختلفة في تاريخها ومصادرها ، من آراء الحكيم ، ثم رتبها على حسب الموضوعات . ولكن المسألة التي تعنينا هي قيمة هذا الجهد ، هذه القيمة التي نشك فيها لأسباب كثيرة . فنحن من ناحية لا نجد مبرراً لهذا العمل ما دام الحكيم كاتباً عربياً ، ومؤلفاته موجودة امام القارىء ، والذي يستطيع ان يقرأ كتاباً عن الحكيم ، يمكنه ولا جدال ان يقرأ الحكيم نفسه ، ليرى آراءه في مصادرها الاولى ، ومن ناحية اخرى ، فاننا حين نقرأ كتاباً عن الحكيم إنما نبتغي بذلك ان نرى وجهة نظر المؤلف وفهمه لتلك الشخصية التي يعالج أفكارها وآثارها بالشرح والتحليل . وليس صواباً من ناحية ثالثة ان نأخذ موضوعاً للحكيم فيه آراء وافكار نحو موضوع « الانسانية والمثل العليا » او « المرأة والحب » ثم ننقل آراءه تلك وهي موزعة بين كتبه التي صدرت في فترات مختلفة لا من حيث الزمن فقط ولكن من حيث نظرة الحكيم نفسه – كفنان وإنسان – إلى الحياة والفن ، تلك النظرة التي تتغير بتغير المواقف التي يمر بها ، والمراحل النفسية التي يعيش فيها ، فنظرته مثلاً الى المرأة ، او المثل العليا ، في شبابه تختلف عنها ولا شك بعد تقدمه في السن وتعدد تجاربه وانفعالاته . ومن هنا فنظرتنا إلى آرائه ينبغي ان ترتبط بالمرحلة النفسية التي صدرت فيها وتلونت بلونها ، ولم تنفصل عنها . وليس من حقنا ، كما فعل المؤلف ، ان نقدم تلك الاراء منفصلة عن تاريخها النفسي ، لتبدو آخر الأمر ، في تلك الصورة التي لا مبرر في رأينا للجهد المبذول في تقديمها .

وظاهرة مهمة ، اخرى تفقد هذا الكتاب عنصراً جوهرياً من عناصر البحث العلمي ، حين تتوفر له المقومات التي ينبغي توفرها في كل بحث ليستحق صفته كبحث علمي ، في حساب المقاييس العادلة ، واقصد بهذه الظاهرة ، انعدام الاحساس بالمسؤولية العلمية التي تفرض على الباحث عدة صفات ، ينبغي ان يتصف بها ، قبل ان يقدم على كتابة كلمة في الموضوع ، ومن هذه الصفات التي نعدمها في مؤلف هذا الكتاب الامانة العلمية التي تعتبر عنصراً هاماً من عناصر الاحساس بالمسؤولية في مجال الفكر على اختلاف فروعه . فاذا كانت الامانة العلمية لا تمنع الباحث من ايراد فكرة ليست له في كتابه ما دام الموضوع الذي يعالجه قد اقتضى ذلك ، فالأمانة العلمية نفسها هي التي تفرض عليه ان ينسب تلك الفكرة الى صاحبها حتى تسلم معايير التقدير من الخلط ، وهذا ما لم يتوفر لمؤلف الكتاب ، فنراه مثلاً في صفحة ٢٣ من كتابه يقول دون اشارة الى المصدر الذي نقل منه فكرته « اتضح اليوم لكثير من النقاد والباحثين في اساليب ادبنا ان طه من حيث الاسلوب يمثل الاديب ، والعقاد يمثل المفكر ، والحكيم يمثل الفنان » . وحسبنا ان ننقل هنا ما كتبه قبل صدور هذا الكتاب بعامين ، الناقد المصري

الاستاذ انور المعداوي ، في احد فصول كتابه « علي محمود طه شاعر الأداء النفسي» والتي كان ينشرها على التتابع في مجلة «الرسالة». ففي العدد ٨٦٦ من هذه المجلة ، يقول الناقد المصري الاستاذ المعداوي « خذ مثلاً طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم ككتاب في مجال القصة وحدها لا في مجال آخر ، فستجد ان طه في « شجرة البؤس » و « دعاء الكروان » يمثل الطابع الأدبي فهو قصاص اديب ، وستجد ان العقاد في « سارة » يمثل الطابع الفكري ، فهو قصاص مفكر ، وستجد ان توفيق الحكيم يمثل الطابع الفني في عدد من قصصه فهو قصاص فنان ». والمصدر المباشر لفكرة المؤلف هي الكلمات الواضحة التي نقلناها بعد ذلك عن المعداوي ، فكلمة كثير من النقاد والباحثين حيث ينسب المؤلف اليهم هذا الخط النقدي لاموضع لها ، وبالتالي فقد كانت الامانة العلمية ، والاحساس بالمسؤولية يفرضان على المؤلف الاشارة الى المصدر الذي نقل عنه .

وجانب آخر من جوانب انعدام الاحساس بالمسؤولية العلمية عند مؤلف هذا الكتاب يتمثل في بساطة فهمه لفكرة المصادر . ويتضح هذا الجانب في حديث المؤلف عن وجودية سارتر في صفحتي ١٠٥ و ١٠٦ من الكتاب ، حيث يعتمد في تقديم اصول المذهب ومقوماته ، على كتاب للاستاذ العقاد هو « بين الكتب والناس » ... وخطأ المؤلف يتمثل — كما قلنا — في بساطة فهمه لفكرة المصادر ، وقلة وعيه بأهميتها ، التي ينبغي إزاءها ، ان نبحث عن صفات معينة من اللازم ان تتوفر فيها ليمكن اعتبارها مصادر سليمة . فالاستاذ العقاد مفكر عربي نحترمه ، ولكن احترامنا لا يمنعنا من ان نقول إنه لا يصح بحال اعتباره مصدراً من مصادر الحديث عن الوجودية عند سارتر ، فالعقاد ليس مؤرخاً ينقل اصول المذهب ومقوماته، ثم يترك للقارىء الحكم ، ولكنه صاحب رأي في المذهب ، فهو يعرضه ليعرض رأيه فيه ، هذا الرأي الذي لا نأمن معه ان نكون امام المذهب في غير صورته الحقيقية وعلى الاخص حين نعلم ان العقاد من خصوم هذا المذهب ، والعقاد يعتمد كذلك في ثقافته الاجنبية على اللغة الانجليزية وحدها، ولم يترجم الى الانجليزية حتى اليوم الكتاب الرئيسي الذي يشرح فيه سارتر اصول فلسفته ، ونقصد به كتاب « الوجود والعدم » . ومن هنا فان العقاد يتكلم عن وجودية سارتر معتمداً على مصادر غير مباشرة، ففهمه للوجودية لا يعتبر مصدراً بحال من الاحوال ، وان اعتبر لوناً من ألوان الفهم ، يعتمد على ثقة العقاد نفسه بمصادره حيث يتحمل وحده مسؤولية فهمه للمذهب بعد ان فقد ، في رأي المقاييس السليمة ، صفته كمصدر يمكن الرجوع اليه . ورأينا الذي نؤمن به هو ضرورة الرجوع الى كتب المذهب مباشرة ، حتى يكون حديثنا علمياً سليماً ، ما دمنا قد افترضنا في انفسنا ، كما فعل المؤلف ، اننا اصحاب حق في الحديث عن المذهب وصاحبه بل والموازنة بينه وبين الحكيم وافكاره مع ما في هذا نفسه من الخطأ ، لوضوح الفارق بين المعنى الذي ترمي اليه كلمة مذهب والمعنى الذي ترمي اليه كلمة رأي .

ان هذا الكتاب لا يتجاوز مرحلة المحاولة،إذ ينقصه الكثير ليصبح عملاً كاملاً يجيب عن الاسئلة التي تدور في الاذهان عن شخصية الحكيم او يقدم عرضاً ، او حلاً للمشكلات التي تتصل بالشكل الفني الذي حصر فيه الحكيم اغلب انتاجه الممتاز واقصد به المسرحية . ومواجهة تلك المشاكل تحتاج الى صبر طويل على الدراسة التي تتجه الى اعمق من الظواهر حتى يصل الدارس بالقارىء في شخصية الحكيم الى مناطقها الداخلية التي قد لا يعرفها هو عن نفسه . ولعلنا نكون على حق حين نقول إن دراسة الحكيم تحتاج الى شخصية لا تقل عن شخصية الحكيم نفسه في مقوماتها المتعددة وعناصرها المختلفة .

ولا احب ان ينتهي مقالنا هذا ، دون ان نشير الى ظاهرة في تفكيرنا ، هي سطحية احساسنا بقيمة الكتاب ، وتحملنا لمسؤولية ما نكتب ، وكذلك تصورنا لحقيقة العلاقة القائمة بين الكاتب وقرائه . فبينما كنت اقرأ الكتاب الذي جعلناه موضوعاً لمقالنا،والذي لا يضيف الىقارئه جديداً على الاطلاق، لفتتني فكرة تتكرر عند الدكتور طه حسين ، في كتابه « ألوان » حيث يقول بالحرف الواحد ، « انني لا افكر في القارىء حين اريد التحدث اليه » وفي نفس الوقت نقرأ للمفكر الواعي سارتر في احد فصوله القيمة « إن الكتاب حدث اجتماعي وان على الكاتب حتى قبل ان يأخذ قلمه ان يقتنع بهذه الحقيقة كل الاقتناع فالواقع ان عليه ان يشعر شعوراً تاماً بتبعته» . ونحن نؤمن بهذا الفهم الواعي الذي يجعل من الكاتب هذا الكائن الذي يقدر تماماً انه يكتب لمخلوقات لها قيمتها ومن حقها ان تشعر بوجودها الارقى مع ما يكتبه باستمرار ، والذي يجعل منه ايضا المسئول الاول عما يكتب : عن كل

كلمة يكتبها ، عن الموضوع الذي يختاره ، عن المنهج الذي يعالج به هذا الموضوع ، وعن النتائج التي يصل اليها وقيمتها ، مع ما يتطلبه ذلك كله من الاستعداد الطويل الذي يناسب حياتنا في حاضرها المليء بمشكلات لا تترك فراغاً للعبث .

ليس من العبث ان نكتب ، وليس من العبث ان نواجه الناس بأفكارنا ونتائجنا التي نصل اليها ، وما اصاب ماضينا بالشلل ، وحاضرنا بالجمود غير هذه المفهومات المريضة ، وذلك الترف الذي نقوم في ظله بمهمة الكتابة في عصر فيه استعمار وذرة ، وتجارب اخرى عنيفة ، يحياها الانسان ، وتستغرق مساحة واسعة من الحاضر والمستقبل على السواء .

القاهرة **رجاء النقاش**



الحياة الحضرية في سورية في عهد المماليك الاول

Urban Life In Syria Under The Early Mamluks

تأليف : الدكتور نقولا زيادة

منشورات الجامعة الاميركية ببيروت – ٢٩٩ ص

●

مؤلف هذا الكتاب الدكتور نقولا زيادة ، رئيس الدراسات العربية بالجامعة الامريكية ببيروت بالوكالة غني عن التعريف لقراء العربية ؛ فله أبحاث ومؤلفات اخرى معروفة منها « رواد الشرق العربي في العصور الوسطى » و « برقة – الدولة العربية الثامنة . »

والكتاب الذي نحن بصدده كتب باللغة الانجليزية . وهو « دراسة للحياة الحضرية في سورية الاسلامية خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر » . ويرجع المؤلف حينما اقتضت الضرورة الى القرن الثاني عشر « لما بينه وبين هذا العهد من اتصال . »

ويشتمل الكتاب على سبعة فصول تناول المؤلف فيها باسلوب علمي رصين البناء السياسي والاجتماعي والاقتصادي لسورية . ثم قدّم دراسة للمدن السورية وعلاقتها بالعوامل التي كان لها اكبر الاثر في نموها او انحطاطها ، وأتبع هذه الدراسة بصورة حية صادقة للحياة الاقتصادية في هذه الفترة ؛ ثم تناول النظم الاجتماعية من حيث طبيعتها واهميتها . وفي الفصل الاخير دراسة لخصائص الحياة الفكرية .

والكتاب يسد نقصاً ظاهراً في ما وضع من مؤلفات وابحاث في سورية المملوكية ، إذ ان هذه المؤلفات والابحاث قليلة قلة ظاهرة على الرغم من توفر المصادر الاولية وتنوعها وغناها . بل ان اكثر ما كتب عن هذا العهد أدمج في مؤلفات تفصيلية عامة وجّه واضعوها اكثر اهتمامهم الى للناحية السياسية . وما وضع بالعربية في هذا الموضوع يفتقر الى الاصالة ، واكثره « تجميع » للمادة « الخام » من مختلف المصادر الاولية .

وللكتاب الذي بين أيدينا خاصة نحب أن تتوفر في أبحاث مؤلفينا ، وهي الاعتماد – اعتماداً مباشراً – على المصادر الأولية مع فهم وإدراك تاريخيين للنصوص . وتظهر هذه الخاصة في مقدمة الكتاب حيث تناول المؤلف مؤرخي هذه الفترة الذين خلفوا لنا عنها مادة وافرة غنية ، فقدم لكل منهم دراسة عميقة موجزة . وشملت مقدمته الرحالين الذين زاروا سورية في هذا العهد واهمية ما تركوه من ثروة منوعة هي اكبر معين لنا على تفهم الحياة الاجتماعية والاقتصادية لسورية المملوكية . وقد ذكر منهم بنيامين التطيلي ، وثيودوريك أسقف ورتزبرج ، وابن جبير ، وبركارد ، وجون مندڤيل ، ولودولف ڤون سخم ، وابن بطوطة ، ونقولا أوف بوجسبيني ، ودي لابروكييه الذي تعد رحلته مصدراً عن الحياة الاجتماعية لسورية في هذه الفترة .

وللكتاب ميزة أخرى كبرى في نظرنا ، وهي أن المؤلف تناول النظم المختلفة من اجتماعية واقتصادية وسياسية وفكرية لا على أنها نظم جامدة كما فعل كثيرون ممن تأثروا بمؤلفات

الفقهاء ونظرياتهم ، بل على أنها نظم حية متطورة لم تصل إلى شكلها الفقهي إلا بعد أن اجتازت مرحلة النمو التدريجي .

ونتمنى لمن يتوفرون على مثل هذه الأبحاث التوفيق كله فيما هم بصدده من خدمة للعلم .

الجامعة الاميركية **محمود يوسف زايد**



وفي الناس المسرة

مجموعة قصص بقلم سعيد حورانية

رابطة الكتاب السوريين – دار القلم ، ١٠٤ صفحات

•

لا يشكّ قارىء هذه المجموعة القصصية ، إذ يفرغ من تلاوتها ، ان مؤلفها يملك « قماشة » القصاص الموهوب ، وإن كان امامه بعدُ بذل كثير من الجهد ليبلور موهبته ويركّزها ويستكمل لها الاسباب .

فهو ينجح في كثير من الاحيان بخلق الجوّ القصصي الذي يقصد اليه ، وذلك بايراد سلسلة من الصور توحي بالخطوط وترسم الاتجاهات ؛ وهو يتوسّل الى ذلك بالعبارة القصيرة الحيّة التي تولّد التوتّر المطلوب بلهجة لاتنقصها العصبية والحميّا.

على ان ما يُفسد جوّه احياناً حرصُه على تكلّف الصور الغريبة والتفاصيل الشاذة التي تبتعد عن احتمال الوقوع ؛ من ذلك هذا « التنفس الذي يقطعه السعال » في اقصوصة « الخيط المشدود » ؛ فمن الواضح ان المؤلف يخفق في ان يكسبه ايّ معنى يرتفع بقيمة الموضوع ، وان كان واضحاً ان في الاقصوصة تمجيداً للرابطة العائلية . وهذه الغرابة المتكلّفة شديدة الظهور في اقصوصة « الطفل يصرخ في الظلام » التي يحيط بها جو من الغموض المغلق يتجاوز حدوده الرمزية . ثم ان التأليف القصصي غير متلاحم ولا مترابط بحيث انه يصدم حسّ الانسجام والاستمرار لدى القارىء في مواضع كثيرة من السياق . وموضوع هذه الاقصوصة يدور حول : ايّ الزوجين عاقر؟ . ولا ريب في ان الفن الذي أجرى المؤلف في إطاره هذا الموضوع يبدو باهتاً امام الفنّ الذي نجده في اقصوصة « العاقر » لميخائيل نعيمة ، وهي تدور حول الموضوع نفسه تقريباً .

ونحسب بعد ذلك ان المؤلف بحاجة الى ان يوجّه اهتماماً أشد الى تخيّر موضوعات الاقاصيص . فقد يوفق الى ادخال القارىء في جو غنيّ بالصور والأحاسيس ، ولكنه هزيل الموضوع آخر الأمر : وهذا هو شأن اقاصيص « وغاب القمر » و « اوسمة الشيطان » و « اخي رفيق » و « ساعي البريد » . فالاولى قصة عانس تستعيد ذكريات ماضيها بسرد تنقصه الحرارة والقوة والجدّة ، والثانية قصة شاب يحب اخت صديقه فيفقده ساعة يكاشفه بالحقيقة ، والثالثة قصة غرق شقيق الراوي ، والأخيرة تشبه في اطارها « خبراً محلياً » يدور حول صبي تستخدمه امرأة لحمل رسائل منها الى اخيها ، ثم يتبين للصبي انها كانت عشيقة ابيه . كل هذه اقاصيص تعوزها قوة الموضوع وتماسك العقدة في فكرة موجهة .

ولكن لا بد من ان يحمد للمؤلف ان النزعة الانسانية تهزّ عدداً من اقاصيصه وترقى بها الى مستوى رفيع . وهذا ما تتميز به مثلاً اقصوصة « الساقان السوداوان » التي تعبّر عن كبرياء مومس اراد بطل القصة ان يسخر منها . وفي هذه الاقصوصة حرارة في الوصف والتعبير لعلها مستمدة من حرارة الموضوع بالذات . وكذلك القول في اقصوصة « وفي الناس المسرّة » التي تصور هي ايضاً موقف مومس تعرف انها تخدم الانسانية حين توفر لأصحاب الحياة الكئيبة من الرجال لحظات لذة يستمتعون بها . وبالرغم من ان فكرة القصة تثير نزاعاً اخلاقياً في نفس القارىء ، فهي تبلغ ان تؤثر فيه بالنزعة الانسانية التي تنطوي عليها .

واما « سريري الذي يئن » فهي قصة جميلة حقاً بما يضطرم فيها من عاطفة الاخوة السامية وما تكشف عنه من تمرّد في نفس البطل تجاه ابيه الذي يريد ان يخضعه لافكاره الرجعية ، والذي ينتهي به الامر الى طرده من البيت ، فيغادر البطل البيت الابوي وهو متمزق بين عاطفته العائلية ووعيه لرسالته القادمة في الحياة ، رسالة التحرر والتقدم . إن المؤلف ينصب لنا في هذه القصة بطلاً متمرداً يشق امام الجيل الجديد طريق الوعي والصراع والحرية ، وما اشد حاجتنا الى مثل هذا البطل القصصي ، وما اشد حاجتنا الى ان يحمل ادبنا مثل هذا الاتجاه .

بقي ان نقول ان المؤلف لا يعنى باسلوبه العناية التي يقتضيها الفن في كل اثر فني . فان عبارته مفتقرة الى الجزالة والتماسك والى ان تنجو من هذه الاخطاء النحوية الكثيرة ، فضلا عن

المطبعية ، التي تفسد على القاريء احياناً جواً قصصياً ناجحاً.

٢ . قاهر الموت

مجموعة قصص بقلم البير مفرّج

منشورات دار الثقافة ببيروت – ١٢٨ ص

يضمّ هذا الكتاب سبع عشرة اقصوصة يشعر قارئها ان لدى المؤلف نفساً قصصياً واضحاً . قد يتقطع هذا النفس بانحراف ما عن سمت الواقعية واستغراق في جو الرومانتيكية، وقد يزيغ بشكل من التجريد يضعف معه حسّ الحياة ، او برغبة لاوعية في تحميل « الاقصوصة » مادة الرواية ، وتلخيص هذه المادة بخطوط سريعة .. كل ذلك نقائص لا تخلو منها هذه الاقاصيص . ولعل اكبر نقيصة لها انها مكتوبة بسرعة تكاد تكون صحفية .. ولكن ذلك كله لم يحل دون ان تنعم هذه الاقاصيص بمزية الموهبة القصصية ، التي هي نوع من « الاثير » يجول بين اعطاف القصة ، فيبث فيها الحياة والحرارة . إقرأ مثلاً « قاهر الموت » و « قصة امرأة » و « كان يا ما كان » ، تلمس هذا « الاثير » لمس اليد .

ولعلنا لا نخطيء اذا قلنا إن المؤلف بحاجة الى استكمال الابعاد لقصته وصهرها في بوتقة من الوعي والريث والتعمق ، وتحميلها نزعات مركزة . ونحسبها بذلك ستتحلل من الشوائب التي تضعفها . ولن ننسى ان نوصي المؤلف بالقواعد النحوية خيراً .

٣ . المأمور العجوز

مجموعة قصص بقلم ادمون صبري رزوق

مطبعة دار المعرفة ببغداد – ٨٤ ص

سبع اقاصيص يقول الدكتور صلاح الدين الناهي ، كاتب المقدمة ، إن مؤلفها « من صميم الشعب » و « انه يحدثك بلغة الحياة نفسها » .. ونعتقد ان هاتين الصفتين لا تكفيان لخلق قصّاص . والواقع ان المؤلف لا يملك اية « رؤية » قصصية ، وهو يسجل الاحداث بسرد جاف يؤذي الحاسة الفنية . ثم إن الاخطاء النحوية والصرفية التي يقترفها من الغزارة بحيث تزهّد القارىء ، بالغاً ما بلغ صبره ، بمتابعة القراءة .

سهيل ادريس



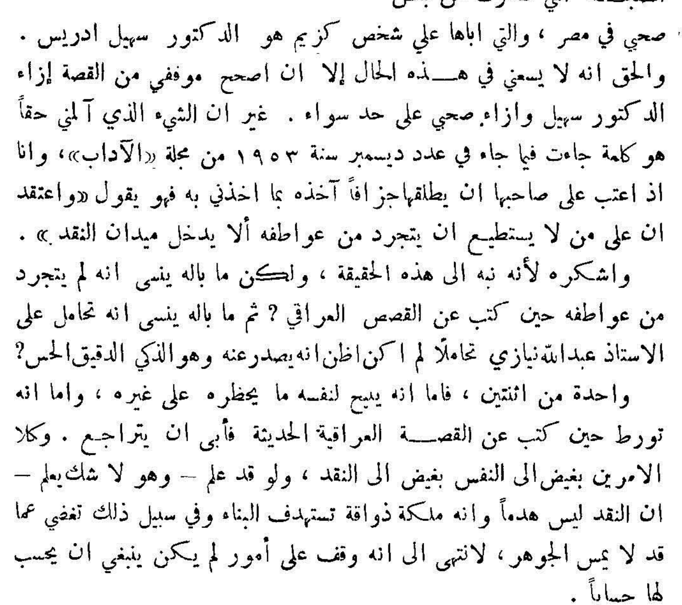
في العاصفة

الليلُ ، ممتد ، عميقْ
والريح تنبحُ .. والطريقْ
قفرٌ ... وفي جنباته سال المطر ..
والبرد يلسع مَنْ خطَرْ !..
أين المفرْ ؟!
والنائمون المترفون ! ..
في دفئِهم يتقلبون ...

★

حجبوا الضياءَ .. وأحكموا سدَّ الكوى
... وهناك .. تحت « المستوى »
شبحٌ تقاذفه الشقاءْ ..
مضنى .. يذوّبه العياءْ ...
.. أعمى ويلتمسُ الهدى ..
لا ، بل يقول : متى الردى ؟!
ويصيح سحّاحَ الدموع موجّعا
لن اهجعَا ! ..
... وتولول الريح الشديدة راجفة ،
حتى تجنّ العاصفة ،
ويجنّ إعصار مريعْ :
ظمآن يلتمسُ النجيعْ ،
... فيجندل الشبَح المذمّر بالعَدَمْ
ويصيح فَمْ ! ..
ويغيب في ليل الأزل ،
ولم يَبِنْ شط الأمل !؟..
.. والنائمون المترفون
في دفئهم يتعثرون ! ..

محمد شمس الدين
المحامي



مُناقشات

تعقيب

حين كتبت مقدمة « أناهيد » لم اكن اظن انها ستثير هذه الضجة التي صدرت عن بعض صحبي في مصر ، والتي اباها علي شخص كريم هو الدكتور سهيل ادريس . والحق انه لا يسعني في هذه الحال إلا ان اصحح موقفي من القصة إزاء الدكتور سهيل وازاء صحبي على حد سواء . غير ان الشيء الذي آلمني حقاً هو كلمة جاءت فيا جاء في عدد ديسمبر سنة ١٩٥٣ من مجلة «الآداب»، وانا اذ اعتب على صاحبها ان يطلقها جزافاً آخذه بما اخذني به فهو يقول «واعتقد ان على من لا يستطيع ان يتجرد من عواطفه ألا يدخل ميدان النقد» .

واشكره لأنه نبه الى هذه الحقيقة ، ولكن ما باله ينسى انه لم يتجرد من عواطفه حين كتب عن القصص العراقي ? ثم ما باله ينسى انه تحامل على الاستاذ عبدالله نيازي تحاملاً لم اكن اظن انه يصدر عنه وهو الذكي الدقيق الحس?

واحدة من اثنتين ، فاما انه يبيح لنفسه ما يحظره على غيره ، واما انه تورط حين كتب عن القصة العراقية الحديثة فأبى ان يتراجع . وكلا الامرين بغيض الى النفس بغيض الى النقد ، ولو قد علم — وهو لا شك يعلم — ان النقد ليس هدماً وانه ملكة ذواقة تستهدف البناء وفي سبيل ذلك تغضي عما قد لا يمس الجوهر، لانتهى الى انه وقف على أمور لم يكن ينبغي ان يحسب لها حساباً .

ولا أتهم الدكتور سهيل ادريس ، ولكني اذكره بأن الناقد الذي يتلمس العيب يجد العيب دائماً ، وعلى هذا الاساس نستطيع ان ننقض — لا ننقد — آثار الخالدين . وانا شخصياً اذا كنت اعيب على « نجيب محفوظ » تقديم اشخاصه في رواياته تقديماً ساذجاً بحيث لا يدعها تنمو نمواً تلقائياً متطوراً مع الحوادث ، كما اعيب عليه نهاياته المسرحية في كثير من الاحيان ، فأني معجب به ايما اعجاب ومقدر له ذلك المجهود الرائع الذي يبذله في بناء صرح الرواية العربية .

فالفنان له جوانبه التي يبرز فيها ولكن له في الوقت نفسه جوانب كثيرة تسدد منها الطعنات له . ومن ثم فنحن نستطيع ان نجد المآخذ عند تشيكوف كما نجدها عند عبد الحليم عبدالله ، ونجدها عند ديكنز كما نجدها عند الدكتور سهيل ادريس نفسه، فليس يحق له والامر كذلك ان يغض عن القيّم في سبيل انكار الهيّن، ولا ان يقول « وبعد فلا بد لي ان اعتذر للقارىء الكريم على هذا البحث الممل بطوله ، وعلى اني هدرت هذه الصفحات في الحديث عن كتاب لا يستحق اكثر من اشارة عابرة للتاريخ » .

انا لا ادافع عن نيازي ، ولكني ادافع عن مهمة الناقد الواعي .. عن حقيقة أعلم ان الدكتور سهيل يعرفها ويؤمن بها ويحسها ويحرص على ان يحققها في كثير مما يكتب ، ولكنه يتناساها في بعض الاحيان .

فليدعني — لو تفضل — اقف على شيئين وقوفاً عابراً حتى لا نشغل القراء بما قد لا يصح ان يشغلوا به .. فقد تحدث عن التجديد فضيق من دائرته وحدد من آفاقه ، وهو لو ادرك انه في التجربة حين تصور تصويراً أصيلا لاتفق معي على ان الفنان الصادق مجدد دائماً . وما ينبغي في هذه الحالة ان نجعل للزمان والمكان اعتبارا ، وليس من شك في انه كلما قرأ آثار النابغين من القدماء أحس جديدا ، وإلا فليتفضل بمناقشة آثار دستويفسكي وجوته ولامارتين . فليس عجباً بعد ان أعد الاستاذ عبد الله نيازي واحداً ممن يحملون لواء التجديد في الادب العراقي الحديث ، وعليه ان يقارن بين ما يكتب وما كتب الجيل الماضي من قصص ضئيل ، فلن يقول مرة اخرى عن موضوع — لا يزال امامنا مشكلة تعالج — انه شيء قديم مبتذل .

هذا شيء ، وأما الشيء الآخر فيؤسفني حقاً اني لا احمده عليه ، واحسبه يتجنى به على نزعة العالم المتأنية الفاحصة المستقصية . أو لم يجتر من « النص » ما لا يلقي إلا ضوءا كاذبا ? انا لا ادري لماذا اكتفى بنقل قولي في مقدمة اناهيد « ان كاتبنا استطاع ان يحافظ فيها على الوحدة .. وحدة الشعور ، وحدة الحدث ، وحدة البيئة » أيقول « وهذا مقياس عجيب للقصة ، فمتى كانت القصة الناجحة تتوقف كالمسرحية على وحدة او وحدات ? »

عفواً يا دكتور .. انا لم اقل ذلك في معرض اعجابي ، وانما قلته لأنتهي الى ان « اناهيد اشبهت « بير وجان » حين اجمع النقاد على انها قصة قصيرة مطوطة . ألا تتفق معي على ان قصة دي موباسان لا توضع جنباً الى جنب مع الفن الروائي ? ارجو ألا ينسى القارىء اللبيب اني قلت بالحرف الواحد « اناهيد قصة طويلة ولكن كاتبنا استطاع ان يحافظ فيها على الوحدة .. وحدة الشعور ، وحدة الحدث ، وحدة البيئة . غير ان هذا لا ينقص من قدرها ولا يخلطها بالقصة القصيرة وإلا فانه يتحتم علي ان انكر ما فيها من سمات الرواية وخصائصها » ومعنى ذلك اني لا اعجب بما فيها من وحدة ولكني احترم ما فيها من سمات الرواية . ولعل نيازي نفسه لا يزال يذكر حملتي عليه من اجل هذه الوحدات .

وبعد ، فهلا فتح الدكتور صدره لما عساه يبصر القارىء ببعض حقائق عن الادب والنقد ? اني لا ادافع ولا ارتجل ولكني اتأنى واسجل ، ذلك انه اذا كان الاثر الفني نشاطاً يقوى ويضعف حسب الشخصية الخالقة فان النقد محاولة لتقويم الضعف وتقدير القوة ، ولكنه لا يستهدف هدماً على الاطلاق.

القاهرة **احمد كمال زكي**

رد على تعقيب

حين يقول الاستاذ احمد كمال زكي : « والحق انه لا يسعني [...] إلا ان اصحح موقفي من القصة ازاء فلان (ويذكر اسمي) وازاء صحبي على حد سواء » حين يقول ذلك معلقاً على الضجة التي اثارتها مقدمته لـ « اناهيد » ، فانما يثبت انه جدير حقاً بالثقة والتقدير اللذين يكنانها له صحبه واكنهما له انا بالذات . فقد سبق ان عبرت عن اعجابي بثقافته الرفيعة وتذوقه المرهف . وضني عليه ان ينزلق الى المحاباة ، في معرض تقويم أثر ادبي ، هو الذي دعمني الى منافشته . اما وانه يصارح القراء الآن بانه « يصحح » موقفه ، وهذا التصحيح فضيلة ، فاننا نحمد له ذلك ونشيد بنزاهته ونبله .

ولكن هذا لا يعفيني ، على ما اعتقد ، من الرد على بعض ما جاء في تعقيب الاستاذ الفاضل . فهو يتهمني بأني لم اتجرد من عواطفي حين كتبت عن القصص العراقي ، وبأنني تحاملت على الاستاذ نيازي ، واني بذلك ابيح لنفسي ما احظره على غيري ، او آبى التراجع بعد ان تورطت في الكتابة عن القصة العراقية .

والحق اني لا اعلم الحجة التي بنى عليها الاستاذ احمد كمال زكي اتهامه اياي باني لم اتجرد من عواطفي واني تحاملت على المؤلف. ولست ادري ان كان يكفي لرد هذه التهمة ما شهد به كل من علق على بحثي في القصة العراقية ، سواء منهم من اثنى عليه او من عارضه . لقد اجمعوا كلهم على وصف البحث

بالتجرد . والواقع اني لا ادرك كيف يتأتى لي ان انساق مع «عواطفي»، وليست لي ازاء احد من القصصين العراقيين اية عاطفة « مسبقة » ، لانني لا اعرف منهم احداً ، ولم يسبق لي ان كاتبت إلا واحداً فقط ، فكان صديقاً لي بالمراسلة . ولكني ما كدت ادلي برأيي في ادبه القصصي حتى اتهمني بعضهم بأني ظلمتـه ، ولا اعتقد ذلك ؛ ثم ما لبثت ان فقدت صداقته ، بل ربحت عداوته ... فهل يرى الكاتب المصري الفاضل ، في هذه الوقائع، اي دليل على التغرض ؟

وليثق بعد ذلك اني لم اكتب عن الاستاذ عبدالله نيازي باي دافع من تحامل . فقد ارسل الي هذا القصاص العراقي مجموعاته القصصية اكثر من مرة وكان هذا وحده يكفي لكي اوليه عناية خاصة ، ولكنني رجعت الى مؤلفاته اكثر من مرة، فلم استطع ان اغير الرأي الذي اوحته لي قراءتها الاولى، ولم تستطع قصته « اناهيد » ان تغير من رأيي بفنه القصصي . فهل اصبحت الصراحة في ابداء الرأي تحاملاً ؟ لقد كنت اربأ بالاستاذ احمد كمال زكي ان يرتاح الى مثل هذا المنطق .

انني اوافقه كل الموافقة على ان النقد ليس هدماً ، وانه ملكة ذواقة تستهدف البناء ، وانه في سبيل ذلك يغضي عما قد لا يمس الجوهر ... ولكن أيعتقد حقاً انني في نقدي تناولت ما لا يمس جوهر القصة ؟ لماذا تراه اذن لم يناقش هذا النقد ؟

لا احسب احداً يدعي انني في دراستي للقصة العراقية توخيت الهدم ... وانما الذي دعاني الى « هدم » قصة « اناهيد » - على فرض ان نقدي اياها هو حقـاً هدم - هو ان كاتباً محترماً وناقداً ذواقاً كالاستاذ احمد كمال زكي اراد ان يبني من هذه القصة - وهي لا تكاد تكون كوخاً صغيراً - قصراً شاهقاً يضاهي قصور الكتاب الروس ! ثم انني لا اوافقه على انني غضضت عن القيم في هذه القصة، في سبيل انكار الهين؛ فانا اعتقد انني تناولتها في خطوطها الرئيسية ، ولا زلت عند رأيي في انها قصة منهارة .

واراني كذلك اوافق الكاتب الفاضل على ان « الفنان الصادق مجدد دائماً » . ولكن هل اعترفت بان مؤلف « اناهيد » فنان صادق حتى اعترف بأنه مجدد ؟ لقد استشهدت ، في نقد القصة ، بمقاطع تدل عـلى ان الصدق معدوم في التصوير . وارى الاستاذ زكي لا يناقش هذا ايضاً . بل هو يطلب مني ان اقارن بين ما يكتبه نيازي وما كتب الجيل الماضي . وانا في الحق لا ارى مجالاً للمقارنة بين آثار نيازي وآثار الجيل الذي سبقه والجيل الذي ينتمي اليه من قصصي العراق امثال ذو النون ايوب وعبد الحـق فاضل ونزار سليم وشالوم درويش وعبد الملك نوري وشاكر خصباك الخ ... وهؤلاء هم حقاً مجددون ، وليس كذلك عبد الله نيازي ، ولن اعود هنا الى الحديث عنهم .

بقي « النص » الذي يقول الزميل المصري اني لم اختر منه إلا ما يلقي ضوءاً كاذباً ... وهنا استميحه العذر مرة اخرى فاقول ان التفسير الذي اورده للعبارة التي تضمنتها المقدمة يدل على انه استعمل كلمات «ولكن صاحبنا استطاع ان يحافظ على ...» لغير ما يعنيه. فان استطاعة المحافظة على الوحدة، كما وردت في العبارة ، توحي بالمقدرة والنجاح ، وفي هذا مجال للاعجاب . واذن فان في الفكرة التباساً وغموضاً لا يزيلها قول الكاتب في تتمة العبارة ولعل الصحيح هو ان يقال : « اناهيد قصة طويلة ، ولكن كاتبنا حافظ فيها على الوحدة الخ ... » لأن الاستطاعة تقتضي الوعي والجهد ، وهما غـير مطلوبين في هذا المجال ، الذي يريد الكاتب ان يعبر فيه عن عدم رضاه .

هذه هي الملاحظات التي اوحى إلي بها تعقيب الاستاذ الاديب احمد كمال زكي . واياً ما كان ، فأعتقد ان شقة الخلاف بيننا ، في تقويم هذه القصة ، قد ضاقت كثيراً ما دام الكاتب الفاضل لم يناقش المآخذ التي اخذتها على القصة وما دام قد بدأ تعقيبه برغبته في « تصحيح » موقفه ، إلا اذا كان يقصـد « بالتصحيح » غير معناه اللغوي الحقيقي !

وللاستاذ احمد كمال زكي ، على كل حال ، تحيتي واعجابي وتقديري .

سهيل ادريس

حول قصة « اناهيد » ايضاً ..

في عدد « الآداب » الغراء لشهر كانون الاول قرأت للدكتور سهيل ادريس نقداً لقصة « اناهيد » للقاص العراقي عبد الله نيازي ... وكم كان رأي الدكتور صادقاً في ان كتاب القصة العرب هم في الحقيقـة في مؤخرة ركب كتاب القصـة العالميين وان عبد الله نيازي في مؤخرة كتـاب القصة العرب ..

والحقيقة هي كذلك صدقاً فان القصة العربية لا تزال ضعيفة لا يمكن مقارنتها بالقصص الروسية او الانكليزية او غيرها ولا يمكن مقارنة القصصيين العرب بالقصصيين الروس او الانكليز او غيرهم ناهيك عن (عبدالله نيازي) !

ان مقارنة عبدالله نيازي بديستوفسكي وغوغول وغوركي لأمر مضحك..

وانه يدل حقاً على جهل بالقصة وجهل بدستوفسكي وغوغول وغوركي وجهل بعبد الله نيازي نفسه . واني لأتساءل مع المتسائلين كيف سمح الاستاذ احمد كمال زكي لنفسه ان يقـارن هذا المؤلف بارباب الفن القصصي الخالدين وعمالقتها الجبابرة ؟

و « اناهيد » محاولة فاشلة لا تعتمد على اي اساس من الاسس الضرورية لكل قصة ولكل كاتب قصة من ثقافة عميقة واسعة ومخيلة خصبة ناضجة ونفسية ايجـابية خلاقة وتمكن من اللغة والمام بعناصر القصة الموضوعية والشكلية .

اما عبدالله نيازي ومن لف لفه من تلامذة (محمود تيمور) فهم ويا للاسف فقراء في هذا المجال لا يجيدون سوى اللغة العربية ولم يقرأوا الا للكتاب العرب المخضرمين وتعوزهم الثقافة اللازمة التي هي زاد القصصي وعتاده وتنقصهم الحنكة الفنية التي تميز الكاتب القصصي الحقيقي عن المزيف .

ان اناهيد كانت تافهة فاشلة ولا تبشر باي مستقبل جدي ... وان رأي الدكتور سهيل ادريس فيها وفي صاحبها كان رائعاً فله الف تحية ...

بغداد **عدنان نور الدين الداغستاني المحامي**

تحت راية المتنبي

ليس من الانصاف في شيء ان ننكر على الاديب الكبير سلامه موسى منزلته المرموقة في الادب العربي والفكر العربي وفضله في توجيه النشء الى الحرية كهدف نهائي .

على انني لمست في مقالته الاخيرة وموضوعهـا « حياة الاديب جزء من ادبه » اسرافاً في الحكم على شاعرية ابي الطيب. هذه المقالة التي نشرتها جريدة اخبار اليوم تاريخ ١٩٥٣/١١/٧ والتي اشارت اليها مجلة « الآداب » في عددها الاسبق . اجل لقد لمست في مقالته شيئاً من التهاون في مكانة هـذا الشاعر الفذ . ولعل الاستاذ موسى يذكر ما نقل عن لسان المعري في الحكم على استاذه المتنبي ساعة قرأ له هذا البيت :

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي   واسمعت كلماتي من به صمم

وما احسبني مبالغاً اذا انا ارجعت معظم افكار ابي العلاء المتحررة الى معلمه الذي لم يستحق في نظر الاستاذ موسى ان يكون شيئاً بالنسبة الى تلميذه .

وما احسب المعري يوم قال:

وأرى ملوكا لا تصون رعية فعلام تؤخذ جزية ومكوس

إلا تلميذاً فطناً ادرك ما يرمي اليه استاذه المتنبي في قوله :

وانما نحن في جيل سواسية شر على الحر من سقم على بدن
حولي بكل مكان منهم خلق تخطي اذا جئت في استفهامها بمن
لا اقتري بلداً الا على غرر ولا امر بخلق غـير مضطغن
ولا اعاشر من املاكهم ملكا الا احق بضرب الراس من وثن

فامتداح المتنبي يا اخي الاستاذ لم يكن ضرباً من الذل ولا لوناً من الوان الهوان . وهو الذي ما امتدح ملكا او اميرا الا اخذ لنفسه الحظ الاوفر فزها عليه وطاوله ، ومثل هذا المدح لا ينجم عنه خنوع واستكانة !

ما ابعد العيب والنقصان عن شرفي انا الثريـا وذان الشيب والهرم

ان من يجهر بمثل هذا البيت ليعرف قيمة نفسه وحقها من الحياة . فلقد عاش المتنبي لغاية واحدة هي السؤدد والكرامة .

ولا تحسبن المجـد زقاً وقينة فما المجد الا السيف والفتكة البكر
وتضريب اعناق الملوك وان ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك في الدنيا دويا كأنمـا تداول سمع المرء انمـله العشر

وما اخاله يرضى للناس ما لا يرضاه لنفسه .

وإنما النـاس بالملوك ومـا تصلح عرب ملوكهـا عجم
لا ادب عندهم ولا حسب ولا عهود لهـم ولا ذمم
لكل ارض وطئتهـا امم ترعى بعبـد كأنها غـنم

فأين هذا القول يا سيدي من اولئك الذين رضوا في الماضي بظلم فاروق واضرابه ورضوا بتلك المفاسد التي شاعت في ايامهم وظل احكامهم ؟

ان شاعراً يطلب من الملوك ان يكون عندهم ادب وذمم ويطالب من الرعية ان يكون عندها اباء وشمم فلا تقاد له انقياد الغنم لشاعر كبير يتحسس باحاسيس الجمال كما يتحسس بالشقاء يبعثه الالم .

ولن ادخل مع القائلين بفلسفة «الفن للفن» في جدل عاقر فنحن متفقان يا سيدي على ان الفن هو الحياة في اسمى معانيها — الخير والجمال — لأن الشاعر في نظري اشبه شيء بابرة البوصلة التي يهتدي بها المدلجون والتي لا تتجه الا شطر القطب الشمالي كيفما وضعت والى وجهت . وليس للشاعر الحق من قطب يتجه اليه سوى قطب الحياة . والحياة جمال وخير ، حرية وبنـاء . وانه لمن ضياع الوقت ارشاد الفنان الى واجبه . لأن الشاعر الحق هو في خياله المجنح طليعة المجتمع الخير ورائد الحضارة السباق .

ذكي تظنيه طليعـة عينـه يرى قلبه في يومه ما ترى غدا

فمن هذا القلب تطل الحاسة السادسة على الوجود . هذه الحاسة التي يتمتع بها الادباء الملهمون الذين يرون ما سوف يكون قبل ان تدركه العيون . فاذا باحلامهم المجلوه في بساط الريح مثلا تتحقق طيوراً فولاذية تخترق حجب الفضاء وتوشك ان تصل الارض بالسماء . ان الحديث في شعر المتنبي يطول ويلذ . ولست احشى معه مللا ينالكم او ينال القارىء الكريم ولكني اراني مضطراً لأختصار القول على اعتبار ان خير الكلام ما قل ودل .

وقصاراه هو انني ارى في شعر المتنبي مدرسه خلقية كريمة في مقدورها ان توجه الاجيال الناشئة توجيهاً انسانياً صحيحاً .

وغـير فؤادي للغواني رمية وغير بنـاني للزجاج ركاب
تركنا لاطراف القناه شهوة فليس لنا الا بهن لعـاب
اعز مكان في الدنى سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

لهذا البيت الاخير يعود الفضل يا استاذي الكريم في التعرف اليكم والى سواكم من ادباء العرب وغيرهم ، أفيجوز ان يعرض النشء عن شاعر يقول مثل هذا القول الحكيم ؟

ان الحرية التي ينادي بها رجال الفكر اليوم في عالمنا العربي لا تتجاوز في نظري حدود هذا البيت الذي قاله المتنبي منذ الف سنة :

لا تشتر العبد الا والعصا معه ان العبيد لأنجـاس مناكيد

ففيه دعوة لحث العبيد على التحرر من عبودية شهواتهم واطماعهم وفيه فلسفة نفسية يقرها علماء النفس اليوم في معالجة مشاكل التربية بحيث تكون العصا للمربي اجدى من الوعظ والارشاد في تربية من تعوزهم العصا .

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى

ثق يا سيدي انني ما رميت من وراء عجالتي هذه الى ارشادكم سواء السبيل في كيفية تفهم هذا الشاعر الجليل . ولكنني خشيت ان قرأ الشباب مقالتكم تلك ان يعرضوا عن دراسة المتنبي في حـين انه مدرسة قائمـة بذاتها . مدرسة غراسها سامقة واهدافها سامية .

وديع ديب

نقد هابط * !

حاول الاديب رجاء النقاش ان يعبث بالحقائق والمفاهيم وان يعبث الى جانب ذلك بمقاييس الذوق والادب في تعليقه على ما كتبته حول « ديوان الشرقي » ، وقد كان الاجدر بالاديب الناقد ان يقف عند حدود معقولة بدل ان يندفع هذا الاندفاع المستهجن وهو يغط من كرامة الانسان ومن كرامتي التي هبطت بها الى الحد الذي سرقت بها القروش التي دفعها لشراء مجلة الآداب!

وانا لا اريد ان اسير معه في تعليقه او ان انتهج اسلوب الطعن بكرامته التي سولت له ان يسميني بالعابث . ولكنني اريد أن أؤكد له اولاً — على الرغم من ان هذا في الواقع خارج عن الصدد — انني لا اعرف شيئاً عن كتاب « نماذج فنية من الادب والنقد » ولم يقع بين يدي مثل هذا الكتاب ولم اقرأه ، وليس هـذا استخفافاً بصاحبه الذي اقدر ادبه وكتابته كل التقدير ، ولكنها حقيقة يجب ان تقال في معرض نقد لم يلتزم فيه صاحبه حدود الامانة والدقة . واما عن قضـة « الاداء النفسي » في الشعر فليست هي كشفاً جديداً لم يعرفه احد من قبل ، وليست هي اختراعاً مسجلا باسم اديب معين من الادباء ، وبالتالي فلا يعني ان كل من عالج الشعر على ضوئها لا بد وان يكون قد سرق آراءه من الاستاذ المداوي وبالتالي يكون قد سرق قروش الاستاذ النقاش وهبط بكرامة الانسان الى الحضيض .

ولو حمل الاستاذ النقاش نفسه مؤونة التتبع ورجع الى كتاب «الديوان» للعقاد والمازني والى كتابات طـه حسين وسيد قطب في الادب والنقد والى كتب للاستاذ نعيمة وعلى الخصوص كتابه « الغربال » لوجد ان موضوع الاداء النفسي في الشعر قد عولج في كتابات الكتاب المذكورين ، ولعل مثل هذا التتبع كان انفع وافيد له من الوعظ في كرامة الانسان وتجلية معدني ! ومع وجود مثل هذه الكتابات لم يقل احد من الكتاب والنقاد ان الاستاذ المداوي قد سرق منها ، فاكل باحث. وناقد اسلوبه وطريقته اما ان توجد ثلاثة تعابير هي « الهياكل العظيمة » و « انعكاس صادق من الحياة عـلى الشعور » و « لمعانه كلمعان البرق الخاطف ... » في تعليقي فقد استعملت في كتابات الاستاذ المداوي وتدل على السرقة وعلى الهبوط بكرامة الانسان فانما يشير مع الاسف الشديد الى ضيق التقدير . وانني اشير على الاستـاذ النقاش ان يأخذ العدد الذي بين يديه وان يقرأ كل مقالاته واحاديثه فسيجد

* حذفت « الآداب » من كلمة الكاتب الفاضل بعض الجمل التي اعتبرتها نابية ، كما سبق ان حذفت بعض العبارات في كلمة الاستاذ رجاء النقاش السابقة

ولا شك الفاظاً وجملاً متشابهة فهل يدل هذا على السرقة وعلى الهبوط بكرامة الانسان ؟! وفي الواقع لو انني كنت في حاجة الى سرقة « مستوى غيري الفكري والنفسي»... لما اخذت من كتابات هذا الغير الفاظاً معينة لتكون دليلاً في يد الاديب الفاضل الاستاذ النقاش على هبوطي من كرامتي ! والاغرب من هذا كله ان الاستاذ قد اعتبر اقتباسي لبعض ابيات من قصيدة « وطن النجوم » سرقة اخرى من كتاب النماذج للاستاذ المعداوي وهو كتاب آخر آسف انني لم اجده بين يدي في يوم من الايام ! ثم ان استعمال « وطن النجوم » ليس احتكاراً للاستاذ المعداوي وغيره ، فقد نشرت القصيدة في اكثر من مجلة واقتبسها اكثر من كاتب وناقد . واذكر ان الاستاذ سيد قطب قد عرضها ضمن ما عرضه من النماذج الجيدة في الشعر في صدد كتابته عن المقاييس الشعرية . وبالاضافة الى كل هذا فانني لم اقتبس مقطوعات من هذه القصيدة فقط،فقد اقتبست ابياتاً من شعر ابن الرومي والشابي وقدمت قصيدتين لشاعرتين انكليزيتين ، وقد نشرت « الآداب » مقطوعات ايليا أبو ماضي والرومي والشابي واختزلت القصيدتين الاخيرتين! فاين هو هذا الهبوط بكرامة الانسان ؟

بغداد **فؤاد طرزي**

حول نقد كتاب

الى الاستاذ عيسى الناعوري

قيل في المثل : « الحركة الخاطئة خير من السكون الصائب » . فمهما يكن من شيء فنحن قد بذلنا جهداً وقدمنا شيئاً . والذي قدم اليوم كتاباً لجوركي مشوباً بأخطاء ، يستطيع غداً ان يقدم عملاً آخر ادنى الى الكمال بشيء من المعونة والتشجيع والنقد السليم . والذي يقارن كتابنا « نذير العاصفة » «بمعترك الحياة» يجد فرقاً واضحاً بين الاثنين. ولكن، لسوء الحظ، لا يزال نقادنا يعتقدون ان النقد معناه الهدم والتدمير او البحث عن كل مساوىء العمل الفني وإبرازها للعيان . والنتيجة الوحيدة لذلك هي فتور همة المنتج وتقاعده . والادب هو الخاسر في هذه الحال . إن النقد الذي نؤمن به هو ذلك النقد الذي يبصر الجوانب الطيبة والجوانب السيئة والقوى الكامنة في العامل المنتج وشحذ هذه القوى الدفينة بحيث تنمو وتقوى وتؤتي ثمارها واكلها . هذا هو النقد السليم يا اخي عيسى الناعوري . فالشتائم يا اخي لا تفيد احداً ولا تصلح من شأن انسان ، كما يقول جوركي العظيم . ولو علمت يا اخي في اية ظروف عصيبة طبع هذا الكتاب وفي اية اوقات حالكة كان مترجماه لعذرتنا ورحمتنا . تقول اننا تواطأنا والمطبعة على تشويه الكتاب . ايمكن لمخلوق ان يشوه روحه وعقله ودمه ؟ . ولقد قرأت ما اوردته من اخطاء في النحو واللغة . ولكن الحقيقة ان الكثير مما ذكرته يرجع الى المطبعة وتدخل عوامل اخرى لم تكن في الحسبان . وبودي ان تخبرني عن الذي يقدر ان يكتب دونما خطأ في اللغة او النحو ؟ الم تقرأ ما أخذه الرافعي على ط. حسين وط حسين على حسين هيكل وبشر فارس على العقاد والعقاد على ميخائيل نعيمه ... ؟ الخ . نحن لا نريد ان نتلمس الاعذار لانفسنا ولكنا نقرر واقعاً . وبهذه المناسبة ، حدثني احد اصدقائي الفنانين انه الف رواية واراد ان ينقيها من اخطاء النحو واللغة ، فاحضر اثنين من اصدقائه : واحد تخرج في الازهر ونال اعلى اجازاته في اللغة وفروعها . وآخر من ابناء الجزيرة العربية . ووضع الرواية بينهما فما قرأ الجملة الاولى حتى انشب النقاش اظفاره فيهما وانقلب النقاش الى جدال والجدال الى شتائم والشتائم الى سباب ومر الظهر والعصر والعشاء وهما على هذه الحال وكادا يشتبكان لولا ان لوح احدهما بيده قائلاً لزميله : يا اعجمي ، فاصطدمت يده بالمصباح الغازي الموضوع على المائدة فسال البترول على الرواية المسكينة وكادت تلتهمها النار لولا ان سارعوا جميعاً باطفائها ... اراك تبتسم ! ! تبسم يا صديقي ، فالابتسامة السمحة اثمن ما في الوجود ، واغفر لنا ما اتينا من خطأ لم نقصد اليه ابداً ، وكنا اول من جلدنا انفسنا بسياط الالم والندم على هذه الاخطاء ، وعسى ان نلتقي قريباً في نتاج يرضينا ويرضيك .

القاهرة **سعد توفيق**

حول الشعر المتحرر في العراق

قرأت في عدد «الآداب» الاسبق كلمة بقلم السيد موسى النقدي ذكر فيها ان اول من اهتدى الى طريقة الشعر المتحرر من الاوزان والقوافي هو الشاعر بدر شاكر السياب، وذكر بعض التواريخ التي ظنها تؤيد رأيه هذا. والحقيقة ان كل متتبع لتاريخ الشعر الحديث في العراق بعد الحرب لا يمكن ان يمر بهذا الحكم دون ان يستغرب من كون الكاتب لا يدري ان نازك الملائكة هي التي ابتدأت في [آب] سنة ١٩٤٩ عندما اصدرت ديوانها [شظايا ورماد] وفيه قصائد كثيرة متحررة ، وقد صدرته بمقدمة ضافية شرحت فيها هذا المذهب وذكرت الاسباب التي تجعله ضرورياً للشعر الحديث . ومن الانصاف للتاريخ ان نقول ان الصحف العراقية لم تنشر بيتاً واحداً من الشعر المتحرر قبل صدور هذا الديوان وقيام ضجة كبيرة حوله في الاوساط وفي الصحف دامت اشهراً طويلة اشتركت فيها اغلب المجلات والجرائد في بغداد، ولم يبدأ الشعراء الشباب باتباع هذه الطريقة، الا بعد هذا باشهر. اما القصائد التي نشرت للشاعر بدر شاكر السياب في مجلة « البيان » فتأريخها متأخر عن تاريخ صدور [شظايا ورماد] واذا شاء السيد موسى النقدي فليراجع التواريخ في المجلة المذكورة .

بقي ان نقف عند الحقيقة التي تلوح مقنعة : وهي حقيقة كون بدر شاكر السياب قد ضمن ديوانه الاول [ازهار ذابلة] الصادر في كانون الاول سنة ١٩٤٧ قصيدة متحررة عاق عليها الاستاذ روفائيل بطي في مقدمة الديوان. والظاهر ان صدور [ازهار ذابلة] قبل [شظايا ورماد] بسنتين قد اقنع السيد موسى النقدي اقناعاً تاماً بأن الاولية لبدر شاكر السياب . غير انه يؤسفني ان معلوماته عن هذا الموضوع لم تكن وافية، وشفيعي ان مجلة «العروبة» البيروتية التي اصدرها الاستاذ محمد علي الحوماني فترة من الزمن قد نشرت في عددها الصادر في كانون الاول ١٩٤٧ قصيدة متحررة لنازك الملائكة عنوانها [الكوليرا] وعلقت عليها في الانباء الادبية قائلة انها احدثت اختلافاً في الرأي بين الادباء لغرابة اسلوبها وخروج وزنها عن المألوف .

وهكذا يرى الكاتب الفاضل ان القطع بأن بدر شاكر السياب هو البادىء مخالف للحقيقة كما تثبت الشواهد المطبوعة ، هذا فضلاً عن ان الآنسة نازك الملائكة هي اول من دعا لهذا التحرر ونال من اجله سخط المحافظين وثورة الجمهور وعن طريقها سمع الناس اول مرة بالشعر المتحرر . اما ديوان [ملائكة وشياطين] لعبد الوهاب البياتي فقد صدر في ربيع سنة ١٩٥٠ وتلاه ديوان [اساطير] لبدر شاكر السياب في صيف سنة ١٩٥٠ نفسها، وهذان تأريخان متأخران عن تاريخ [شظايا ورماد].

حقاً ان البحث في هذه القضية عسير، فاذا كان شهر كانون الاول ١٩٤٧ هو تاريخاً مشتركاً نشرت فيه اول قصيدة متحررة لبدر شاكر السياب واول قصيدة متحررة لنازك الملائكة، فما التعليل لهذا التصادف اللافت للنظر ؟ هل يمكن ان يكون احدهما عالماً بمحاولة الآخر ؟ ام ان كلا منهما اهتدى

بنفسه الى الطريقة ؟ اني اعتقد بالرأي الاخير خصوصاً وان الشاعر والشاعرة متعمقان في دراسة الشعر الانكليزي ، وليس بعجيب ان يصل كل منهما على انفراد الى تحرير الاوزان كما تحررت اوزان الشعر الانكليزي الحديث . والقصيدتان [الكوليرا] و [هل كان حباً] هما نفسهما تؤيدان رأيي هذا ، فان بينهما بوناً شاسعاً سواء في الموضوع ام في الاخيلة ام في الصور ام في الالفاظ ام في الاسلوب. وسأختار نموذجاً صغيراً من كل من القصيدتين .
يقول بدر شاكر السياب :

هل تسمين الذي القى هياماً ؟
ام جنوناً بالأماني ؟ ام غراما ؟
ما يكون الحب ؟ ! نوحاً وابتساما
ام خفوق الاضلع الحرى اذا حان التلاق
بين عينينا ... فأطرقت فراراً باشتياق
عن سماء ليس تسقيني ، اذا ما
جئتها مستسقياً إلا أواما

وهذا بعيد جداً عن روح قصيدة [الكوليرا] لنازك الملائكة وهذا اولها :

سكن الليل
اصغ الى وقع صدى الانات
في عمق الظلمة ، تحت الصمت ، على الاموات
صرخات تعلو تضطرب
حزن يتدفق يلتهب
يتعثر فيه صدى الآهات
في كل فؤاد غليان
في الكوخ الساكن احزان
في كل مكان روح تصرخ في الظلمات
في كل مكان يبكي صوت
هذا ما قد مزقه الموت
الموت ، الموت الموت
يا حزن النيل الصارخ مما فعل الموت .

في رأيي ان الباحث المدقق لا يستطيع ان يزعم بان احدى هاتين القصيدتين متأثرة بالأخرى ابدا، خاصة وان التأثر في مثل هذا الجيل الجديد كان لا بد وأن يفضح نفسه بترديد العبارات او حتى باستعمال الوزن عينه . وقد كتب كاتب في جريدة [اليقظة] ببغداد تعليقاً على ديوان [ملائكة وشياطين] لعبد الوهاب البياتي عند صدوره وهو يقول انه متأثر بشعر نازك الملائكة وهذا لأن عبدالوهاب البياتي كان متبعاً لطريقة الشعر المتحرر ولم يكن امامه نماذج غير شعر الشاعرة التي ابتكرت هذه الطريقة منبعة فيها الاصول الانكليزية مباشرة ، فكان لا بد له ان يتأثر ظاهرياً بها ولو لفترة محدودة .

هذا ما اراه بعد ان كنت متتبعاً لتاريخ الشعر العراقي في السنوات الماضية تتبعاً دقيقاً ، وانا احتفظ بكثير من الصحف والمجلات التي تثبت الحقائق التي ذكرتها . وقد ابديت رأيي اعلاناً للحقيقة وحفظاً للتاريخ وللسيد الفاضل موسى النقدي تحياتي .

بغداد **صالح عبد الغني كبه**

أمل

| الى الاستاذ الناعوري : رداً على قصيدته يأس |

اخي : اليأس الذي ينثال من ابياتك الحسرى
اخي : الألم الذي تبديه في زفراتك الحرّى .
وهذي النغمة الخرساء تزجيها لنا جمرا
هي الضعف الذي نشكو، هي الداء الذي استشرى .
هي القيد وقد بتنا نجر قيودنا جرا .

اخي : إن كان قادتنا غداة الحرب قد خانوا
وباعونا لأعدانا وما استحيوا. وقد هانوا
ووقعنا صكوك الذل فالأحرار عبدان
واصبحنا وللشذاذ في اوطاننا شان
فان الشعب لم يغلب وما استخذى وما اغترا
ويوم الثأر يدعونا ليوم الوقعة الكبرى .

اخي : اليأس الذي املاه ان الليل قد طالا
وان الكلب إذ آنس نوم الليث قد صالا
وانا – امس – قد بتنا نجر العار اذيالا
وقد صغنا من الخذلان اصفاداً واغلالا
اخي اليأس الذي تبديه لن يجلو لنا ثارا
بدار بدار ان الليل قد زف لنا الفجرا .

اخي : ما نحن سائمة ، وإن امراؤنا مانوا
لنا الضربات ما كانت ، لنا عزم ، وإيمان
لنا الحرية الحمراء إنجيل وقرآن
لنا الشعب الذي ما بعد ما يمليه سلطان .
لنا غدنا ، لنا البعث الذي فوق الدنى افترا
غدا ... يتفجر البركان عزماً مبدعاً حرا .

اخي : لا الحقد يجدينا ، ولا الشكوى ولا الألم
إذا لم يصطفق – والجند تحت ظلاله – العلم
إذا لم يصبغ الساحات في يوم اللقاء دم
إذا لم نفنِ إسرائيل حتى يزعج العدم
وحتى تشهد الدنيا وحتى نكتب النصرا
وحتى ترقص الأفلاك من أمجادنا سكرى .

السويداء **خليل اسعد الخوري**

أمين مشرق : الأديب الشاعر المجهول

بقلم حارث طه الراوي

الشاعر العبقري المجهول الذي صان ماء جبينه ، وسقى دوحة شاعريته بدمع عينه وعبرات فؤاده ، هو أسمى وأرفع قدراً من الف أمير للشعر يغمس يراعه في قلوب غيره من الشعراء ثم يسامر ذوي الجاه والسلطان ليغمروه بالعطايا والصدقات .

والأديب العبقري المجهول ، الذي يغترف أدبه من ينبوع الحياة ، من شعبه الحائر ومن شعوب الأرض الحائرة المتألمة المستطلعة الى مستقبل أفضل ، هو أسمى وأرفع قدراً من أديب ينثر ما ينظمه الاخرون ، ويزخرفه ، ثم يتملق هذا ويجثو امام ذاك ، طمعاً في الحطام ، حطام الدنيا الزائل الذي كان في الماضي البعيد والقريب لطخة عار في جبين الأدب العربي . إنه يتسلق سلم الشعوذات قاصداً الشهرة ، والشهرة قد تكون في بعض الاحيان كالمومس من استرضاها كان دونها قدراً كما يقول ميخائيل نعيمة ...

فالشهرة ليست ضرورية للأديب ،بل قد تكون وبالاً عليه عندما تحيطه بهالة من التقديس ،ودونك ما فعلته الشهرة العريضة بكبار ادبائنا المعاصرين في إنتاجهم الرخيص ..

والمرحوم أمين مشرق كان شاعراً مجهولاً وكاتباً غير معروف الا لدى هواة الأدب المهجري ، ولم ينصفه أحد من أدباء العربية سوى الدكتور محمد مندور في كتابه النفيس « في الميزان الجديد » .

وقد طلبتُ من صديقه ميخائيل نعيمه عام ١٩٥٠ أن يزودني ببعض المعلومات عن حياة هذا الشاعر الفريد ، وإذا بمعلومات نعيمة ضئيلة أيضاً في هذا الموضوع فلقد كتب لي يقول : « المرحوم امين مشرق كان صديقي ولكني لا اعرف الكثير عن حياته ، الا انه هجر الى الولايات المتحدة اولاً ومنها الى الأكوادور . ثم عاد الى لبنان عام ١٩٣٢ حيث كانت الفرصة الأولى لتعارفنا . وتزوج في العام ذاته وعاد الى الأكوادور . وبعد عام او عامين قضى في حادث سيارة . أما آثاره الشعرية — على قلتها — فأكثرها من طراز ممتاز ... »

★

لم يخلّف المرحوم امين مشرق كتاباً نثرياً ولكن مقالاته التي نشرها في صحف المهجر «كالسائح» وغيرها تغني عن كتب كثيرة. وقد كانت مقالاته صرخات داوية في أذن الرجعية العمياء. فقد كان الأمين مجدّداً في الوقت الذي كان فيه التجديد كفراً لا يُغتفر للأديب ،وفي الفترة التي كانت فيها الافكار التقدمية مثاراً للسخرية والاشمئزاز ومطّ الشفاه !..

ولم يكن امين مشرق منجرفاً مع تيار التجديد ، لأنه لم يكن من الذين ينجرفون مع تيار النزعات الفكرية من غير تفكير ، ذلك انه لم يكن إمّعة شأن بعض المهرجين الذين لا يتورعون عن وضع سقط المتاع في آنية التجديد المزيّف . لأن النزعة التجددية كانت ممتزجة مع دمه ، بل كانت عواصف تزأر في أعماقه فيطلقها يراعه ...

وحسبك أن تقرأ له بحثه الطويل « الداء العياء » المنشور في كتاب « ما وراء البحار — أو النبوغ العربي في العالم الجديد » لتوفيق الرافعي . فقد أوضح فيه الفقيد أدق المقاييس التي يجب أن يقاس بها الأدب الحي . وقد استهل بحثه بتأييده لميخائيل نعيمة في انتقاده اللاذع لدرّة من درر شاعر الأمراء المرحوم احمد شوقي . ثم طفق يندد بالمبالغة المقيتة التي طغت على أدبنا القديم وسرت عدواها الى أدبنا الحاضر قائلاً :

« لو سمعنا أحد الشعراء يرثي اسكافاً مات بين النعال والاحذية قائلاً ان الفضل مات بموته والعلم هد ركنه والأدب امسى يتيما ، ويتعجب كيف ان النجوم لم تنطق حداداً والدهر لم يقف جائراً . أو لو قرأنا شعراً لآخر يمدح فيه انور باشا وحصانه الأدهم بقوله: ان صهيله «في قلب اوربا له ترديد» . أو لو سمعنا عاشقاً ينشد :

أمر بالحجر القاسي فألثمه لأن قلبك قاس يشبه الحجرا

وسألنا الثلاثة لماذا كان هذا الغلو ، لضحكوا منا ولا شك مشفقين لجهلنا ثم اخرج اولهم من تحت ابطه كتاب علم المعاني والبيان . وأظهر الثاني ديوان المتني أو ابن الفارض ، وفتح الثالث كتاب نهج البلاغة ، وقدموها الينا وقد لاحت ابتسامة الانتصار على ثغورهم ولسان حالهم يقول : تعلموا هنا قواعد البلاغة وحدود البيان ثم لا تحتاجون الى سؤال .. »

. ثم يثور امين مشرق على هؤلاء ثورة مشفق ساخر قائلاً : « هؤلاء القوم ويا للاسف معذورون بعض العذر . كيف لا وكل ما تعلموه منذ ان اصبحوا يتهاجون بالكلمات يبتدىء بـ « حدثنا سهيل بن عباد » وينتهي بشرح المعلقات السبع ؟ أيلام التلميذ على حفظه مسائله ؟ أو ليس طبيعياً ان تنمو النبتة معوجة اذا ربطناها بحائط معوج ؟ وهل الذنب ذنب الارض

انها لا تعطي قمحاً اذا زرعناها قطرباً ؟...»

ولعل المرحوم امين مشرق هو اول من فنّد القول العربي المشهور «إن أعذب الشعر اكذبه» تفنيداً منطقياً جميلاً، فلقد قال في هذا المقال: «الشعر والنثر كلام. ونتيجة الكلام التفاهم. ونتيجة التفاهم التأثير، وأبلغ تأثير في الكلام الصادق». ثم ضرب لنا امثلة عملية على مبلغ تأثير الكلام الصادق في النفس الانسانية اقتطف منها هذا المثال الرائع:

«شحاذان يقول اولهما: «انا جائع» ويسكت فنتحنن عليه ونطعمه، والثاني يتلو علينا موعظة يسوع على الجبل، باكياً بدموع راحيل، متوجعاً كتوجع الخنساء، فنلوي عنه كارهين مشمئزين..»

ولقد توهم الكثيرون من قدماء نقاد الادب العربي ان الكذب شرط من شروط البلاغة. وقد كانت التضحية بالصدق في سبيل البهرجات البيانية والبهلوانيات الكتابية، ليست مستساغة فحسب وإنما ضرورية للأثر الفكري الناجح بحسب تلك المقاييس البالية. وقد ندّد مشرق بهذه النظرة التقليدية الخاطئة بعنف قائلاً:

«... فان الآداب الدينية تنهى عن الكذب. وان العقل السليم لا يقبله. وأنه لا رقة فيه، والرقة من خصائص الشعر، وانه لا منطق يدعمه، والمنطق ركن الشعر والنثر. وانه لا قبل له على النقد والتمحيص، وكلاهما من أول اعمال الادب. وانه لا فلسفة فيه، والفلسفة روح الآداب على الاطلاق. وانه يظهر الامور بغير حقيقتها، وأقصى غايات الأدب الحقيقة. الكذب خداع — والأدب صدق. الكذب عجز — والأدب مقدرة. الكذب جبن — والأدب بسالة».

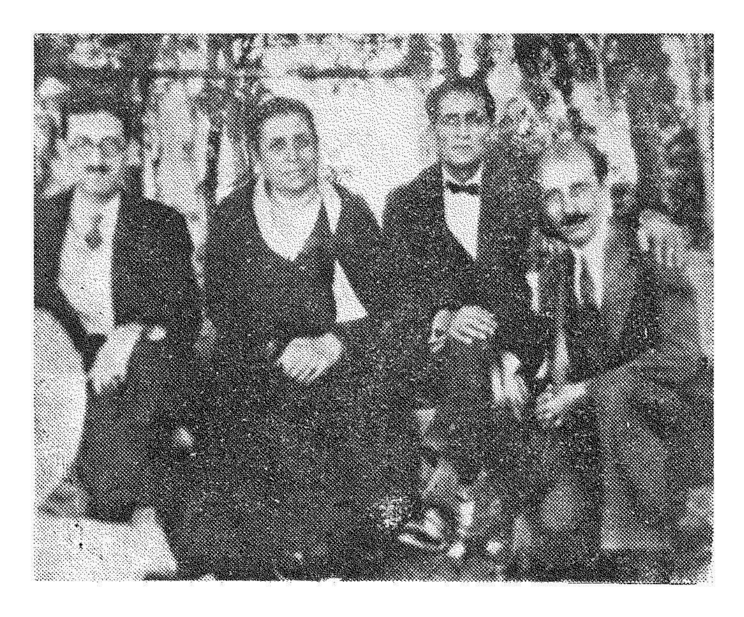
لقد كان امين مشرق يصرخ مثل هذه الصرخات في الوقت الذي كان فيه المرحوم شوقي يدفن الفضيلة مع «سليمان اباظة» (باشا) أحد سراة مصر الكبار قائلاً في رثائه:

سارت جنازة كل فضل في الورى ... لما ركبت الآلة الحدباء!!
وتيتم الايتام أول مرة ... ورمى الزمان بصرفه الفقراء!
والله ما مات الوزير وكنتمو ... فوق التراب أعزة أحياء!!!

★

أما نظرة امين مشرق الى الحياة فقد كان يشوبها شيء من ظلام التشاؤم، إلا ان تشاؤمه هذا كان قاصراً على نفثاته الوجدانية الذاتية لأنه كان متألماً في ديار الغربة. غير انه كان مؤمناً بادب الالتزام، أدب التوجيه، أدب الواقع. وحسبك ان تقرأ له مقاله الطويل «أردية الآباء» المنشور في كتاب «بلاغة العرب في القرن العشرين» فقد خاطب الجيل العربي الجديد قائلاً:

«امامنا عقبات كثيرة، ولكنها ستذوب امام العزم الذي لا يذوب. وطريقنا طويلة فليكن صبرنا طويلاً طويلاً، ولتكن هممنا شديدة. لا



صورة تذكارية يظهر فيها من اليمين الى اليسار ميخائيل نعيمة، المرحوم امين مشرق، المرحومة عقيلة المرحوم جبر ضومط، فاضل الجمالي (رئيس وزراء العراق الحالي). وقد التقطت لهم هذه الصورة في سوق الغرب بلبنان سنة ١٩٣٢.

تلتفتوا الى خلف ولا تحاولوا اصلاح القديم فانه اصبح للموت، بل اجتهدوا في اصلاح نفوسكم وفي تقوية ذواتكم لأستقبال الحياة — حياة الجديد — حياة القوة..»

فلم يكن الامين من الرجعيين الذين لا يسعون الى تغيير الواقع المؤلم أو الذين لا يؤمنون بامكان تحطيم السلاسل التي تقيّد العالم العربي، فهو القائل:

«.. من وراء الجثث المتدلية من حبال المشانق، من وراء الاجساد الذائبة على نيران التوجع، من وراء الشراذم المتبددة في جميع اقطار الارض لا تحمل راية ولا تعرف وطناً، من وراء هذه الايام السوداء والليالي المخيفة المحشوة بالمهالك؛ من وراء جميع ذلك ارى طلائع صبح ناصع البياض تبصبص في جبينه أسلاك من نور شمس ساطعة مبشرة باقتراب نهار ساطع..».

★

أما شعر المرحوم أمين مشرق فأكثره شعر ذاتي يصف فيه آلام نفسه وأشواقها ومطامحها، ولكنه ليس كشعر بعض شعرائنا الذاتيين الأنانيين الذين يحومون حول ذواتهم كما تحوم الذبابة حول السراج، فلا نفهم من طنينهم شيئاً. فشعره الذاتي واسع الأفق لأنه يعبر به في الواقع عن آلام نفس جريحة أبية وكأنه يعبر عن كل نفس جريحة أبية. اسمعه يخاطب نفسه في قصيدة «اتبعيني»:

إن رمت الغير يبطر ... راقصاً حول الذهب
يطأ الحق ويفخر ... بالمعالي والنسب

فارمقي

باسماً قد مزق الفقر ثيابي
ذهبي قلبي وأنسابي كتابي
أنصر الحق على العاتي المحابي
هازئاً بالظلم لا أخشى عطب
واتبعيني
نرتو يا نفس من مال الادب
ان شهدت الغير يبكي   تحت اقدام الزمان
فاضحكي منه كضحكي   انـه نـذل جبـان
شاهديني
ثابتاً بالعزم في وجه الرزايا
وقلوب الناس قد طارت شظايا
وإذا ما نهشت جسمي المنايا
إن روحي حلقت فوق الزمان
فاتبعيني
نحن نحوي ، ليس يحوينا مكان !

وفي قصيـدة « دموع الأمل » يصف شاعرنا موت حبيبته وصفاً دقيقاً مؤثراً بألفاظ سهلة تفيض عذوبة وتنضح صدقاً ؛ متنقلاً من قافية الى قافية كما تتنقل فراشة الربيع من زهرة الى زهرة، ساكباً في قوافيه موسيقاه الشجيّة الرنّة العميقة الأنّة:

اتاني الزمـان على غفلة   فأطفأ من عيشتي نورها
وماتت لأحيا الفتاة التي   رأيت ولم أر لي غيرها
فكيف اكفكف من ادمعي   وحزني يأكل في اضلعي

★

صغيرين كنا كفرخي حمام   نعيش بظل الصبى الناظر
فناعب آناً وآناً نـنـام   وزندي على صدرها الطاهر
يلاعب شعراتهـا اصبعي   وقلبي من سكره لا يعي

★

ويا ليلة بئس من ليـلـة   يقطـع قلبي تذكارهـا
أشدت عليهـا يد العلة   وغابت من العين انوارها
حنوت على جسمها الموجع   وناديت ربي فلم يسمع !..

والقصيدة طويلة وكل ابياتهـا تجنّح الخيال وتثير شتى التأملات في أعماق الروح . ولعل اروع قصيدة نظمهـا امين مشرق هي قصيدة « الكمنجة » بل لعلها أروع قصيدة قيلت في الكمنجة في الشعر العربي :

أنصت الليل وأشباح الدجى   ويك ما هذا التلوي والانين
يا ابنة الاخشاب هل فيه حشا   يتلوى تحت هزات النغـم
هل ترى فيك فؤاد قد مشى   فيـه اشواق وآلام ودم
هل ترى فيك هيام   أو شقاء أو سقام
هل ترى خانك خلان لئام   ولذا تبكين عهـد الخائنين

انني كلما قرأت هذا المقطع أحسستُ بأن الكمنجة كائن حي ، انسان مثلي تستعر فيه الآلام وتتدافع في اعماقه أمواج الأنين وتتزاحم في فكره مشاعر تثيرها خيانة الذئاب البشرية. وعلى أي حال فلنرافق الشاعر في تساؤله الذي لا يعرف النهاية واليقين :

يا ابنة الاخشاب هل شق الفضا   عنك روحاً عبثت فيها الرياح
ام ترى تبكين عهداً قد مضى   «بين تشبيب وشكوى ونواح»
هل غدا الوجد شرابا   لك والوحل سرابا
هل ترى تبكين في الشيب شبابا   غار في عمق الليالي والسنين

ثم يمضي الشاعر في تساؤله اللجوج فيسمو بتأملاته المجنحة عن هذا العالم :

يا ابنة الاخشاب هل هذا الحنين   لربوع ما رأتها قط عين
أم ترى هـذا سؤال تسألين   عن حياة وخلود كيف اين ؟
بين ايمـان وريبة   بين آمـال وخيبة
تارة يبدو لك العيش لعيبة   تارة يبدو لك الشك يقين ...

ثم يكاد أن ينتهي التساؤل عندما يصل الشاعر الى مرحلة التقرير ، فيصف لنا حنين نفسه الى الديار الروحية النائية التي تتطلّع اليها روح الفنّان المعذّب على وجه الأرض :

ليس فيك مثل روحي نسمة   أبـداً ظمأى لدار قاصيـة
لا ولا قلب كقلبي شعلة   في حشاها الف عين جارية
لا ولا بؤس كبؤسي   لا ولا نفس كنفسي
دودة تمسي ملاكاً حين تمسي   وتنـاجي الله من ماء وطين

ثم يصل الشاعر الى مرحلة ثانية من التقرير فيحسّ احساساً عميقاً بأن الكمنجة ما كانت لتنوح لولا ملامستها لصدره الزاخر بالأشجان ؛ فهو مصدر ألحانها التي تشجي وتبكي :

يا ابنة الاخشاب ما انت سوى   صوت روحي وصدى قلبي الطموح
في فؤادي ألف «رست ونوى»   وكمنجـات وأعواد تنوح
كلما لامست صدري   فشجي اللحن يجري
منه في صدرك امواج كبحر   مائج طوراً وطوراً مستكين

الاّ ان شاعرنا الذي أحسّ بأن الكمنجة منفذ تنطلق منه عواصف أحزانه ، ومنبر تذيع منه روحه مشاعره الغامضة الثائرة ؛ يعود الى نفسه وقد خفتت أنغام الكمنجة فيراها طافحة بالاحزان ، وما هذه الألحان التي سمعها الاّ قطرة من خضم ألمه فيخاطب الاوتار الشاكية قائلاً :

لا تخافي انما اعطيك الصدى   انا في داخلي يبقى الالم
هوذا قلبي يضحي ابـداً   فدية عن فلبك الخالي الاصم
رددي منه الانينـا   واملأي الليل حنينا
واهزئي بالقلب ماذا ترهبينا   مزقيه حبذا لو تفعلين ...

...

وبعد فهل من الانصاف أن يُنسى شـاعر وناثر من قدْر أمين مشرق ؟ هـذا الشاعر الذي عاش شريفاً وكان صادقاً ومبدعاً في كل ما نظم ونثر ، ومات شهيداً ، وها هو اليوم ينام تحت تراب الغربة القاسية ملفوفاً بأكفان النسيان . ولكني أرى على ضريحه بعين الروح اكليلاً من الغار وضعه « أبولو » الذي لا ينسى كل من يدخل معبده من المنشدين المخلصين ...

بغداد   حارث طه الراوي

كان الهدوء يشمل الغرفة الأنيقة ذات الأرائك المغلفة بالسجاد العجمي الفاخر . وقد اتكأ على إحداها سليم بك ملتفاً بردائه الفضفاض ، يدخن لاهياً وهو يقرأ في مجلة مصورة ، فاذا سئم القراءة أزاح نظارتيه عن عينيه ونظر يميناً من النافذة العريضة ليسرح بصره بعيداً بعيداً في مشهد لا تمله العين ، ولا تزهد فيه النفس ، حيث دمشق قد انبسطت وادعة بآذنها الرشيقة ، وقبابها الضخمة وقد احاطت بها اشجار خلف اشجار ، وفي افقها البعيد لاحت جبال زرق محدودبات كالتلال .

فاذا اكفهر الجو كما كان في ذلك اليوم ، بدت الجبال في الأفق البعيد كقطع غيم كبيرة دكناء هبطت من السماء فاتصلت بالارض .

وقد جلست امام سليم بك على الأريكة المقابلة ، زوجه جادة في حياكة ثوب صغير من الصوف لتقدمه هدية لحفيدتها في عيد ميلادها .



وبينما سليم بك يقلب المجلة إذ وقع نظره على صورة امرأة جميلة ، وضعت للاعلان عن عطر جديد فاخر . وكانت الصورة تشبه زوجه في صباها كل الشبه . فأزاح نظارتيه عن عينيه ، وتأمل زوجه ملياً ثم قال بنغمة مطوطة :

— الله ، الله يا زمن ! !

فرفعت رأسها ونظرت اليه مستفهمة فقال لها :

— لشد ما غيرتك الأيام !! كنت في صباك كمثل هذه تماماً .

وأراها الصورة . فتناولتها من يده وتفرست فيها ملياً ، ثم قالت متبرمة :

— ومن لم تغيره الأيام ؟ . ألم تغيرك انت ؟ . كم أود لو آتيك بمرآة لأريك وجهك كم يبدو رائعاً تحت طاقية الصوف التي تدلت حتى شحمتي اذنيك .

فأجابها وقد لاحت على شفتيه ابتسامة شامتة :

— ولكن ليس هناك ما يؤسف عليه ، لأنني ما كنت جميلاً في يوم من الأيام . اما انت . . فمن كان يصدق ان شعرك الفاحم سيغدو هكذا ناصع البياض ، وان بشرتك الناعمة الموردة ستصبح يوماً ما كامدة مجعدة ؟

فصمتت برهة ثم قالت :

— ولكني لا أنكر على الأيام التي نالت من جمالي انها حسنت خلقك كثيراً . لكم كنت في شبابك سيء الخلق . ولكم تساءلت كيف استطعت احتمالك ، فما كنت والله لتحتمل !

فأجابها على الفور :

— ولكنك لا تنكرين ان شيخوختنا سلام ووئام . فمن يدري ؟ لعله كان بين جمالك وسوء خلقي علاقة . . والدليل على ذلك انهما ذهبا ببعضهما .

قالت : تعساً لها من علاقة ! أهذا كل ما جنيته من جمالي ؟! وها هو ذا قد ولى وكأن لم يكن .

وأراد ان يرفه عنها قليلاً فقال :

ولكني لن أنساه . فما زلت اذكر كما ترين شعرك الفاحم وبشرتك الموردة .

قالت : — وانا كذلك ما زلت اذكر تصرفك السيء معي فصلاً فصلاً . وان أنس لا أنس يوم حرمتني من عرس ابن عمي أتذكر تلك الليلة اللعينة ؟ .

قال : — وكيف لا اذكرها ؟ ليلة ارتديت ذلك الثوب الأسود الذي يكشف عن ذراعيك ، وصدرك البراق ، ونصف ظهرك المصقول . لقد بدوت فيه والله ليلتئذ كحوريات الجنان .

قالت : ومع ذلك لم تشفق على حورية الجنة ! بل تركتها تبكي طوال الليل . كنت حينما ظهرت امامك بالثوب الرائع حسبتك ستؤخذ بجمالي ، فاذا وجهك يكفهر ، وتقول لي : « انا لا اسمح ابداً ان تظهري في الحفلة هكذا كنصف عارية . ولما أصررت على الذهاب هجمت علي ، واخذت تمزق الثوب وهو على جسمي إرباً إرباً . حتى جعلته كومة على الأرض ، وانا أكاد أجن ، وانت لا ترحم جزعي . لله ما كان اقساك ! .

قال : — لقد مضى على هذا الحادث ثلاثون عاماً . ووالله العظيم لو أحصيت المرات التي ذكرته فيها لأربت على المئات . ولو عرفت السبب لعذرتني .

قالت : — ومن كان يمنعك عن ذكر هذا السبب الخطير ؟

قال : كانت تمنعني كبرياء الشباب . كنت أربأ بنفسي ان اظهر امامك بمظهر المولّه الغيور . وها هي ذي الأيام قد ذهبت بالشباب وبكبريائه فيما ذهبت ، ولذا تجدينني ابوح لك بالسبب غير مبال :

« لقد كنت ادرك إعجابك بابن عمك ، وافتتانه بك . وكم كنت تتأنقين امامه . ولاحظت انك بدأت تستعدين لحفلة العرس قبل موعدها بكثير . وأظنك قد بذلت حينئذ من الجهد في سبيل تجميل نفسك اكثر مما بذلت العروس نفسها . لتفوزي عليها وتحتفظي بمكانتك في قلب ابن عمك . وما كنت من البلاهة لأدعك تحققين مأربك . ألم أكن على حق في تمزيق الثوب الذي دفعت ثمنه باهظاً ؟ ؟

قالت بحماسة :

ـ اعوذ بالله ! من اين لك هذه الفكرة الخاطئة ؟ وكيف سمحت لنفسك ان تفكر فيها ؟ لقد كنت والله واهماً وكم عكرت اوهامك علينا حياتنا !.

وقالت في نفسها : «يا له من ذكي قارح . وكم اتعبني ذكاؤه ودهاؤه . لعله كان يدرك ما يجول في خاطري قبل ان ادركه انا . »

ثم عاد فقال لها :

ـ مهما غيرت الأيام يا عزيزتي من شكل المرأة ، فهي لا تقوى ابداً على تغيير طباعها . فهيهات ان تعترف بالواقع ، أو ان تبوح باسرار قلبها ولو بعد حين .

وكأنما ارادت تغيير مجرى الحديث فيما يختص بابن عمها فقالت له :

ـ ها انت ذا قد وجدت مبرراً لتصرفك يومئذ . ولكن هناك مواقف كثيرة لا دخل لابن عمي فيها فما عذرك فيها ؟

قال : اذكري لي واحداً منها .

قالت : لقد نسيتها .

قال : انت تنسين ؟ أعوذ بالله ، ان لك لذاكرة عجيبة تحفظ الشر وتنسى الخير .

قالت : الخير ؟. وهل هناك خير لأذكره ؟!

ثم أردفت قائلة : ها أنا ذا قد تذكرت واحداً منها : يوم أمّ دمشق ذلك المغني المصري الشهير . واخذ الناس يتهافتون على سماعه . وذهبت انت مع الذاهبين . ولما عدت من الحفلة ، كنت تلهج معجباً بصوته الجميل . ثم قدمت لي تذكرة من تذاكر الصفوف الامامية لأحضر في الغد الحفلة التي سيحييها للسيدات . وكم افرحتني لفتتك الرقيقة يومئذ . ولما حان موعد الحفلة عدت الي تقول ان خالتك مريضة ومن الخير ان ادع الحفلة واذهب معك لعيادتها . ولما ابيْت عليك ذلك احتدمت غيظاً وتناولت التذكرة فمزقتها إرباً إرباً . وصفقت الباب وذهبت وتركتني وحدي أندب سوء حظي . لكم كنت اخشاك . لماذا لم اشتر تذكرة غيرها ولم اذهب على الرغم منك لأرى ماذا كنت تصنع ؟ يا لي من غبية بليدة !



فأجابها هازئاً :

ـ وهل تجدينني ايضاً مسؤولاً عن غباوتك وبلادتك ؟ وأذكر انه كان لتصرفي آنئذ مبرر ايضاً . فما كدت اقدم اليك التذكرة حتى بان الفرح على وجهك ، ثم قمت الى المرآة فحللت شعرك ، ثم بللته ثم فرقته خصلاً ، ثم أتيت بخرق بالية لم أدر من اين لملمتها ، ثم اخذت تكورين كل خصلة وحدها وتربطينها بالخرقة حتى إذا فككتها بالغد اصبح شعرك مجعداً . فصار

رأسك عجيب الشكل ، وجلست أمامي طول السهرة تؤذين بصري بمنظرك البشع فسكتّ على مضض . ولما كان الغد . وعدت من عملي ، كانت الحرق ما زالت على رأسك ، فأنت لا تفكينها إلا قبل موعد الحفلة بدقائق . وزيادة على ذلك طليت وجهك بمعجون اخضر كريه الرائحة ، من خصائصه ان يضفي على البشرة رونقاً عند ازالته ، فتساءلت في نفسي أذاهبة هي لتسمع الغناء وتطرب له ؟ ام لتظهر جمالها ؟ وفطنت انك مدحت مرة امامي شكل المغني المصري ، وشعره الكثيف ، وفوديه الطويلين اللذين يقلد بهما فناني الغرب . وتذكرت ايضاً كم كنت حريصة على جمع اسطواناته وخاصة ما ندر منها مهما غلا ثمنه . فوسوس لي الشيطان وكان مني ما كان .

فقالت في نفسها : « اما الآن فقد اخطأ التقدير . فوالله ما شغلت بالمغني ابداً . وما تأنقت إلا لأني نويت ان انصرف من الحفلة باكراً فأزور ابن عمي . »

ولكنها قالت له :

– اعطيك كل الحق لغيرتك منه . فأنا اهوى الأصوات الجميلة ، وصوتك أجش منكر ، وأعجب بالشعر الكثيف ، وانت أصلع من يوم عرفتك .

قال ضاحكاً : من يوم عرفتني ؟ انا والله نسيت متى بدأت افقد شعري .

قالت بسخرية لاذعة :

– أغلب ظني انك ولدت اصلع ، وعشت اصلع !.

فأجابها :

– انت اليوم لا تكفين عن سخريتك مني . ولكني اتقبل منك كل شيء ما دمت قد اعطيتني الحق ولو مرة واحدة في العمر . واعترفت لي ببعض ما يجول في نفسك . ولكن وقد مضى ما مضى ، دعيني اسألك بالله ، وقد عهدتك رفيعة الذوق ، ما الذي اعجبك بهذا المغني السمج البارد ، الذي لولا صوته لما كان يساوي شيئاً ؟

قالت : انه والله كما تقول تماماً . وانا نفسي غيرت رأيي فيه لا سيما عندما رأيته يمثل رواية سينمائية .

ثم قال لها وقد تملكه زهو واعتزاز :

– أرأيت يا عزيزتي أن مكر النساء الذي يجوز على غيري من الرجال ما كان ليجوز علي ابداً ؟

فأجابته وقد جهدت في اخفاء ابتسامة طفرت على شفتيها :

– طبعاً وكيف يجوز على من كان في مثل ذكائك ودهائك ؟ ان الزوج الذي يكون على شاكلتك تكون زوجه دائماً سيئة الحظ !

قال : قد تنتهي الحياة ولا تنتهين انت من ندب حظك !

وقال في نفسه : « انها والله طيبة لا تشبه غيرها من النساء وقد ظلمتها باتهامها بابن عمها . وها هي ذي قد اعترفت لي صراحة باعجابها بالفنان المصري ، ثم عن تغييرها رأيها فيه . »

ثم عاد فتناول المجلة ، ووقع نظره مرة ثانية على عنوان العطر فقال :

– تباً لهذه الصورة ! لقد نبشت بيننا ما كان مدفوناً .

ثم اشعل لفافة . ونظر يميناً من النافذة العريضة فسرح بصره بعيداً بعيداً في المدينة الخالدة التي تحوطها أشجار خلف أشجار ، وفي أفقها البعيد تلوح جبال زرق محدودبات التلال .

وعادت هي الى حياكتها ، ولما انحنت لتتناول كبة الصوف من على الطاولة الصغيرة التي أمامها ، بدا وجهها على صفحتها المعدنية المصقولة ، كامداً ، مجعداً فتمتمت بلوعة :

– يا ليتني ظللت كما كنت جميلة ، فاتنة ، ولو أنه ظل كما كان سيء الخلق ... *

دمشق — الفت الادلبي

* من مجموعة قصصية بعنوان « قصص شامية » تصدر قريباً في دمشق.

أشواق

ألا ترجعين ؟
لقلب تأوه فيه الحنين
ودرب زرعنا به الذكريات
وكان الحصاد ... عذاب السنين
أيمضي الزمان
ولا يلتقي مرة عاشقان
أأنت هناك وراء البحار
وقلبي هنا .. مضغة للهوان
ويأتي الربيع
فيورق في كل قلب ولوع
صباح هنيء دفيء الضياء
وقلبي ... وقلبك ... ليل ... وجوع
وكان اللقاء
وكنا ... وكان صفاء السماء
غراماً يجسد روح الربيع
وينبت في القفر دوح الهناء
وجاء الوداع
صباح مطير ... حزين القناع
وطيارة نهبت حبنا
وغابت ... فمات بقلبي الشعاع
وكان الاياب
طريقاً تهدم فيه الشباب
شباب حبيبين لما يعد
بأيديهما غير شوك العذاب
وعدت اليه
الى بيتنا ... أرتمي في يديه
ففي كل ركن به قطعة
من العمر ... ولت هناء لديه
وقلبي الوحيد
يسائل عنك الصباح الجديد
ويلمس في غرفة الذكريات
طيوف ليالي الغرام الشهيد
بكاء الرياح
ينادي ... فيرعش فيّ الجناح
وينمي شجون الفؤاد السجين
فأمشي غريب الخطى .. والجراح
ألا ترجعين ؟
نداء ... أردده كل حين
فأسمع في عمق روحي صدى
حريحاً يئن ... « ألا ترجعين ؟ »

القاهرة **كمال نشأت**

من « رابطة النهر الخالد »



هناك .. في سرحتنا الخضراء عند النهر
عربدت الاطفال في المنعطف المزدهر
سلالها ساذجة .. كم ملئت بالثمر ..
تبني سواقيها بأعواد الجريد النضر
تسلقت ضفائر الصفصاف تحت القمر
وعانقت أرجوحة الظلال .. في المنحدر
مثل فراشات الضحى ترف بين الشجر !

★

تثور إن حجّبت الغيمات ضوء القمر
وإن تبدّى ضاحكا .. يحلو بساط السمر
تروي اقاصيص الهوى، تروي جميل السير
تروي عن الإشباح تنسل كلص حذر
عن مارد يخطف في الظلام ضوء البصر
كم سرقوا من حقلنا المعشب غصن الزّهَر
يرقصهم نوح السواقي ، أو خرير النهر
أو جوقة الأنسام في درب الكروم العطر
كم صفّقوا وثرثروا .. في المنحنى المزدهر
.. سوى غلام شاحب مستغرق في الفكر
تفجرت دموعه كاللهب المستعر ..

★

أسبل جفنيه على اغفاءة المحتضر
ومرّ .. لم يحفل به قلب الزمان الحجري !
يجترّ من ماضيه ما يثير باكي الصور
كأنه خطيئة في الأرض لم تستتر .. !
أو انه من خوفه يعشى عيون البشر

★

مات ابوه .. امه ماتت فيا للقدر
تمزّق الشراع في نهر الحياة العكر ..
وانطفأ المصباح في دنياه .. دنيا الصغَر
ومرّ .. لم يحفل به قلب الزمان الحجري !

القاهرة **محيي الدين فارس**

من اسرة الفن الحديث بالسودان

بين التجريد والسريالية

بقلم علي الشعلان

كان من نتائج سرعة تطور فن التصوير الحديث ، ونشوء مدارس فنية مختلفة وانقراضها في فترة ضيقة من الزمان ، وهي فترة ما كادت تتبلور فيها القيم المبشر بها ، حتى تحجرت واخذت طريقها نحو الانقراض ، ان اخذ بعض الناس يخلطون بين هذه المدارس المختلفة دونما دراية او علم ، وراحوا ينعتون كل صورة لا يفهمونها بانها رمزية او سريالية . ومرد هذا الخلط كله راجع الى تقدم الفنان على عصره وتحجر القيم التي يتخذها الجمهور اساساً لمقاييسه وهي مقاييس خلفتها عقلية قديمة لا يواكبها عمل عقلية اليوم المتجددة الطموحة . هذا سبب عام واما بالنسبة للشرق العربي فيرجع عدم التفاهم بين الفنان والجمهور الى انعدام الاروقة الدائمة Gallarys التي تضم لوحات فنية تمثل مدارس مختلفة ، ثم قلة المعارض الفردية والجماعية ثم انعدام الصحف والمجلات التي تعنى بشؤون الفن وخصوصاً الفن التشكيلي Plastique كالرسم والنحت و (العمارة) وهي التي تعمل على تقريب وجهات النظر المختلفة . ان وجود هذه الاسباب مجتمعة وظهور تجار النقد الذين يلوكون الكلمات والمصطلحات الفنية المختلفة دونما فهم او تحقيق هي التي سببت تشويه الحقائق فنتج من ذلك الخلط بين القيم المختلفة وبالتالي انعدم التفاهم بين الفنان والجمهور !!



غوغان – بريشة سكافنكر

تعد السنوات الواقعة بين ١٩٠٧ – ١٩١٢ مهمة[١] وخطيرة جداً في تاريخ الفن الحديث حيث اخذت فكرة الفن التجريدي التي غرست بذورها الاولى في العقد الاخير من القرن المنصرم تنتظم وتتبلور في اتجاهات عدة .

التجريد في اللغة معناه التعرية وازالة الزوائد والتزويقات اللاضرورية وهو بالنسبة للفن يعني الانطلاق اللامحدود والتخلص من القيود الطبيعية مكانية كانت او زمانية[٢] والتجريد ليس من المبتدعات الحديثة ولكنه مظهر العصر ومدلول ثورته على القيم التقليدية والكلاسيكية (المدرسية) .

لو تأملنا في حقيقة التجريد ودرسناه من الناحية التاريخية لوجدنا ان جذوره تمتد من ناحية الفكرة (Idea) حتى عصر رامبراندت Rembrandt بل حتى عصر النهضة Renaissance .

فالتجريد يشمل مفهومين : التجريد في الفكرة والتجريد في الاسلوب وقد يشمل المفهومين معاً وذلك مظهره المتبلور في العصر الحاضر .

قلت ان التجريد ليس من مبتدعات العصر ولكنه مظهر للعصر ، وهذا صحيح لان كبار الفنانين الكلاسيكيين قد عمدوا الى التجريد[٣] في اواخر حياتهم الفنية فلو اخذنا فكرة لرامبراندت رسمها في دورين من ادوار حياته الفنية ولتكن (عودة الابن الضال) لوجدنا ان اللوحة التي رسمها في آخر حياته تختلف تماماً عن التي رسمها في مستهل حياته . فاللوحة الاخيرة لا تمثل غير خروج الاهل وذوي القربى والجيرة الذين يطلون من السطوح لاستقبال ابنهم الضال العائد ، وهم في جذل واستبشار . اما التي رسمها في آخر حياته الفنية فهي اكثر جزالة في العرض وأشد تعمقاً في الفكرة . لان الموضوع (عودة الابن الضال) في حقيقته يخص شخصين اثنين : الاب والابن . فالاب وهو شيخ وخطه الشيب يشخص في وضع دراماتيكي حزين وقد تجلت معالم العفو والمغفرة في عينيه الباكيتين وشفتيه المتهدلتين العاتبتين ، وقد بدا وهو واضع يده المغضنة على كتف ابنه . والابن الضال جاثم امامه على ركبتيه في خضوع وتذلل وندم . ان هذه الصورة قد تجردت من

(٣) Modern french Painters : R.H Wilenski; p 200

(٢) THe meaning of art : Herbert Read; p 146

(٣) مجلة الكاتب المصري : الاثر الاخير لزعماء الفن Hilde Zaloscer

الحواشي والزوائد واقتصرت على الاب وابنه الضال فهي من ناحية فكرتها صورة تجريدية .

اما التجريدية في مفهومها الحديث فهي الانطلاق اللامحدود في الفكرة والاسلوب والموضوع . وقد اثر في التجريدية الحديثة عاملان مهمان : الاول هو تعليم بول سيزان[1] (Paul Cezanne) والعامل الثاني بعث الزخرفة العربية[2] . قلت ان التجريدية في مفهومها الحديث خلاصة القيم (Value) التي نادى بها بول سيزان الذي تبنى تعاليم مانيه (Manet) في التسطيح[3] والذي استهدف الهدم والبناء معالجاً بذلك فكرة الفراغ[4] . والمتأمل لصوره يرى قسوة الحد الذي تتركه ضربة فرشاته على سطح قماش التصوير . ويقول الناقد (هربرت ريد)[5] في هذا المجال : ان الأشكال لدى سيزان تبدو وكأنها منشأة من الكارتون (المقوّى) والملاحظ ان صور سيزان تسبح في جو تجريدي مطلق في عالم لا تضيئه الشمس ولا زمن فيه[6] .

هدم سيزان المنظور (Perspective) وضرب صفحاً عن القيم الكلاسيكية كالتزام الشبه ، وجرد الأشخاص من دمائهم وحسيتهم وعرضهم صخوراً تشخص في جو سرمدي مطلق ! كما انه تحلل من القيود الموضوعية وبنى الموضوع بشكل ارتآه صحيحاً . كأن يأخذ عموداً او شجرة او كوخاً من مسارح النظر التي امامه ويضعها على سطح القماش التصويري بشكل يراه اكثر تناسباً مما هو في الواقع . وكان منطقه في هذا : الخلق والابداع ، لا التقليد ونقل الواقع الموضوعي . فنتج من ذلك التشويه المنظم الذي يعتبر احد الأسس التي قامت عليها التجريدية الحديثة Abstract .

اما تأثير الزخرفة العربية (Rhythmic Arabesque) وفنون الشرق الأقصى Far eastern art فقد ادت الى خلق جماعة الزخرفة الايقاعية (Rhythmic Decoration)[1] التي استهدفت إيجاد هندسة تصويرية تستقي أساسها من الخط الزخرفي المنساب والمساحات اللونية الكبيرة وكانت تسيطر على هذه الحركة نفس الفكرة الفنية (Aesthetic) التي سيطرت على فنون الشرق البعيد . وكان اول اقطاب هذه الحركة هو بول غوغان (Paul Gauguin) (١٨٨٨ - ١٨٩٠) واما رائدها الأول في العصر الحاضر فهو ماتيس (Matisse) الذي تمكن من تمثيل الأبعاد الثلاثة بشكل زخرفي على سطح ذي بعدين.



بول سيزان - بريشته

في الوقت الذي كانت فيه تعاليم « بول سيزان » تأخذ طريقها الى التبلور والنضج كانت نظريات (فرويد - Freud) الطبيب النمساوي التي شاعت في العلوم النفسية عن اللاوعي والعقل الباطن قد أثرت تأثيراً واضحاً في الفنون المختلفة . ولم يقتصر هذا التأثير الذي يعد طابع العصر - الطابع السايكولوجي - على الأدب والشعر بل تعداهما الى الفنون التشكيلية (Plastique) كالرسم والنحت .

وهذه المنطقة التي اصطلح علماء البحوث النفسية على تسميتها باللاشعور ، والتي تبرز بين الحلم واليقظة وتطفو على شكل تيارات مبهمة غير منتظمة - لأنها ليست خاضعة للارادة الواعية - عمد اليها بعض الفنانين الحاذقين الذين تبنوا هذه

(١) بول سيزان (١٨٣٩ - ١٩٠٦) رسام فرنسي نشأ في بداية حياته انطباعي النزعة Impressionnism ثم ما لبث ان تحرر بسليقته الى اللاحقة للانطباعية Post impessionnism ومنه تفرعت التجريدية والتكعيبية Cubism ويعده النقاد ابا الفن الحديث .

(٢) Modern french painters ; R. H. Wilenski p. 200 Rhythmic Arabesque

(٣) حتى عهد مانيه Manet كانت المعركة تحتدم حول أفضلية الخط او اللون ولما جاء مانيه أعطى الأهمية للسطح التصويري .

(٤) من هنا نشأت التكعيبية التي استهدفت معالجة الفراغ باتخاذ مساقط نظر من جهات مختلفة على اساس ان العين المجردة لا يمكنها إدراك الموضوع إلا في مدى الرؤية المحدودة .

(٥) The meaning of art : H. Read P. 146

(٦) الأزمة الراهنة للفن : مجلة الكاتب المصري ص ٢٥٢ Hilde Zaloscer

(١) Modern french Painters : R. H. wilenski. p 200 - 201

التعاليم وعملوا على تقصي خفايا النفس الانسانية وتعمقوا في البحث عن الأقاصي السحيقة فيها .

والصور السريالية (Surrealism) تسبح في جو اسطوري من غرابة الألوان والتواءات الخطوط وقد استهدف الفنان السريالي التعبير عن الوحشة الرهيبة المتغلغلة في كيان الانسان الضائع !!

والسريالية في جذورها الأولى ترجع الى سنة ١٨٨٠ حينما ناهض [١] كوستاف مورو Gustave Moreau واوديلون ريدون Odilon Redon نظريات الواقعيين من الرسامين ولم يتأثروا بتعاليم الانطباعيين بل اخلصوا لعواطفهم واستهدفوا التعبير عن مشاعرهم وإحساساتهم فاقتربوا بذلك من وليم بليك (William Blake) [٢] الرسام الانكليزي الرومانتيكي المتصوف!

السريالية نزعة فردية . وكثيراً ما يشاهد تحقق الأجواء السريالية في بعض صور الرسامين الفرديين كالرسام روسو The Douanier Rousseau في صورته (la bohemienne endormie) وفي بعض صور بول كلي (Paul Klee) .

ومن الملاحظ أن المواضيع السريالية شحيحة نادرة بالنسبة للاطراف الاخرى في الفن وذلك لان مادة الفن السريالي تقتصر على ينابيع نفوس السرياليين التي هي المصدر الوحيد لالهامهم الفني ، فهم استهدفوا الكشف عن (الحقيقة الداخلية) في الانسان .

والسريالية نزعة فردية لانها تقترب من التعبيرية Expressionnism والارفزية Orphism من ناحية التعبير المباشر عن العواطف المتدفقة والتي تكشف عن رغبات ومخاوف غامضة[١] ويقول هيلديه زالوشر Hilde Zaloscer في هذا المجال (بانها وثيقة اعتراف اكثر مما هي عمل فني) .

ومن الملاحظ ان الصور السريالية تكشف عن عواطف رساميها الذين غالباً ما تطغى عليهم عاطفة دينية صوفية ومن اشهر اقطابها : شاجال الرسام اليهودي وسلفادور دالي الرسام الكاثوليكي وشريكو الايطالي الذي ثار على هذه النزعة واعلن انفصاله عنها فيما بعد وتنكر لصوره القديمة (السريالية) ببيان اصدره في باريس .

بهذا العرض الموجز لتطور فن التصوير خلال العقد الاخير من القرن المنصرم والنصف الاول من القرن الحاضر نخرج بان التجريدية والسريالية - يسيران في طريقين مختلفين حيث ان الاولى هي تطور عضوي للفن الطبيعي والنزعة الانطباعية والثانية هي حالة عارضة صبغت الفن بصبغة العصر السايكولوجية فوجهت الانتاج الفني تحت تأثير مستلهماتها. الاولى تستلهم العواطف تحت رقابة العقل، فهي نزعة عقلية تجنح نحو المادة ، والثانية تخضع مفاهيمها لتأثير العواطف فهي صوفية تستلهم الروحيات وتفصح عن رغبات دينية . الاولى - وهذا مهم - تهتم بالرسم كرسم في حد ذاته - اي كفن مستقل - بينما الثانية تخضعه للفكرة ، حيث تجعله من حيث المرتبة يأتي في المرحلة التالية للفكرة واخيراً ان الاولى تستهدف الخلق والابداع بينما الثانية تنفيس عن رغبات مكبوتة .

بغداد **علي الشعلان**

(١) Modern french Painters ; R. H wilenskl p : 11

(٢) نفس المصدر السابق ص ١١ ، ٢٣ ، ٣١٣ :
Redon. Ensor. chirico. chgal.

١ - مجلة الكاتب المصري : الازمة الراهنة للفن . ص ٢٦٣

روسيا

نحو نهاية « الجدانوفية »

نشرت مجلة Sovietskaia Musyka الروسية مقالاً هاماً للموسيقار الارمني المعروف اران كاتشاتوريان Aran Katchatourian يعتبر نقطة التحول في « السياسة الموسيقية » الروسية . والواقع ان هذا المقال هو الذي هيأ للجمعية العمومية التي تنعقد هـذا الشهر في موسكو « لاتحاد الموسيقيين في الاتحاد السوفياتي » والتي ستعلن شجبها للنظريات السطحية التي سبق لجدانوف (وهو من رجـال المكتب السياسي) ان اداعها في مرسوم صدر في شباط ١٩٤٨ . وكان جـدانوف قد اتهم كاتشاتـوريان وشوستاكوفيتش Chostakovitch وبروكوفيـاف Prokofiev ومياسكوفسكي Miaskovsky بانهم يخضعون في موسيقاهم لألوان مختلفة من « الانحرافات الشكلية » .

وبالرغم من ان اسم جدانوف لم يذكر الا مرة واحدة في المقال، وان كلمة واحدة عن مرسومه لم ترد ، فان مقال كاتشاتوريان يشكل تفنيداً قوياً للتجربة التي شاءها الزعيم الروسي (وقد مات عام ١٩٤٨) ودلالة بليغة جداً على اخفاق تلك التجربة وافلاسها .

يقول كاتشاتوريان : « إذا كان الملحنون السوفيات كفوا منذ اعوام عن ان ينتجوا ما ينتظره الشعب منهم ، فذلـك لأنهم اصيبوا بمساويء « بيروقراطية » حقيقية في الموسيقى قام بها قادة « اتحاد الموسيقيين » وبعض موظفين آخرين . وقد كان خوف الموسيقيين من ان يتهمـوا بالانحراف شديداً جداً حتى انتهى بهم الامر الى ان « ينسجموا » انسجاماً بليداً مع ظروفهم العملية واخذوا ينتجون آثاراً تافهة لا إبداع فيها تعبر بلغة عادية جداً . وكان جدانوف يقول ان من المرغوب فيه ان يستطيع الملحنون السوفيات ان يؤلفوا على غرار غلينكا Glinka وتشايكوفسكي . والحق ان الموسيقى بـدأت تشبه دكان ثياب عتيقة : انها تأتي من الشعب وتعود الى الشعب . »

ويضيف كاتشاتوريان : « لقد رأينا « التلاؤم مع الوضع » يصبح غالباً « المبدأ الحقيقي الخلاق » في تأليف الموسيقى خلال هذه السنوات الاخيرة. لقد خرجت آثار موسيقية « شاهقة » في الكورس والاوركستر ، على ما يزعمون ، والواقع ان هذه الآثار لا قيمة لها البتة. وكان من الواجب الانحناء امام هذه الآثار لأنها كانت تدخل في الحساب على ما يظهر ، «حب الوطن» و « الكفاح من اجل السلام » و « الصداقة العالمية » . ولكن الحياة نفسها لم تلبث ان قومت هذه الآثار تقويماً صحيحاً: فقد نسيها الناس بين ليلة وضحاها وانقطعوا عن التحدث بها . »

ويطالب كاتشاتوريان بعد ذلك بان يبقى شوستاكوفيتش وبروكوفياف اكبر ملحنين اليوم. ويوضح ان ذلك لا يعني انهما لم يرتكبا اخطاء في محاولتها التعبير بطريقة مفرطة في الجرأة وفي التجريبية . ولكن ما كانا يؤلفانه كان دائماً حياً ومطبوعاً بموهبة خلاقة . ويختلف ما يقوله عن بروكوفياف من انه « ملحن مدهش يحق للشعب السوفياتي ان يعتز به » ، يختلف هذا عما قيل عن هذا الملحن غداة موته في شهر آذار الماضي .

ويتابع كاتشاتوريان حملته على « الجدانوفية » فيؤكد انه « لا يمكن احراز اي تقدم في إنتاج آثار تعوزها الفكرة الحية والفضول الخلاق ، اثار كل قيمتها تكمن في انها « نظيفة » و « مفرشاة » جيداً، وهي تتشابه فيما بينها كأنها توائم ... ان الواقعية الاشتراكية لا تستطيع ان تسمح بمثل هذه « التسوية » العامة . ذلك ان الرومانتيكية الثورية جزء اساسي من روحنا ، ولم يصدر اي فن محترم عن اشخاص يخافون ان يقولوا ما قد ينبغي ان لا يقال . »

ويضيف الموسيقار الارمني الى ذلك قوله : « انني افكر الآن بكل هذه الآثار التي استمعنا اليها في هذه السنوات الاخيرة: العناوين ممتازة، الموضوعات موضوعات «فولكلورية» ، الهارموني والاوركستر قائمتان على قواعد جيدة، اما القيمة الفنية ، فصفر ! ومع ذلك ، فان « اتحاد الموسيقيين » والمكتب المركزي للفنون والراديو ، كانت كلها تقر هذه الآثار . ولكن الجمهور لم يكن يرغب فيها . وقد آن الاوان حقاً لوضع حد لنظام الوصاية الادارية المؤسف الذي يشكو منه ملحنونا . حسبكم من هذه التدخلات البيروقراطية في عمل ملحنينا الخلاق ! وليترك للفنان نفسه ان يحل مشكلات خلقه على ضوء المهمات التي القاها الحزب على عواتقنا ! »

« ان الملحن في ظل نظام الوصاية القائم متحرر في الحقيقة من اية مسؤولية. واذا حمل اغنية جديدة او اي اثر آخر الى مكتب اداري ما ، فان جميع موظفي هذا المكتب يعتقدون ان من حقهم ان يعطوه « نصائح » . وهذا يعني في الحق انهم يعطونه اوامر لاعادة تأليف اثره . والعجيب حقـاً ان عدداً لا يستهان به من الملحنين يقبلون هذه « النصائح » بسهولة غريبة ، حتى ولو كان الامر يتعلق بان يقذفوا الى سلة المهملات بمقاطع تؤلف ثمرة إلهام حقيقي وتركيز فكري طويل ، ويقبلون تحويل آثارهم الى دمى ... »

« حسبنا ! لا وصاية بعد ! وليتحمل كل ملحن مسؤولياته ... إن النقد واجب طبعـاً . ولكن حسبنا « توجيهات » صـادرة عن البيروقراطيين الذين هم دائمـاً هلعون . وليس على « اتحاد الموسيقيين » ان يلعب دور الاخصائي المعصوم عن الخطأ... واعتقد ان بعض الآثار التي لم يقرها «اتحاد الموسيقيين» يجب ان تنشر وتعزف ليحكم بشأنها الجمهور...وامتحان الزمن».

وبعد نقد دقيق للنظرية الفولكلورية التي يرى كاتشاتوريان انها عرضت بطريقة سطحية طفولية (فان بعض اغاني الشعب لا تكفي لأن تؤلف اثراً قومياً) اخذ الكاتب يثبت كيف ان بعض المظاهر الاخرى مما يؤلف موسيقى قومية قد اهملت تماماً ، كالايقـاع والاسلوب وهذه الطريقة في التعبير عن الانفعالات التي تختلف فيما بين الشعوب . « ان قضية الاسلوب القومي ينبغي ان تعالج على صعيد اوسع جداً دون ما تقييدات اصطناعية ودون تشريـع تلمودي يفرط في التدقيق... يجري الحديث كل يوم عن الواقعية الاجتماعية، ولكن ليس ثمة من يعرض لقضية الاسلوب ، كما لو ان الاسلوب امر جامد غير جدير باي تقدم وباي تطـور . فينبغي الا يتم البحث عن اشكال جديدة للتعبير . »

وينهي كاتشاتوريان مقاله بذكر اسماء الملحنين الذين تعتز بهم الموسيقى السوفياتية. ويأتي في رأس هؤلاء بروكوفياف وشوستاكوفيتش، ويليهما بعض «الشيوخ القدامى» وعدد من ملحني الاغاني الشعبية والملحنين البالطيين والكوكازيين. ولم تذكر هذه اللائحة اسماء (الجدانوفيين) امثال زاخاروف وتشولاكي الخ ... الذين اهانوا «الشكايين» إهانات شديدة.

تعليق في صحيفة فرنسية

هذا هو المقال الذي نشرته مجلة سوفياتسكايا موزيكا للموسيقار الارمني الكبير. وقد كتب الكسندر ورث Alexander Werth في مجلة «مراقب اليوم» L'Observateur d'aujourd'hui الفرنسية (العدد ١٨٦) مقالاً يستعرض فيه مقال كاتشاتوريان ثم يعلق عليه. ومما قاله في ذلك:

«تساءل الناس غداة موت ستالين عما اذا كانت السلطات السوفياتية ستعدل عن تطبيق القوانين الصارمة التي املتها «اللجنة المركزية» بين ١٩٤٦ و ١٩٤٨ فيما يتعلق بالادب والفن والموسيقى، تلك القوانين التي كان من شأنها ان شلت كل نشاط خلاق في الاتحاد السوفياتي. وكان لا بد من مرور بعض الوقت قبل ظهور دلائل التغير الاولى. اما الآن، فلم يبق ثمة ادنى ريب: إن «الجدانوفية» في طريق الزوال. فالصحافة السوفياتية اصبحت اكثر حيوية، وفقدت «البرافدا» شيئاً من طابعها كجريدة «رسمية»، وهي تنشر اكثر فاكثر ريبورتاجات وقصصاً معاشة. وفي الادب والتصوير، بدأت بعض دلائل التغير تظهر. اما في الموسيقى، فلا ريب في ان الانعطاف بادي الظهور.»

وانهى ورث تعليقه بقوله: «ان الاتحاد السوفياتي قد بدأ يولي ظهره لنظريات واساليب اصبح اخفاقها الآن واضحاً. ومما يؤسف له حقاً ان جميع الذين كانوا منذ خمسة اعوام يفكرون بما يقوله اليوم كاتشاتوريان صراحة، كانوا يعاملون آنذاك كاعداء للشعب!»

الولايات المتحدة

تأخر الرواية في النتاج الاميركي

كتب الناقد المعروف وليم باريت William Barrett مقالاً هاماً * يتحدث فيه عن الروايات الاخيرة التي صدرت في الولايات المتحدة وعلاقتها بالقيم وهذا هو ملخص المقال:

لعل من الظواهر الغريبة الا تنجح الولات المتحدة في ان تحتل احد مقامات الصدارة في الادب العالمي. ففي السنوات العشر الاخيرة لم يصدر في اميركا كتاب يضاهي «اوديب» او «هملت» او «الاخوة كرامازوف». ولذلك عدة اسباب دون ريب؛ وقد كان بعضها، من مثل وضع الكاتب وحالته في المجتمع الاميركي، وضعف المستوى الفكري عامة، والطابع الحديث للحضارة الاميركية، موضوع مناقشات طويلة. ولكن ينبغي ان نتعمق في درس هذه الاسباب؛ وتحسن الاشارة الى ان نصيباً كبيراً من كمية الطاقة الهائلة التي تخصصها للنشاط الادبي يذهب هدراً. فان ملايين من الكلمات تخرج كل يوم للقاريء، وهي لا تستحق ان تصدر في كتب. والواقع ان آفاقنا الادبية مردها الى الحياة الاميركية نفسها. فان هذه الحياة قد اشاحت عن الينابيع الحقيقية الحيوية التي تصدر عنها الروائع الادبية. وهذا لم يتنبه له جون الدريدج John w. Aldridge في كتابه الاخير «بعد الجيل الضائع» After the lost Generation. فهو قد بنى اراءه في الموضوع على اتجاهات بعض الروائيين الاميركيين المعاصرين امثال Capote, Hayes, Burns, Irwin Shaw, Norman Mailer, Frederich Buechnér, Paul Bowles, Vidal, Merle Miller وسواهم.

وقد يكون الدريدج تجاوز الحكمة في الاعتماد على روائيين لم يثبتوا بعد حججهم ويدلوا ببراهينهم. ومهما يكن فقد اثار هذا الكتاب اهتماماً كبيراً بصراحته وجرأته. على انه لا يخلو من نقائص واضحة، فان اختيار المؤلفين فيه اختيار اعتباطي، وهو لم يدرس الجو الاجتماعي والسياسي الذي نشأ فيه هؤلاء الكتاب.

وأهم موضوع اثاره مؤلف «بعد الجيل الضائع» هو وضع الادب الاميركي المعاصر وأي دور تلعبه فيه القيم التي تستوحيها الحياة الاميركية. ويذهب الدريدج الى ان الطابع الرئيسي للرواية الاميركية المعاصرة هو العدمية: فان الكاتب بات لا يلتزم اي نظام من الاعتقادات، وهو تحت تأثير «فراغه» الداخلي، يقدم لنا الحياة على انها خالية من المعنى. وهذه النزعة العامة نحو العدمية ترجع الى ثورة «الجيل الضائع» بعد الحرب العالمية الاولى. من اجل هذا يبدأ الدريدج بروائيي الجيل الاول الثلاثة: همنغواي وفيتزجيرالد ودوس باسوس، رواد الجيل الجديد. ولكن يأسهم كان يختلف اختلافاً كبيراً عن يأس كتاب اليوم. ذلك ان الثورة، بالنسبة لذلك الجيل الضائع، كانت عاطفة وحماسة، أما اليوم فهي، عبر الروايات الحديثة، من الخجل والضلال بحيث انها اضاعت كل معناها، كالحياة سواء بسواء. واذا كان لنا ان نحكم على ادباء ١٩٤٠ بالنسبة لأدباء ١٩٢٠، فلا ريب ان الاولين دون الآخرين في القيمة الادبية. ويبدو ان خير ثلاث روايات صدرت عن الحرب الاخيرة هي (العراة والاموات) The Nahed and the Dead بقلم نورمان ميلر و (الرواق) The Gallery بقلم بيرنز و (من هنا الى الخلود) From Here to Eternity بقلم جيمس جونس James Jones. وهذا ما يبدو هزيلاً، بما هو نتاج جيل برمته من الادباء. ولكن ينبغي الاعتراف بان هذا الجيل يتفوق على الجيل السابق في نقطة او نقطتين. فهل يمكن التأكيد حقاً بان (العراة والاموات) مثلا هو دون (الجنود الثلاثة) لدوس باسوس؟ صحيح ان احداً من روائيينا المحدثين لم يستطع ان يبلغ مبلغ همنغواي في الاسلوب المبتكر، ولكن ينبغي الا ننسى ان همنغواي قد انتهى به الاهتمام بالاسلوب الى اختصار التجربة المعاشة اختصاراً شديداً والى حرمان المشاعر قسماً من غناها. ان رواية (واشرقت الشمس ايضاً) The Sun Also rises اثر في مركب تركيباً جيداً، في حين ان (الرواق) لبيرنز اثر غير متناسب وفاشل جزئياً. على ان بيرنز قد حاول في تصويره لأوروبا وللاوجاع التي خلفتها في نفس اميركي باثناء الحرب، حاول ان يذهب الى أبعد مما ذهب سلفه. واذا اتخذنا اسلوب همنغواي كنقطة للمقارنة، بدا لنا اسلوب (من هنا الى الخلود) لوناً مضطرباً من الارتجال. ولكن هذا لا يمنع ان يكون لدى جونس ظواهر غنية من الحيوية والسذاجة تمثل نماذج لبعض الاميركيين الفائضين نشاطاً

* راجع مجلة Profils، العدد الثاني

النشاط الثقافي في الغرب

وحياة ، وهذا ما لا نجده في عالم همنغواي .

فاذا فرغنا من الاعتراف بهذه المزايا ، وجب علينا ان نعترف بان النتاج الادبي للجيل المعاصر هو دون نتاج الجيل الماضي ، وبعيد جداً عما يمكن انتظاره من ١٥٠ مليوناً يعيشون في اوفر البلاد ازدهاراً عبر التاريخ . وهذا ما يعود بنا الى التساؤل : لماذا لا ينتج الاميركيون خيراً من هذا النتاج؟

في الاجابة على هذا السؤال، يتكلم الدريدج عن فكرة «القيم»، ولكنه لا يوضح رأيه. والحق ان فكرة القيم هذه من التعقيد والتشابك بحيث ينبغي ان تدرس هذه القيم في علاقاتها بمختلف طبقات المجتمع. ولنبدأ من اسفل السلم. ففي معظم رواياتنا ، نرى القيم الايجابية ممثلة غالباً باشخاص من الشعب . وأصدق الاشخاص حياة لدى فوكنر مثلاً ينتمون دائماً تقريباً الى الطبقة الخشنة او المتأخرة . والجنود البسطاء ، لدى جيمس جونس ، هم من رجال الازقة الذي يتمتعون مع ذلك بحيوية متفجرة تجعل الضباط وزوجاتهم يبدون امامهم وجوهاً فاسدة ومنحطة . وليس جنود مايلر ، على حقارتهم ، إلا كائنات حقيقية تفيض حياة . وحين يحاول مايلر ان يخلق شخصاً ينعم ببعض المستوى الثقافي ، شخصاً اخلاقياً نيراً ، فهو لا يستطيع ان يقدم لنا إلا هذا الملازم (هيرك) ذا النفس الجوفاء ، سليل البورجوازية . ففي الرواية الاميركية تفقد القيم من تضامنها وقوتها بمجرد ان يعتنقها الاشخاص عن وعي ، والبورجوازية المثقفة هي اسهل طبقات المجتمع خضوعاً لإغراء العدمية .

ومهما يكن من امر ، فان بلادنا تحطم الآن قيمها التقليدية الماضية . ومن الممكن ان اميركا لم تخلق بعد نموذجاً حضارياً جديداً ، ولكنها الآن بسبيل ذلك . نقول هذا ونحن عالمون ان امانة مبالغاً فيها لبعض تقاليدنا تدفع بنا الى الثورة على اسلوب الحياة الجديد في قارتنا . فلا غرابة في الا نعلم الى اين نحن ذاهبون وفي ان يقاسمنا كتابنا مظاهر هذا القلق . وبوسعنا ان نجد وضعاً مشابهاً لوضعنا لدى الكتاب الروس في القرن الماضي : فقد كانوا هم ايضاً يستشعرون القلق من العيش في حضارة اذا قورنت بالحضارة الغربية بدت تافهة غير متناسبة ، ولقد مروا هم ايضاً بهذه « التلمسات » نفسها في استعجالهم هضم الحضارة الغربية ، وهو هضم لم يكن يتم من غير نزاعات ضميرية خطيرة. وهذه الازمة شهدت ظهور تولستوي ودستويفسكي. وينبغي الا نترقب ظهور مثل هذين الكاتبين عندنا ، فان الدرام الداخلي لهؤلاء الكتاب غريب على الوسط الذي نعيش فيه ، وليست نزاعاتهم الداخلية من تلك التي يمكن ان يخلقها العيش في حضارة كحضارتنا . انا نعرف انهيار الاعصاب والامراض العصبية ، ولكننا لا نعرف الشعور بالحياة كمأساة . ليس من مهمة مجتمع ما ان يخلق ادباً معيناً، وبامكان اميركا ان تشيد حضارة اسمى من حضارات الماضي ، ولكن اذا كان لنا ان نحكم على ما انتجته حتى الآن في ميدان الادب ، فان حظها ضئيل جداً في ان تضاهي الحضارات التي سبقتها .

احدث المؤلفات الاميركية

١ — (همنغواي الفنان) دراسة مطولة كتبها كارلوس بيكر وتناول فيها جميع اثار الروائي الاميركي الشهير من زاوية الفن والاسلوب والجمالية. وقد نجح المؤلف في جمع عناصر كثيرة جديدة تلقي اضواء كشافة على آثار همنغواي .

٢ — (الشعر المعاصر) دراسة كتبتها الآنسة بابيت دوتش ، وهي نفسها شاعرة ومترجمة من الطراز الاول، تناولت فيها شعراء اللغة الانكليزية في النصف الاول من القرن العشرين . وبالرغم من انها توجه جل اهتمامها الى تحليل النزعات الرئيسية للشعر المعاصر ، فهي تذكر عدداً من الشعراء الثانويين الذين يكملون خطوط اللوحة .

٣ — (القصة الحديثة في اميركا) نظرة مختصرة ولكنها مفيدة الى الرواية الاميركية منذ هاولز وجيمس ونوريس حتى ايامنا هذه . ويرى المؤلف فردريك هوفمان ان تطور النتاج الروائي يتخذ شكل نزاع بين النزعة الطبيعية والنزعة الجمالية .

٤ — (وليم فوكنر : دراسة نقدية) كتبها ايرفنج هاو ، وهي خير وثيقة عن موقف وليم فوكنر من الزنوج ومن انهيار المجتمع الجنوبي القديم . ويحتوي الكتاب في قسمه الثاني تحليلاً ادبياً لأهم روايات فوكنر واقاصيصه .

ايطاليا

نشاط الروائيين

انتهى الروائي الايطالي كورادو الفارو Corrado Alvaro من تأليف رواية جديدة بعنوان « الجميل الاسمر » Bel Moro تستجيب لحاجات الشبيبة المعاصرة . والواقع ان هذه الشبيبة تطالب من الادباء الذين تحبهم ان يؤلفوا كتباً تعالج موضوع (الوضع الانساني) من جميع زواياه ، كما يبدو اليوم. فهي لتعطشها الى الحرية وقلقها من الغد واهتمامها باكتشاف قيم اخلاقية جديدة ، فضلا عن القيم الجمالية ، تعتقد بان الادب قادر على ان يظل آلة للحضارة .

وفرغ الروائي الشهير البرتو مورافيا Alberto Moravia من روايته المنتظرة « الاحتقار » التي تجري حوادثها في وقت واحد في كابري وروما . وفضلا عن ذلك ، اقتبس مسرحية من قصته « الحفلة الراقصة المقنعة » بدأ مسرح (بيكولو) في تقديمها ابتداء من اول هذا الشهر .

مورافيا

ولا يفكر كارلو ليفي Carlo Lévi في نشر اي اثر جديد له قبل مرور عامين . وهو ينوي ان يؤلف حلقة جديدة تابعة لقصته « الساعة » .

اما آخر آثار بالازاتشي Palazzechi ، وعنوانه « روما » ، فقد نال جائزة (مارزوتو) . وهو رواية تقدم لنا تحليلاً عظيم المغزى للاخلاق والطباع ، فهي ترسم لوحة للمجتمع الرومي بفن بارع ، ولا يستطيع القارىء ان ينجو بسهوله من تأثير سحر روما هذه (الفتية الهرمة ، الفقيرة الغنية ، الحميمة الفائضة) .

ومن أهم الآثار التي خرجت الى المكتبة في الاشهر الاخيرة ثلاثة كتب لثلاثة مؤلفين من الشبان ، اولها « الجاويش في الثلج » لماريو ريجوني سترن Mario Rigoni Stern ، وقد نال جائزة (فياريجيو ١٩٥٣) ، وهو يروي تجربة جاويش نجا من الانسحاب من روسيا عام ١٩٤٢—٤٣ . وفي الرواية صفحات مؤثرة ينجح مؤلفها في اقناع القارىء بصدق الشهادة التي يؤديها البطل . والثاني « ساغابو » لرانزو بيازيون Ranzo Biasion ، وهو يتحدث عن اعوام ١٩٤١ — ٤٣ التي احتل فيها الجيش الايطالي اليونان . ولئن كانت الحوادث التي اشترك المؤلف بها إطاراً تاريخياً لكتابه ، فهو يجهد معذلك في ان يري القارىء كيف كان بعض الجنود المكلفين باذلال الشعب اليوناني يثورون على انفسهم ليحاولوا ان يجدوا في ذواتهم وذوات الآخرين أثراً من الكرامة الانسانية، وهذا ما يكسب الكتاب طابعاً جذابا حقاً. واما الكتاب الثالث « البحر لا يغسل نابولي » لاورتيز A.M.Ortese فمن نوع آخر . انه حياة نابولي باسرارها واهوائها وشقائها وصوفيتها المسرحية ، كل ذلك ، من خلال خمس اقاصيص بارعة .

من الأدب السياسي

وبينما تباشر دار نشر فاشستية صغيرة مهمة ثقيلة في نشر الآثار الكاملة لبنيتو موسوليني، تنشر دار «اينودي» كتاباً ضخماً عن (تاريخ المقاومة الايطالية) ومؤلفه روبرتو باتاغليا Roberto Batiaglia ولا شك في ان الوثائق التي يتضمنها هذا التاريخ ستكون مرجعاً هاماً لمؤرخي المستقبل. والكتاب في سبعة وعشرين فصلًا تتابع جهاد مقاومي الفاشستية في وسط المؤسسات الحكومية بالذات. (ويؤكد باتاغليا ان حرب اسبانيا كانت احدى المراحل الحاسمة في المقاومة الايطالية) وتشرح لنا كيف نشأت هذه القوى الداخلية التي شاركت في تحرير ايطاليا .

نشاط الفنانين

يميل نشاط الرسامين في هذه الايام نحو الضعف . وقد عرض غوتوزو Guttuso وفانتوري Fantuzzi لوحات حديثة لهما ، ويبدو ان كلًا منهما يستغلان نظريات يعرفانها معرفة كاملة، ولكنهما لا تضيف شيئاً الى موهبتهما . ولنذكر هنا معرضاً ممتعاً خصص للوحات صغيرة الحجم اشترك فيها عدد من كبار الرسامين الطليان امثال Turcato و Martelli و Survage, Tato. ولا ريب في ان مثل هذه المعارض تتيح للهواة امكانية الحصول على لوحات باسعار متهاودة ، ولكن الن تكون هذه احدى الوسائل لخدمة فن الرسم ؟

اما السينما الايطالية فتجتاز كالمسرح ازمة في هذه الايام ، بالرغم من ان الانتاج متزايد : زهاء مئة فيلم في العام . ولكن من المؤسف دائماً ان يضحى بالكيفية على حساب الكمية . ويذهب بعض النقاد المتبصرين الى ان الواقعية الجديدة قد ماتت ، وان المؤلفين والمنتجين يعودون الى ما يمكن تسميته بـ« العاطفية » : والواقع ان معظم الافلام التي تجتذب الجمهور تنهض على قصص عاطفية ، وغالباً ما يعزى نجاحها الى ان ممثليها من كبار الفنانين الذين ينقذونها من الاخفاق .

النشاط الثقافي في العالم العربي

لبنان

حول جوائز اهل القلم

لم يتقدم حتى كتابة هذه الكلمة – ١٥ كانون الثاني – للاشتراك في مباريات اهل القلم عن سنة ١٩٥٣ ، العدد الذي كان يتوقعه كل متتبع لشؤون الحياة الفكرية في لبنان . فان اكبر عدد اشترك في مباراة من مباريات اهل القلم هو اربعة مؤلفين، وكثير من المباريات لم يزد عدد المشتركين فيها على اثنين !

ولا نريد ان نتكهن عن اسباب هذه الظاهرة، التي تزداد غرابتها حين نعلم ان الجوائز كثيرة السخاء من الناحية المادية، كثيرة الاغراء من الناحية المعنوية . وحين ينتهي موعد تقديم المؤلفات المتبارية ، اي بعد اسبوعين ، نستطيع ان نتحدث على نحو اكثر دقة .

ولا ريب ان لجان التحكيم ستجابه اموراً معقدة لم تحددها شروط المباراة ، ولم يتوقعها واضعوها .

من هذه المشكلات ان شروط المباراة لم تحدد لغة المباراة : هل هي العربية ، ام جميع اللغات دون استثناء ؟ ولو كانت المباراة في المملكة السعودية او اليمن، لكان الامر مفروغاً منه... اما في لبنان الذي يؤلف ابناؤه باللغات العربية والفرنسية والانكليزية والاسبانية ، في الوطن والمهاجر، فان المسألة وجهاً يحتمل الأخذ والرد ، ما دامت شروط المباراة لم تعين لغة واحدة . ومهما كان الامر فقد تقدم لمباراة المسرحية مسرحية فرنسية عن ادونيس وفينوس ، كما تقدم لمباراة الشعر ديوان بالفرنسية ، وديوان آخر بالأرمنية ، لغة عدد كبير من المواطنين الذين يمثلهم في البرلمان اللبناني اكثر من نائب !

والذين يدافعون عن مبدأ قبول المتبارين الكاتبين باللغات الاخرى ، يقولون ان المباريات انما انشئت لتشجيع الفكر ومساعدة الموهوبين ، لا لأناقة الديباجة العربية والاسلوب المبين !..

والذين يدافعون عن المؤلفات العربية ، يرون ان التأليف في اللغات الاجنبية لا يحتاج الى تشجيع لأنه يجد في تقدير القارئين ما يغنيهم عن الاشتراك في جوائز اهل القلم. اما المؤلفون باللغة العربية الذين لا ينصفهم القارىء العربي فهؤلاء هم اولى برعاية جمعية اهل القلم وانصافها . اضف الى ذلك ان العربية هي لغة البلاد الرسمية .

ولعل خير حل لهذا النزاع بين الفريقين ان تخصص جمعية اهل القلم جائزة خاصة لمؤلفات اللبنانيين باللغات الاجنبية !

ومشكلة اخرى ذرت قرنها في هذه المباريات : ذلك ان بعض الذين اشتركوا فيها قد غادروا هذه الدنيا منذ وقت قصير او طويل ، ثم صدرت لهم مؤلفات مطبوعة عام ١٩٥٣ . وقد تقدم للمباراة حتى الان ، كتابان من هذا النوع ، اولهما ديوان شعر لفقيد الادب المرحوم فؤاد سليمان ، الذي توفي في عام ١٩٥٢ وثانيهما دراسة تاريخية للشماس انطونيوس ابي خطار العينطوري (من القرن التاسع عشر) .

وبالرغم من ان بعض الظروف والملابسات ، تجعل بعض المؤلفات التي فقدنا أصحابها ، جديرة بنيل جوائز اهل القلم ، فان السماح لهذه المؤلفات بالاشتراك يفتح باباً لا يمكن اغلاقه بعد ذلك ، فثمة مئات المخطوطات التي خلفها اصحابها منذ سنين طويلة ... فاذا اتيح لأحداها ان تنال جائزة، فلن يكون في ذلك اي معنى من معاني التشجيع للقلم الذي كتب الكتاب، والذهن الذي انبثق منه. فالكاتب قد مات ، وسينال الجائزة غيره ... بينا كانت غاية المباريات هي تشجيع الكتاب على التأليف ومساعدتهم على الانتاج، ليزداد تألقهم ونبوغهم.

ولعل من الخير ايضاً ان تحل هذه المشكلة ، كما حلت المشكلة السابقة ، وذلك بان تستبعد المؤلفات التي طبعت بعد وفاة اصحابها ، على ان تنظر جمعية اهل القلم في اعانة بعض الذين يستحقون المعونة من ورثة رجال الادب الذاهبين ...

وسينتهي موعد تقديم المؤلفات في آخر كانون الثاني ١٩٥٤ . وستحاول (الآداب) في العدد القادم ترشيح من تراه مستحقاً لنيل جوائز اهل القلم، بعد ان تدرس المؤلفات المشتركة في المباريات دراسة عميقة . ونكتفي هنا بسرد اسماء المؤلفات التي قدمت للمباراة حتى الآن :

أ – مباراة افضل سيرة شخصية لبنانية :

رأي في العدد الممتاز

اثار عدد « القصة » الممتاز من الآداب اقلام الصحف والادباء ، فرأوا فيه تعبيراً عن نهضة فكرية توشك ان تنبثق من ارجاء العالم العربي ، مبنية على اساس من الوعي والعلم والذوق .

و « الآداب » اذ تشكر جميع الذين حرك اقلامهم عددها الممتاز ، على عواطفهم الطيبة وثقتهم بالقائمين على تحريرها ، تود ان تنوه بالكلمة الطيبة التي أشاد فيها الاستاذ حسين مروة على صفحات جريدة «الحياة» بالمجهود الأدبي الذي تبذله «الآداب» كما تنوه بكلمة الاستاذ محمد النقاش في جريدة « بيروت المساء » والذي يرى في الآداب « قيمة ثابتة يحق للبنان ان يزهو بها ، انها نعمة في الداخل وسفارة دائمة مباركة في الخارج ، انها كالعذراء الناصعة تعيش من ابرتها على الكفاف وسط رهط من الفاجرات يستبحن كل معصية في سبيل العيش المترف ... »

ثم يرى الاستاذ النقاش ان « الآداب تستحق بفضل هذا العفاف تشجيع الناس الفضلاء والدولة الفاضلة...» ونحن لا نطمع بتشجيع الدولة الفاضلة لأننا نتساءل أين هي ؟ وحسبنا من التشجيع عاطفة هذه النخبة الممتازة من القراء الذين يترقبون مطلع الشهر ليلتقوا على صفحات « الآداب » مع العقول المفكرة في الشرق والغرب .

ولا ريب انها لفتة حميدة تلك التي ختم بها الاستاذ النقاش مقاله حين رغب الى جمعية اهل القلم ان لا تنسى ، حين توزع جوائزها ، « هذا الجهد الرائع الذي تبذله المجلات الادبية... الادبية » ... غير ان « الآداب » ترى في منح جوائز اهل القلم الى المستحقين من رجال الفكر، خير عزاء لها، فحين ينال هؤلاء حقهم من الجوائز ، تعتبر انها قد نالت حقها ، وتحققت امنيتها في نشر الثقافة ، وتشجيع الموهوبين ، وخدمة القراء .

النشاط الثقافي في العالم العربي

١ – امين الريحاني للاستاذ مارون عبود

٢ – مي في حياتها المضطربة للاستاذ جميل جبر

ب – مباراة افضل رواية .

١ – لاجئة للدكتور جورج حنا

٢ – الاميرة هيفاء والامير فخر الدين للأب مبارك ثابت

جـ – مباراة افضل ديوان شعر .

١ – قصائد دافئة للأستاذ احمد ابو سعد

٢ – اغاني تموز المرحوم فؤاد سليمان

٣ – Levain للأستاذ دجيريان (بالفرنسية)

٤ – ديوان للأستاذ دجيريان ايضاً (بالأرمنية)

د – افضل دراسة :

١ – ولادة استقلال للاستاذ منير تقي الدين

٢ – مختصر تاريخ جبـل لبنان للعينطوري ونشر الاب اغناطيوس طنوس الخوري .

هـ – مباراة افضل مسرحية :

١ – المنبوذ للاستاذ سعيد تقي الدين

٢ – النعمان للخوري يوسف الحايك

٣ – أتالا للخوري يوسف الحايك

٤ – ادونيس وفينوس لادون فارجان (بالفرنسية)

وتقدم الى جمعية اهل القلم ايضاً عدة مخطوطات تطلب المساعدة لنشرها ،

معرض نبيلة جورج

أقامت الفنانة اللبنانية الآنسة نبيلة جورج معرضاً للوحاتها في الشهر الماضي يعد من المعارض الناجحة . وقد لاحظ الذين زاروه ان الفنانة ذات موهبة غنية في رسم الخطوط والقاء الظلال ونثر الالوان . والطابع الرئيسي الذي يميز لوحاتهـا طابع الأمل البسام والتفاؤل المشرق والمستقبل المضيء . وتمثل بعض اللوحات المائية مناظر طبيعية بديعة من لبنان وفلسطين وسوريا، ولا سيما مناظر الأنهار التي يخيل للرائي ان بوسعه ان يلمس ماءها ويبترد به . ومن اللوحات الناجحة (سمفونية شارع الحمراء) التي توزعت فيها الألوان والظلال توزعاً سعيداً جداً . ويحسب الناظر الى الدكاكين المرسومة في هذه اللوحة ان زبوناً سيخرج حتما بعد لحظات، من هذا الدكان او ذاك .

الفنــانة نبيلة جورج



ومن اللوحات التي ينبض فيها الحس الانساني العميق لوحة (نعم الرفيق) وهي تمثل والد الفنانة إذ يهم بقلب صفحة من كتاب ؛ وقد لفت انظار الزائرين رسم حي بعنوان (ظلال الطريق في دمشق) ، ولوحة بارزة الخطوط تمثل اكواز الصبار. ولعل (راحة قايلة) هي من اكثر اللوحات تعبيراً ، وفيها رسم مكنسة مستندة الى دلو ماء في زاوية غرفة .

ان أنامل نبيلة جورج، إذ تمسك بالفرشاة ، تحول ينبوعـاً من الحماسة والتعبير الخلاق ، وتشيع جواً من الغبطة والطمـأنينـة والصفاء .

سميرة حسان



نعم الرفيق



ظـلال الطريق في دمشق

النشاط الثقافي في العالم العربي

اكثرها في ميدان القصة والشعر .

وقد كتب الينا بعض القراء يسألوننا عن بعض المؤلفات ، ويؤيدون اشتراك بعض المؤلفين في المباراة ، والجواب على رسائلهم ان كثيراً من الذين ذكروهم ليسوا لبنانيين ، والمباراة (تشترط) ان تكون جنسية المؤلف لبنانية . ولعله من المفيد ان نبين لهؤلاء ان الدكتور نبيه فارس اميركي الجنسية ، والاستاذ محمد توفيق حسين عراقي ، والدكتور اسحق الحسيني فلسطيني ، وعبد العزيز سيد الأهل مصري . .

والآداب التي لا تفرق بين عربي وعربي ، تأمل من جمعية اهل القلم ان تزيل في مباراتها القادمة هذه الحواجز المصطنعة !

القوى الملتزمة في « الندوة اللبنانية »

استأنفت « الندوة اللبنانية » لمؤسسها الاستاذ ميشال اسمر نشاطها الثقافي لموسم ١٩٥٣ – ١٩٥٤ بعدة سلاسل من المحاضرات العامة التي تلاقي اقبالاً كبيراً من الجمهور البيروتي المثقف. وكان من أهم هذه المحاضرات سلسلة بعنوان «القوى الملتزمة» شارك في القائها عدد من ممثلي الاحزاب اللبنانية الكبرى .

وقد القى الاستاذ ادمون نعيم محاضرة بعنوان «نظرية التقدمية الاشتراكية وتطبيقها في لبنان » استهلها بان طاب الى السامعين ان يضحوا بجزء من حرياتهم في سبيل تخفيف بؤس الآخرين. لأن هذه التضحية بجزء من حريات الناس ، « لا تكون فقط حجراً في بناء العدالة الاجتماعية بل ايضاً حجراً آخر في بناء السلم الداخلي والعالمي . » كذلك لا بد من التنازل عن بعض الامتيازات المادية والكمالية التي تنعم بها النخبة المختارة من النـاس في سبيل تحقيق الاشتراكية .

ثم انتقل المحاضر الى توضيح معنى الاشتراكية وماهيتها بمفهومها المدرسي ، ثم الى تاريخ نشأتها في العالم ، والى انواعها المختلفة ، ودخل بعدهـا صلب موضوعه ، فتكلم عن ولادتها في لبنان، وحدد النطاق الذي وضعه لها الحزب التقدمي الاشتراكي ، وقارنه مع النطاق الذي تبنته بعض الدول في العالم .

وقال عن معنى الاشتراكية وماهيتها بمفهومها المدرسي ، انها « استعملت اول ما استعملت بمفهومها الاجتماعي والاقتصادي والمـالي بين سنة ١٨٣٠ وسنة ١٨٤٠ في فرنسا وانكلترا على السواء » ثم تكلم عن الاختلاف في النظم الاشتراكية الانتقالية بين المجتمعات التي تعتنقها بالنظر الى واقع حال كل منها ، وقال ان هذا ما حدا بحزبهم الى تبني وصف « التقدمية » ، ذلك لأن اعضاء هذا الحزب ينزعون الى التقدم في الاشتراكية موازاة لتقدم وأقع المجتمع الذي ينتمون اليه ، والمعطيات الجديدة التي يكتشفها الاختبار والعلم .

ثم استعرض في لمحة موجزة ، نشأتها العالمية في مراحل تاريخ الانسانية . وانتهى منها الى انواع الاشتراكية في العالم، وذلك ليخلص الى صلب محاضرته وهو ولادة الاشتراكية في لبنان . فقال ان الاشتراكية لم تر النور في لبنان إلا بولادة الحزب التقدمي الاشتراكي الذي يرمي الى بناء مجتمع على اساس ديمقراطي صحيح تسود فيه الطمأنينة الاجتماعية والرخاء والسلم والحرية، والى توفير اكبر قسط عملي من العدل الانساني وتحقيق أعلى مدنية ممكنة للمجتمع البشري الحاضر . ثم تكلم المحاضر عن نطاق الاشتراكية في ميثاق الحزب ، فحاضر اولا عن الجهاز الداخلي التمثيلي والقضائي والاداري ، وثانياً عـن المجتمع وثالثاً عن الضمانات الاجتماعية ورابعاً عن السيـاسة المالية والاقتصادية وخامساً عن السياسة التربوية وسادساً عن السياسة الخارجية . وأوجز الفرق بـين الحزب التقدمي الاشتراكي وبين الشيوعية . فالحزب يبغي تطبيق الاشتراكية بواسطة سن القوانين ، بينما الشيوعية تقوم على الثورة. والحزب يبقي على الملكية الفردية في نطاق المنفعة الاجتماعية ، بينما الشيوعية لا تقر أية ملكية فردية . ويريد الحزب تحقيق حياة الفرد الروحية بينما الشيوعية تتدخل في حياته الروحية فتمنع عنه التعاليم الروحانية لناقضة التعاليم المادية . والحزب يعطي الاكثرية في المجتمع ، الحق في تقرير مصيره. أما الشيوعيون فيريدون فرض نظامهم على هذه الاكثرية .

•

والقى الاستاذ تقي الدين الصلح محاضرة بعنوان « النداء القومي : عقيدة ونضال » وصف في مطلعها خيبة الجيل العربي الذي عاصر الثورة العربيـة الكبرى واشترك فيها ، بعد ما آلت اليه نتيجتها من استعباد وذل وتقطيع وتقسيم وتبديد في بلاده العربية .

ولكن هذه الخيبة المريرة لم تفت في عزيمته، بل « نشأ بفعلها قوياً جلوداً وشب صلباً عنيداً ، ليستأنف الجهاد عنيفاً شديداً ، ويُصلي المستعمر الجديد صراعاً جديداً ، ويحمل على منكبيه عبء القضية المنكوبة فيصل بهـا الى غايتها ، أو يسلمها منتعشة وهاجة وضاءة الى من يليه ليبلغ بها يوماً موعوداً ونصراً مشهوداً . » وقال : « من ذلك الجيل تعالى (النداء) ، ومن ذلك الجيل لبى (الندائيون) . »

ثم أخذ يصف نفسية هذا الجيل وتسامحه الديني . وكيف اعتنق العصبية القومية ، دون العصبية الدينية ، وكيف حارب الانتداب الفرنسي .

وراح المحاضر يفصل وجهة النظر السياسية التي قد تتهاون بالكيانات العربية وتبقي عليها ، ليقول ان النظرة القومية لا يمكن ان تقبل بالكيان اللبناني او بقية الكيانات ، لأن « وجود الوطن العربي الاكبر لا يتعارض مع هذه الاستقلالات المحلية لضخامة شأنه وضآلة شأنها ، ذلك ان العربي لا يدين إلا بقوميته العربية وبها يعتز وفيها يطلب لنفسه الفناء ... »

ثم عرض التطور الذي طرأ على الفكرة العربية ، الى ان انتهت بتثبيت الكيان اللبناني على اساس الميثاق ١٩٤٣ على يد المرحوم رياض الصلح .

ويلخص المحاضر بعد ذلك افكار الحزب ومعتقداته ، هذا الحزب الذي انبثق عام ١٩٤٥ في اول كانون الثاني . فيقول بان « لبنـان بلد عربي الارومة والطابع والمقصد » ، ولكن ، لا بد من « وجود كيان لبناني موحد مستقل ذي سيادة وطنية قومية في حدوده الحاضرة التي تقررت نهائياً سنة ١٩٤٣ » وانتقل المحاضر بعد ذلك الى شرح التبشير بالعقيدة القومية العربية لتكوين الشخصية القومية . فالحزب يقول – سواء في لبنان أو غيره من البلاد العربية – بفصل الدين عن الدولة فصلا تاماً .

ثم تكلم عن البرنامج الشامل الذي لا بد من تطبيقه في سبيل شفاء لبنان من الطائفية . وشرح بعدها مبادىء الحزب الاجتماعية والاقتصادية . وقال « ان مبادىء الحزب الاشتراكية الديمقراطية تنبع من صميم عقيدته القومية العربية . والقومية العربية لا تنفتح وتنمو وتزدهر إلا بقيام تنظيم اجتماعي اقتصادي يهدف الى ايجاد مشاركة معنوية ومادية ، مثمرة وعادلة بين جميع المواطنين . ولا يتم ذلك إلا بالقضاء على اسباب الفقر والبطـالة والفوارق الاجتماعية بين الطبقات عن طريق العمل بمبادىء الحزب . »

وأنهى محاضرته بالكلام عن ضرورة تحقيق الوحدة الاقتصـادية مع

سوريا ، لأن الحزب يدعو الى وحدة اقتصادية عربية شاملة .

وحاضر الاستاذ ادوار صعب بالفرنسية عن « الكتائب والتقدمية اللبنانية في مرماها الجديد » فحلل حالة لبنان الحاضرة ، وبيّن خصائص الواقع اللبناني . ثم تكلم عن التقدمية اللبنانية فأكد انه لا يمكن ان تنمو وتزدهر إلا بمحاربة الداء حيث هو ، أي بمحاربة انفسنا بانفسنا ، وانه لا يمكن ان نفهم تناقضاً بين عمل الحكومة ومطالب الشعب ، اذا كانت الديمقراطية هي حكم الشعب عن طريق الشعب ولصالح الشعب .

ويعتقد المحاضر انالثورة ليست واجبة في سبيل تحقق الاصلاح الجذري، وإنما الدواء المنبثق عن التقدمية اللبنانية ، هذه التقدمية التي ليست برنامجاً معيناً أو عقيدة محددة، انما هي اتخاذ موقف وتحديد تصرف ومعركة بين الكتائبيين وبين انفسهم اولا ثم بينهم وبين الآخرين ثانياً .

ثم بيّن المحاضر ان عقيدة الكتائب الاجتماعية ، منبثقة عن العقيدة الفلسفية . وقد حددت هذه العقيدة على ضوء الاتجاهين اللذين يقودان عالم اليوم : الشيوعية والرأسمالية . وهكذا فقد اختارت الكتائب عقيدة « النزعة الشخصية » وهنا بين المحاضر وجوب الاعتقاد باله خالق قدير ، مع العلم ان تحديد هذا الخالق هو تحديد فلسفي لا ديني .

ثم انتقل الى موقفه من القومية فقال بوجوب نبذها ، لا لشيء الا لأن بعض الغربيين قالوا بذلك ، ولأن العلم – حسب زعمه – قد تخطاها ! ومع ذلك ينتقل الى تحديد مفهوم الامة . فتبنى تعريف باريز دون سواه الذي يقول : « الأمة هي جماعة من الناس يعيشون في بيئة واحدة وبمشيئة قدر واحد . » ورأى ان هذا التحديد ينطبق على « الأمة » اللبنانية ...

ثم ألقى ضوءاً على عقيدة الكتائبالاجتماعية ازاء الماركسية فقال : (اننا كروحانيين لا نؤمن بالمادة ، ولا يمكننا ان نؤمن بتفاعلها ما لم يسيرها العقل الانساني ونبوغه . »

وعاد الى (النزعة الشخصية) فقال بانالكتائبيين يتبنونها كما فهمها المفكر المسيحي (عمانوئيل مونييه) .

ثم تكلم عن البرنامج الاقتصادي فحدد شعارهم : (صالح الفرد لصالح المجموع . ») .

محاضرات رينيه حبشي

ويتابع الاستاذ رينه حبشي سلسلة محاضراته بالفرنسية بعنوان (قلق الضمير الحديث وآماله) . وقد القى محاضرة قيمة تتناول بعض الاوضاع الوجودية ، وكان عنوانها : (ثلاثة رجال امام العبث : نيتشه وجيد وكامو) وستترجم « الآداب » هذه المحاضرة في عدد قادم ، كما تحدث في يوم آخر عن (النظرة والوجود) لدى سارتر وغبريال مارسيل . وفي محاضرة ثالثة تكلم عن (معنى الخوف) في رواية (صميم المشكلة) لغراهام غرين ، وفي محاضرة رابعة عن (المعنى الاجتماعي للجنون) في رواية (الليل هو ضيائي) للدكتور اتيان دوغريف. وكانت آخر محاضرة للاستاذ حبشي عن (تحويل الخوف) في رواية (حوار الكرمليين) لجورج برنانوس .

ولا شك في ان محاضرات الاستاذ رينه حبشي من انجح المحاضرات التي عرفتها الندوات الادبية في لبنان .

مصر

الزعامة الادبية بين بيروت والقاهرة

لمراسل « الآداب » الخاص

عندما اعلن الدكتور طه حسين – خلال محاضرته التي القاها في قاعة « يورت » منذ اكثر من شهر – انتقال الزعامة الادبية من القاهرة الى بيروت ، سارع الكثيرون من المثقفين في مصر الى الظن بان هذا التصريح سيكون ولا شك موضع فخر ابناء الثقافة في لبنان وسوريا . فهذا هو الدكتور العميد رائد الأدب العربي الحديث منذ اكثر من ربع قرن، وابن مصر وأحد بناة جامعتها يشهد لبيروت بزعامة ادب العرب .



وفي واقع الأمر لم تكن الحقيقة كذلك ابداً ، فان كلمة « انتقال » التي ادى بها العميد عبارته قد نأت عن الدقة بعض الشيء . فان نظرة سريعةلعصرنا الادبي تجعلنا ندرك على الفور انالقاهرة وبيروت كانتا في عشرات السنين القريبة الماضية موطناً لنهضتين ادبيتين ظلتا تتسايران معاً زمناً طويلا . فاذا خبا ضوء احداهما فذلك لا يعني انتقاله الى الاخرى ، بقدر ما يشير الى ما ألم بالنهضة الادبية من حادث خطير جلل .

غير ان النظرة الاقليمية الضيقة التي اتسمت بها تعقيبات بعض الادباء على النبأ الذي اذاعه الدكتور العميد ، صورت الامر بانه انتقال الزعامة من قطر الى قطر، لا ان بيروت قد فقدت اخوة في الكفاح وعوناً على النضال، من اجل ادب عربي صادق تمتد ظلاله الى ارجاء الوطن العربي الكبير .

وقد بدت الى جانبهذا الاتجاه الاقليميظاهرة غلب عليها الحسد والغيظ، حيث لا مجال للحسد أو الغيظ ، نجدها في الكلمة التي نشرها الاستاذ اسماعيل مظهر . وهي كلمة جانبهـا بعض اللفظ الأديب وكل ادب اللفظ : ...

« ... وبالرغم من يقيني بان الدكتور طه حسين لم يقل قولته هذه مؤمناً بها ايماناً كلياً ، وانما قالها ظاناً انها مما يحفز همم الادباء حرصاً على منزلة القاهرة من الادب في العالم العربي، فاني اطالب الدكتور طه حسين والدكتور لويس عوض معاً ، ان يظهرا ببرهان قاطع ان بيروت قد استولت على زعامة الادب باعمال ابتكارية فيالادبالعربي ، فما هو مثلا المذهب الادبي او المذهب النقدي الذي تلقيناه عن بيروت ؟ اين هي المدرسة التي يتزعمها ادباء لبنانيون لها في الادب العربي اثر التحويل الفكري او الاعتقادي ؟.. اما ان يقال ان بيروت ترجمت عن ادباء فرنسا او امريكا آثاراً ادبية ، فليس ذلك عندي باكثر من نقل ادب غريب بحروف عربية ، وليس من شأنه ان ينقل زعامة ولا ان يسلب زعامة ، والا كان مثل هذه الزعامة كمثل القرعاء التي تباهي بشعر بنت اختها .. » !

أغاب الظن لان الادباء في بيروت قد تملكهم الجزع عندما توقفت المجلات الادبية في مصر فانطفأت بذلك مشاعل كانتدائماً هادياً لهم فيحياتهم الفكرية..

اما الزعامة فقد كانت في نفوسهم عنها الرغبة في السعي المشترك .

« الادب ليس مطارا ... »

هذا وقد نشر الدكتور لويس عوض اخيراً كلمة رد بها على اسماعيل مظهر وذكر انه لم تعد هناك اية زعامة ادبية لا في القاهرة أو بيروت او دمشق أو بغداد .. : ... « وأنا من جانبي اعلن ان الادب ليس مطاراً يمكن نقله من القاهرة الى بيروت على جناح السرعة وهو ليس فندقاً سياحياً او مركزاً لمشروع النقطة الرابعة يتحول بين يوم وليلة من دولة الى دولة معلقاً بارادة نفر من الناس متوقفاً على اهوائهم . ولكني اعلن كذلك ان الادب العربي كله لا الأدب المصري وحده قد جف عوده وذبلت اغصانه وتساقطت اوراقه على ارض القاهرة وبغداد ودمشق وبيروت جميعاً . والذي عصف بشجرة الادب ريح صرصر باردة من انفاس الطغاة في الداخل والخارج هبت علينا منذ عشرين عاماً في قسوة لا حدود لها .. فالمعركة الاولى اذن هي معركة الحرية وقد كسبنا نصف المعركة .. فالحرية دفء كدفء الربيع .. ويوم تأتي الحرية كالفيض العميم سوف يقيم بيننا الربيع .. ولن يبرح ابداً .. »

معارك « الادب والحياة »

يبدو ان معارك « الادب والحياة » اصبحت كالرياح الموسمية تهب بين حين وحين ، ذلك لأن ثمة رأياً يرجع سبب النكسة التي اصابت المجلات الادبية في مصر الى انحرافها عن تلك الصلة التي تربط بين الأدب والحياة ، ولقد اثير اخيراً على الصفحة الادبية من جريدة « الجمهورية » اليومية جدل شارك فيه العميد طه حسين ولويس عوض ومحمد مندور واسماعيل مظهر وعبدالحميد يونس.

وقد كتب مظهر ويونس يأخذان على ادب ما قبل الثورة المصرية بانه ادب نساء واقطاع . ثم ظهر مقال للدكتور العميد تناول فيه الذين يدعون الى نبذ القديم بسخرية مريرة ، ولمح الى خطر الذين يتملقون الثورة ورجالها في الدعوة الى الاعراض عن الماضي دون ان يشير الى كاتب بالذات او كلام مكتوب بعينه . غير ان الدكتور لويس عوض ، وهو المشرف على صفحة الجمهورية الادبية ، وجه خطاباً الى العميد بعنوان « من تلميذ الى استاذه .. قال فيه : ... « ... فأستاذي يعلم ان الفرنسيين حين قاموا بثورتهم العظيمة وهي اعظم ثورة قام بها بنو الانسان ، قالوا : هنا يبدأ التاريخ ، وكل ما كان قبل الثورة يدخل في حساب ما قبل التاريخ . وهكذا ألغى الفرنسيون عامهم الميلادي ١٧٨٩ وسموه عام ١ من تاريخ البشرية . كذلك غيروا اسماء الشهور لأن مدلولاتها من آثار روما القديمة وابتدعوا للشهور اسماء جدداً اقرب الى العقل كقولهم: بريير وترميدور أي شهر الضباب وشهر الحرارة. واذا جاز للفرنسيين في ثورتهم ان يؤمنوا كل هذا الايمان بانفسهم فلم لا يجيز استاذي للمصريين ان يخطئوا هذا الخطأ بصورة مخففة مرة كل جيل ؟ .. »

بيد ان العميد نشر بعد ذلك مقالاً قيماً بعنوان «الادب والحياة» عرض فيه لأدب الماضي وأدب المستقبل ثم تناول موقف الادب من التطور والاصلاح : ... « فالادب ليس وسيلة ولا ينبغي ان يكون وسيلة والاديب لا ينشيء ادبه ليحقق هذا الغرض او ذاك ولا ليبلغ هذه الغاية او تلك وانما الادب غاية نفسه والاديب يكتب لأنه لا يستطيع إلا ان يكتب .. فاما ان يسخر الادب ليكون وسيلة من وسائل الاصلاح او سبيلا من سبل التغيير في حياة الشعوب ، فهذا تفكير لا ينبغي ان نساق اليه ولا ان نتورط فيه، وليس معنى هذا ان الادب بطبعه عقيم وان الاديب أثر بطبعه، بل معناه ان الاصلاح والتغيير وتحسين حال الشعوب وترقية شئون الانسانية اشياء تصدر عن الادب صدوراً طبيعياً كما يصدر الضوء عن الشمس وكما يصدر العبير عن الزهرة وكما تثير الروضة في نفسك ما تثير من الشعور بالجمال. فضوء الشمس لا يصدر عنها لتحقيق الاغراض وبلوغ الغايات التي تحققها انت وتبلغها به ، وانما يصدر عنها بطبيعته وتنتفع انت به وتستمتع به ايضاً وتحقق به اغراضك وتبلغ به غاياتك وتوجه من هذا كله الى ما تريد والى ما تستطيع لانك تجده يغمرك ويتاح لك ، ويهديك ويتيح لك ما تجد فيه من النفع . »

ثم يذكر الدكتور ان الادب - كما يفهمه ويطلبه - هو ألا يجمد ولا تخمد جذوته ، ولا يكون صدى للماضي ليس غير وانما يمضي مع الدنيا من حوله فيتطور معها ويصورها في حاضر الأمر ومستقبله كما صورها في ماضيه.....

« .. وما ينبغي ان نظن ان الأدب كالثروة يمكن ان يتغير نظامها بصدور القانون الذي الغى الملكيات الكبيرة وأعاد توزيع الثروة توزيعاً قوامه العدل . فليس الأدب ارضاً ، وليس الأدب مالاً ، وليس الأدب مادة، وانما الأدب روح ، والروح يرى وينظر ويلمح في الرؤية والنظر ثم يسيغ ثم يتمثل ثم ينتج بعد ذلك في مهل ما أساغ وما تمثل ، فالذين يتعجلون تطور الادب يشتطون على انفسهم وعلى الادب في وقت واحد، ولو قد كان الادب يتطور بالقوانين او يتحقق بمجرد الرغبة فيه لكنت اسرع الناس الى ان اطلب الى الثورة اصدار قانون يقضي بهذا التطور وينظمه كما اخذ في تنظيم الاقتصاد وشئون الحكم ، ولكن تأثير القوانين في الادب بطيء لا يظهر الا حين تتأثر الحياة كلها بهذه القوانين .. »

بين القديم والحديث

وكان الدكتور طه حسين قد قرأ كلاماً عن دراسة الادب القديم وموقفها من دراسة الادب الحديث من حيث القيمة او السخف .. « .. ومن السخف كل السخف ان يحكم في سهولة ويسر بالعقم على ادب عاشت عليه الانسانية المتحضرة قروناً وأتاح لهذا الادب الحديث ما يمتاز به من قوة وخصب من روعة وجمال .. » ... « ... والاستاذ الذي كتب هذا الكلام يعرف حق المعرفة اني لن اتهم بالغض من الادب الاوربي الحديث وقد كنت من أشد الناس ترغيباً فيه ومشاركة في نشره وتقريبه الى العقول العربية . فاذا ضقت بهذا الكلام الذي يذيعه في غير روية ولا اناة فلا يدفعني الى هذا تعصب للقديم او تعصب على الحديث ، وانما يدفعني اليه ايثار القصد والاعتدال على الاسراف والجموح. وقد قامت حياتنا الحديثة على احياء الادب العربي ودرس الآداب الاوربية الحديثة. وستقوم دائماً على هذين العنصرين من عناصر الحياة الخصبة وعلى هذين العنصرين نفسيهما قامت حياة العرب القدماء أو قل حياة الامة الاسلامية القديمة على احياء الادب العربي ودرس الثقافات الاجنبية التي عرفتها في تلك العصور ، فنحن نسلك نفس الطريق التي سلكها القدماء نقيم حضارتنا الحديثة على ما اقام القدماء عليه حضارتهم تلك المزدهرة . »

« اساس ايديولوجي للثورة »

على ان الدكتور محمد مندور يسرع فيكتب في اليوم التالي لنشر مقال العميد ، موضحاً الدعوة الى مسايرة الثورة في تطور الأدب ونهضته ويسفر عن رغبة جيل الادباء الفتي في وضع اساس فكري (ايديولوجي) لثورتهم الصاعدة... « .. وانما يريد ادباؤنا ومفكرونا، وينبغي ان يريدوا ، المساهمة في ثورتنا الوطنية في مجال الفكر والاحساس والذوق السليم كما ساهم قادتها

ويساهمون في مجال السياسة والاقتصاد ، والاجتماع . ومن البين ان هذه الثورة الموفقة يجب ان تستند الى تفكير حر متزن وأدب حر عميق. بل اننا لنذهب الى أبعد من هذا فنقرر ان الثورة الفكرية الادبية التي يدعو اليها شبابنا الناهض اقدم من الثورة نفسها بل لعلها هي التي مهدت لتلك الثورة وضمنت لها النجاح بنشر الوعي بين طبقات الشعب المختلفة وبخاصة بين الطبقة المستنيرة من الشبان، وتلك هي الطبقة التي تقود الرأي العام المنساق - اي اغلبية الشعب الساحقة . والدعوة الجديدة تطمح الى ان تحمل التفكير والأدب المصريين على مجاراة تطور التفكير والأدب في العالم المتحضر كله بحيث تختصر المراحل ونقفز الى مصاف الطليعة بدلاً من ان نترك انفسنا للتطور البطيء المتعدد المراحل وكأننا نعيد بذلك تاريخ الانسانية من جديد بعد ان سلخت تلك الانسانية قروناً طويلة لتصل الى ما وصلت اليه في عصرنا الحاضر .. »

★

وهكذا نرى ان معركة الادب والحياة التي بدأت في مصر في العام الماضي ثم خمد اوارها زمناً ، قد اتجهت اليوم نحو معالم واضحة ، ترمي الى صيانة الثورة بسياج من الفكر الحر . ومنذ اكثر من قرن ونصف انبثقت ثورة في فرنسا عن فولتير وروسو ومونتيسكيو ، أما اليوم فأدباء الشباب في مصر يجهدون في ان ينبثق عن الثورة مفكرون احرار كهؤلاء .. اننا نرنو الى المستقبل لنرى كيف يمكن ان يتحقق هذا الجهد .

العراق

هل الفكر العراقي في عهد جديد ؟

كتب الاستاذ محمود العبطة المحامي مقالاً نشرته جريدة « المثال » (العدد ٧١) بعنوان « هل الفكر العراقي في عهد جديد ؟ » تحدث فيه عن هذا الفيض من نتاج الفكر العراقي الحديث بعد الغاء الاحكام العرفية ، وعن اهتمام الصحف السياسية بهذا النتاج . وأضاف الكاتب ان « عدداً من الشعراء والادباء قد قدموا مسودات مؤلفاتهم الى المطابع حتى اوشكت المطابع البغدادية ان تصبح في ازمة شديدة ! »

وتساءل الاستاذ العبطة بعد ذلك : « هل هذا العهد هو حقيقة واقعة وأمر صحيح ام هو كسحاب الصيف او كنار الحلفاء او كحقيقة المنافق ؟ » ثم اجاب بقوله : « ان الفكر العراقي بعد الحرب العالمية الثانية قد استقام عوده واثمرت بذوره ... اذ ظهر عدد لا يستهان به من الشعراء الشباب الذين خلقوا الشعر العربي خلقاً جديداً واضافوا الى روافده بدائع وروائع لم يعرفها الشعر الضادي في قمم مجده ... وظهر عدد من كتاب القصة والمقالة والدراسة والنقد ممن لا يقلون عن الشعراء ابداعاً وتجويداً . وهؤلاء حين لم يروا في وطنهم (الأم) رعاية او التفاتاً توجهوا الى بلدان الاخوان في الاجزاء الحية من الوطن العربي فنشروا في مجلاتها ثمار قرائحهم » .

وبعد ان اشار الكاتب الى ان يقظة الادب العراقي موجودة - اذن - قبل هذه الايام ، قال ان هذا الادب « لا تأتي ثماره كاملة ورسالته صحيحة وتفاعله تاماً اذا لم يتم له خلق الجو الملائم لهذه الامور » والجو الملائم في رأي الاستاذ العبطة يمت الى العامل الاقتصادي باوثق الصلات ، وهو الذي يؤدي الى استتباب النظام الاجتماعي والسياسي .

وينتهي الكاتب الى الجواب على السؤال الذي طرحه بقوله : « ان الفكر العراقي لا يكون في عهد جديد اذا لم تتغير الحالة الاجتماعية في العراق » ،

معركة .. حول الشعر العراقي

كتب الاستاذ يوسف عز الدين مقالاً في العدد الاول من « الرسالة الجديدة » يتحدث فيه عن الشعر العراقي المعاصر . وقد اثار هذا المقال معركة بدت طلائعها في الصفحة الادبية من صفحات « اليقظة » - العدد ١٧٤٤ - فقد كتب الاستاذ علي الحلي ينتقد ذلك المقال ويتهم كاتبه بعدم التجرد ويقول انه « كان اولى به ان يتجنب المجاملة » التي دفعته الى ذكر اسماء شعراء لا يزالون في اول الطريق واهمال شعراء مشهورين لهم مكانتهم وقيمتهم .

وقد رد الاستاذ يوسف عز الدين على ناقده في « اليقظة » العدد - ١٧٥٥ - فوعد ان يضيف في كتاب ينوي طبعه عن الشعر العراقي المعاصر اسماء لم يذكرها في مقاله ... ثم اخذ على الاستاذ الحلي ان يكيل له التهم جزافاً ويخرج عن جادة البحث العلمي النزيه ، ورد بعد ذلك حملة الناقد الى ان اسمه لم يدرج في اسماء الشعراء ...

على ان الاستاذ علي الحلي ما لبث ان نشر تعقيباً على رد صاحب المقال (اليقظة : العدد ١٧٦١) فهاجمه مهاجمة عنيفة وأخذ عليه ضآلة اطلاعه على النتاج الشعري المعاصر في العراق .

مجلة « الثقافة الجديدة »

صدرت في بغداد ، في اول تشرين الثاني الماضي ، مجلة شهرية ثقافية عامة بعنوان « الثقافة الجديدة » لصاحبها الاستاذ مهدي الرحيم . وقد شارك في تحريرها نخبة من ادباء القطر الشقيق . ولكن ما كاد يصدر العدد الثاني من هذه المجلة الراقية ، حتى الغي امتيازها .

واننا ، اذ نحتفظ برأينا في الزميلة العراقية ، نأسف لإلغاء امتيازها ، اياً كان سبب هذا الالغاء ، ونعتبر ذلك طعنة لحرية الفكر التي نؤمن بها .

معركة حول الجواهري

تقوم في الزميلة العراقية « الرسالة الجديدة » معركة ادبية بين الادباء والقراء حول شعر الشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري . وقد بدأ هاشم عبد الجليل بمقال عنوانه « هل فقد الجواهري مجده الادبي » نشرته المجلة في عددها الأول ، فرد عليه كثيرون منهم صبري حامد العميري الذي اكد ان الجواهري لا يزال للشعب ، وانه رفض كثيراً من المناصب الرخيصة ، وناجي فياض الكرخي الذي ينعى على بعضهم سعيهم لشل حركة الادب الذي يرعى الجماهير ويرشد المجتمع الى سلوك طريق الحق ، وصديق عقراوي الذي يستغرب ان ينقلب انصار الجواهري عليه ، وغازي عبد الحميد الكنين الذي هاجم كاتب المقال الاول .

اما الذين ايدوا الكاتب فنهم محمد سعيد عطار الذي يعتقد ان نجم الجواهري قد افل ، وعبد الزهرة الجندي الذي يأخذ على الشاعر موقفه في الفترة الواقعة بين ٩٥٠ - ٩٥٣ ، وذهابه الى مصر ، ويقول « ان الشاعر اصبح يعيش الان لنفسه ، بعد ان كان يعيش للشعب » .

هذا ولا يزال باب النقاش مفتوحاً في الزميلة « الرسالة الجديدة » .

النشاط الثقافي في العالم العربي

سوريا

المتنبي والمستشرق بلاشير

افتتحت الجامعة السورية موسم محاضراتها للعام الدراسي الجديد، بان قدمت المستشرق الفرنسي الكبير الدكتور ريجيس بلاشير، فحاضر في موضوع « لماذا فضلت المتنبي . »

وقد قدم رئيس الجامعة الاستاذ المحاضر ، فقال ان الاستاذ بلاشير الذي هو ضيف كلية الآداب، يشغل كرسي اللغة العربية وآدابها في جامعة الصوربون وفي معهد اللغات الشرقية ، وله من المؤلفات: الأدب العربي، القواعد العربية، وأخرج ترجمة علمية للقرآن في اربعة اجزاء . اما دراسته المحببة الى نفسه فهي التي تقدم بها عام ١٩٣٦ لنيل دكتوراه الدولة في الآداب وكانت عن المتنبي. ونوه رئيس الجامعة بتفاني الدكتور بلاشير في خدمة اللغة العربيه وآدابها ، حتى كاد ان يفني بصره .

وباشر الاستاذ بلاشير حديثه باللغة الفصحى ، فشكر رئيس الجامعة على كلمته والحضور على حسن استقبالهم له . وقال انه كان بوده ان يتحدث اليهم بالعربية لولا بعض الصعوبة التي يلقاها في القراءة ، هذه الصعوبة التي نوه عنها الاستاذ الميداني . لذلك فهو يفضل الارتجال باللغة الفرنسية ، خاصة وانه يرغب في تعريف المواطنين الفرنسيين بالمتني ، وهم لا يعرفون عنه إلا النزر اليسير .

ثم اخذ الاستاذ بلاشير يتحدث عن المتني باللغة الفرنسية فسرد لمحة عن نشأته وحياته وثقافته . وبعد ان انتهى من هذه الخلاصة عن سيرة المتني ، تساءل عن تفضيله لهذا الشاعر على غيره من شعراء العربية .

فقال انه بالرغم من مشاركته لكثير من الشعراء في اشياء كثيرة ، إلا انه يختلف عنهم في كثير من النقاط ، فنحن نشعر ان فيه مادة جديدة لا توجد عند غيره من الناس ؛ فيه تلك الشخصية الفذة وعمق معرفته بالبشر ؛ لطول احتكاكه بهم ؛ فيه الصفات التي تجعله يعكس في شعره صورة حية فريدة عن عصر من ازهى العصور الادبية وابهاها ؛ فيه تلك الموهبة الفنية المتكاملة التي تجعل منه الفنان الصناع البصير بصناعة الشعر والفقيه باسرار اللغة وخفاياها . فهو ينفرد بهذه الخاصة التي تجعله يضمّن البيت الواحد اكثر ما يمكن تضمينه من المعارف اللغوية وتجارب الحياة معاً . مما جعل المتني يأتي في طليعة شعراء الحكم والأمثال ، فضمن بذلك لشعره ان يسير على كل لسان في تيار الزمان .

وبعد ان تحدث الاستاذ المحاضر عن الموسيقية الرياضية في شعر المتني ، انتقل الى الحديث عن فلسفته في حب العروبة ، هذا الحب الذي جعله يلازم سيف الدولة ويحمل نفسه حملا على البقاء الى جانب الأخشيدي كارهاً. وكذلك عن فلسفته في كفاح الحياة ، وفي ثورته على نظم المجتمع وتقاليد الناس ، وتشاؤمه المنتزع من تجاربه الخاصة ومعرفته بالطباع البشرية ؛ وفي كبريائه واعجابه بنفسه اعجاباً لا حد له، وشعوره بالوحدة يجعله فردياً الى ابعد حدود الفردية ، لأنه يرى نفسه قد جبلت من طينة تختلف عن طينة البقية الباقية من الناس . فهو يشعر انه فوق مستوى معاصريه ويطمح الى اكثر مما يطمحون اليه ، فلماذا اذن يكتم هذا الشعور عن الناس ؟

وختم الاستاذ بلاشير محاضرته ذاكراً ان المتني يعد في الطليعة من العباقرة الانسانيين الذين تمخضت عنهم الامة العربية .

الادب رسالة قومية وانسانية

حاضر الاستاذ نسيب الاختيار عن القديم والجديد، فقرر : « انه حديث الناس منذ الأزل يعالجونه برفق او بعنف ، والزمن يقف بين الجانبين كهوة فاغرة الفم تتلقف هذا وذاك ، ولا تخلف إلا الأصداء . »

ثم بين الاستاذ الاختيار الفرق بين القديم والجديد ، واكد ان الصالح في عصر ما لا يصلح في كل عصر ، وان قيم الاشياء مرهونة بأوضاع الزمن . وقال إن الحياة وحدة متماسكة تربط بين القديم والجديد ، وبين الوان الأوضاع السائدة من سياسية واقتصاديه واجتماعية ، فتظهر انعكاساتها في نمطين من الأدب : هناك من ينظر الى الحياة من القمة ، وهناك من ينظر اليها من القاعدة .

فالفئة الاولى تعيش غريبة عن المجتمع ، بعيدة عن لهيب الحياة وآلام الشعب ، فلا تفكر تفكيره ولا تحس احساسه، بل قد تعبر عن القيم الرجعية وترى فيها المثل الأعلى .

اما الفئة الثانية ، فهي التي سيكتب لها الفوز لأنها تؤمن بمستقبل الانسانية، وبالمثل الأعلى المنبثق عن الحقيقة والواقع . وما دامت « قيم الاشياء مرهونة بأوضاع الزمن » ، فان آثار الفئة الثانية هي التي تصلح لأن تكون ارثاً ونموذجاً في زمن تتطور فيه المفاهيم وتختلف القيم والمثل العليا . لذلك فالادباء المجدون هم الادباء الذين لم يبتعدوا عن الشعب،ولا احتلفت تصوراتهم الذاتية عن آمال اكثر الناس .

وقال الاستاذ الاختيار إن الرجعيين تجاهلوا حقائق الحياة وامجاد القيم التي يجب ان تتجاوب مع التطور الخلاق وانكمشوا في عالمهم الذاتي .

وانتهى المحاضر الى القول ان المجددين قد عاشوا عصرهم واستمدوا وحيهم من مادة الحياة الأهلية ، وكانوا الصوت التاريخي لأوطانهم . فالأدب اذن رسالة قومية وانسانية .

منتدى سكينة الادبي

افتتح ، في اواخر الشهر الماضي،منتدى سكينة الادبي في «النادي العربي» بدمشق . وقد اوضحت الدكتورة زاهدة حميد باشا امينة السر ، الدور الذي يمكن ان يلعبه هذا المنتدى في الحياة الفكرية العربية ؛ واشارت الى ان « هذه المرحلة الانشائية من حياتنا الفكرية والادبية ، التي تتطلب التقرب بين مختلف الاتجاهات الادبية ، والمدارس الفكرية القومية من جهة ، واستيعاب حركة الآداب العالمية وتفهم اتجاهاتها من جهة اخرى ، وتدعو الى شحذ المواهب وتعضيد المتفوقين من رجال الأدب وشبابه ، للمساهمة في تربية الذوق الأدبي العام في مجتمعنا العربي . » فهذه المرحلة الانشائية هي التي كانت الباعث على تأسيس هذا المنتدى .

ثم تحدثت عن حياة سكينة بنت الحسين، وتكريسها حياتها في سبيل خدمة الحق والخير والجمال. ووفاء لذكرى تلك المرأة العربية، دعي المنتدى باسمها.

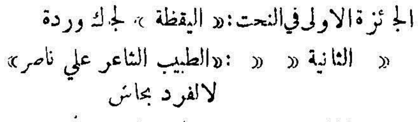
تطلب مجلة « الآداب » في اليمن من الاستاذ عبد الكريم ابراهيم الاسير، رئيس تحرير جريدة « الايمان » ومديرها المسؤول . صنعاء - اليمن .

النشاط الثقافي في العالم العربي

جوائز المعرض الرابع للفنون الجميلة

تحدثت « الآداب » في عدد سابق عن المعرض الرابع للفنون الجميلة الذي تقيمة وزارة المعارف السورية كل عام وتخصص له جوائز مالية للفائزين الثلاثة الأول في النحت والتصوير .

وقد نشرت المجلة صور بعض اللوحات في عددها الحادي عشر من السنة الماضية . وقد اجتمعت لجنة التحكيم فوزعت الجوائز كما يلي :



الجائزة الاولى في النحت : « اليقظة » لجاك وردة

« الثانية « « : « الطبيب الشاعر علي ناصر » لالفرد بخاش

« الثالثة « « : لعدنان رفاعي

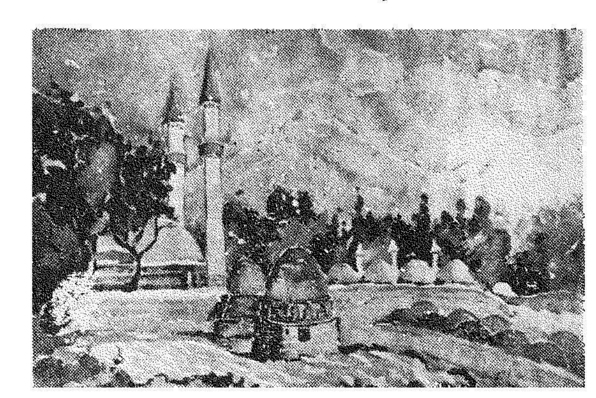
الجائزة الاولى في التصوير : « ابتهال » لنصير شورى

« الثانية « « : « جامع في دمشق » لنوبار صباغيان

« الثالثة « « : لمحمود حماد

والى جانب هذا الكلام الآثار الفائزة بالجائزة الاولى والثانية في النحت والتصوير .

وجدير بالذكر ان جريدة البناء اصدرت عدداً خاصاً عن هذا المعرض في ثماني صفحات تضمن عدداً من الدراسات والملاحظات .



« جامع في دمشق » لنوبار صباغيان

« الطبيب الشاعر علي ناصر » لالفرد بخاش



« ابتهال » لنصير شورى



« اليقظة » لجاك وردة



بقلم
شاكر مصطفى

يهم « الآداب » ان تكرّر انها تُطلق لكاتب هذا الباب الحرية كلها في الادلاء برأيه حول مقالات المجلة من غير ان يكون في ذلك أي تعبير عن رأيها الخاص . فعلى الكاتب وحده تبعة ما يقول .

اجل ! قرأت العدد الماضي ، من الآداب : (عدد القصة) ولقد أقبلت عليه إقبال النهم على المائدة السخية ، عمل في إعدادها عشرات الطهاة وأحرقت في وقودها مئات الشموع والقلوب ... لم يكن في إمكاني ، وعيوني تركض بين السطر واخيه ، والصفحة وجارتها ، ان انسى أن مائة يد صناع قد احكمت صوغ كل عنوان ، ونحت كل كلمة ؛ وان عليّ ان اعدّ حتى المائة - واحياناً الى الألف - قبل ان افكر برشق أي بناء بزهرة أو بحجر ! هذا الى انني ممن يكرهون ثوب القضاة ، سواداً وطريقة ، ويؤمنون ، أكثر من هذا ، بنسبية القيم ، وشخصية النقد ، ويكفرون بال « موضوعية » في الفن .. يكفرون حتى الغثيان !

مضيت في القراءة ، شروداً ، على عادتي الأثيرة ، شرود الفراش القلق . وإذا كان يهم احداً ما همست به بيني وبين نفسي ، فهذه هي الهوامش والحواشي بشوكها وعطرها الوحشي .. وهل يخرج عابر البستان إلا بالشوك وبالعطر ؟

قصة « ثائران »

تتصدر العدد ويعلوها اسم يدفعك دفعاً لأن تبدأ بها اول ما تبدأ . وتسرع في القراءة كأنك تود ان تكون اول مستنزف لهذه الثروة الساحرة المسحورة .. وسرعان ما يخيب ظنك ، كما خاب بي الظن ، مع تعاقب السطور . فالقصة فاشلة في موضوعها وفي عرضها الفني على السواء . ولعلها أقرب الى ان تكون هيكل رواية ، منها الى قصة صغيرة . فقد جمع الاستاذ نعيمه فيها عناصر المأساة كلها ... ومواقف يوسف وهي على المسرح !! وأغلب الظن انه لولا اسم ناسك « بسكنتا » الذي يتوجها ، ونفحة من الروح الاشتراكية في بعض سطورها ، لألقى بها العدد ظهرياً . وربما لم يجد لها من مكان فيه .

إني في الواقع احترم الاسم العريض الذي يتمتع به الاستاذ ميخائيل نعيمة - ولعلي ايضاً احبه - ولكن أليس عليه ايضاً ان يحترم قراءه ؟

« تسع بنادق »

قرأت للاستاذ خليل هنداوي الكثير الجيد من الانتاج ، والعديد الوفر من ألوان الأدب . ولكني استميحه العذر إن طلبت اليه ان يعيد النظر في مسرحيته أم البنادق التسع ! فهي على نبيل الشعور الذي اوحاها ، تمتح من سطح المأساة لا من اعماقها ؛ ليس فيها تلك التجربة الحية التي تمنح الأدب لحظة الخلود . ليس ثمة من جو في المسرحية ولا صورة واضحة مؤثرة لشخصياتها ، ويضعف حوارها احياناً - وكل قوة المسرحية في إدارة الحوار - الدرجة التي تضحي معها اشبه بريبورتاج صحفي منها بقطعة من الادب القومي .

ولعله من قبيل المصادفة الحسنة ان تكون مسرحية (العادلون) مترجمة في العدد نفسه وان يكون مجال المقارنة واسعاً امام الاستاذ وامامنا ... واسعاً لدرجة التكفير !

« أوعية الصديد »

أنا لا أكتم دوماً إعجابي المبرر بشاعر دمشق الأستاذ نزار القباني لا سيما في انتاجه الأخير ... ففي قلبه كنز من الصور وعلى لهاته لغة من الشعر ، الله لها ! بسيطة ، بما تقوله انت وأنا في الطريق ، عفوية كلغو الوليد ، ولكنها تعرف كيف تخفي وراء بساطتها وعفويتها الأعصاب التي مزقت ، والنصب الذي الذي أريق ، سخاءً وقرابين ، لتستوي القوافي وتنهل ، نغماً ورؤى وفكرة !

و «أوعية الصديد» لحظة من لحظات المرأة - والرجل ايضاً - لحظة ينبح الوريد ويتبدد الشعر ويضيع اللهاث في ... « قبو من جليد» أصمّ . وأجمل ما في القطعة تلك النفحة الانسانية فيها :

يا ويح أوعية الصديد !
هل ليس تملك أن تريد
... ولا تريد !!

« بابا نويل »

هي من روائع الشعر التي اشتهر بها الأستاذ مارون عبود (فالشدياق) ، بتقاه وميامره ومسبحه أحد تلك الوجوه النادرة التي ضاعت ، وتضيع اليوم بين ثلوج لبنان وصخره وغابه .

ولكن (بابا نويل) صورة لا قصة . فلا بد في القصة من حادث . لا أقول لا بد من عقدة أو مصير يحبك ... لا ، ولكن لا بد للشخصية المصورة من أن تمارس دوراً في الحياة ، من أن تسير على الأرض وتصطدم ولو بشوكة من شوكها أو تشرب قطرة ندى . لا بد من أن تتحرك في جو وشروط معينة وتنبيء عن تصرف في لحظة — عقدة !

و «الشدياق» صورة قوية آسرة يرفدها خيال حلو وأسلوب متين رقيق وثقافة تجتذب من أعماق الجاهلية للشدياق « لحية الشنفرى » وألفاظ امرىء القيس !

ولكن « الشدياق » ليس بقصة !... أم تراني أتجنى ؟

« ليلة في القرية »

قصيدة جيدة الوحي ، ولكنك تحس ، برغم ما تأسرك به احياناً من صدق الشعور ، أنها تتهالك على قوافيها تهالكاً ، وأن وحي الشاعر فيها ينقطع قبل أن يدرك القافيه فتأتي مهلهلة لصيقة ، كالذيل الاضافي : فعشر قواف من القسم الاول فيها (وهو ١٤ بيتاً) عبارة عن نعوت لبعض ما في الأبيات : غانم ، قاتم ، حالم ، ناعم ... وتتبدل القافية فلا تتغير طريقة توقيعها ، وتجد في أربع قواف متتالية هذه الألوان : زرقاء ، خضراء ، سمراء ، حمراء ، ثم تأتي بعد قليل سوداء ، ولست ادري فيم أهمل الشاعر بقية سلسلة الألوان في القوافي الباقية !

« القصة العربية في افريقيا الشمالية »

مقال ، كم تمنيت لو أتيح لي ولغيري المزيد منه ، المزيد من ذلك الأفق العربي البعيد الذي « يغربونه » بلفح السياط وقضبان المعتقل !.. شاقني أن أعرف اسم أخ لي ما سمعت بعد به ، ونتاج ابن عم ما التقيت به على صفحة ! المسعدي أضحى صلة الروح بيننا وبين تلك الأرض العربية المعذبة ، وكرباكه والعربي وفرعون وديب .. رسل كنياط القلب بيننا وبين قطعة من الأهل والسكن ، ويجب ان نعرفهم رسولاً رسولاً !

على أني أعتب على الدكتور سهيل إدريس ، ولعلي إذا تذكرت ما أخذه على نفسه في مستهل العدد نفسه من محاربة الاستعمار والتجاوب مع المجتمع العربي ووعي الرسالة .. لعلي إذن ألومه وأعنف كل العنف في اللوم . انه يقول : « وتذكر اسماء أدباء من أفريقيا الشمالية **وخاصة من الجزائر** ، حظيت آثارهم بالتقدير وعلى رأس هؤلاء البير **كامو** وعمانوئيل **روبلس** .» ثم يقول في الفقرة نفسها بعد قليل « .. ومنذ عامين نشأ جيل من **الأدباء الافريقيين** تميز نتاجهم ببروز اللون المحلي ومن هؤلاء **مولود فرعون** **ومحمد ديب** .. » لا يا دكتور ! لو عكست على الاقل او لو تمردت على المفاهيم الاستعمارية الفرنسية ! هؤلاء الاخيرون ، هم ، رغم غربة اللغة ، هم الجزائر ، هم المغرب العربي وكل زهرة فيه . واولئك هم النبات الغريب ، هم «المتأفرقون» ولم تجر ذرة من دماء اجدادهم في ذلك التراب !★

« بنادق في لواء الجليل »

ثلاث أقاصيص يجمعها انها قصص بنادق ، وقصص بنادق سالت يوماً على بطاح فلسطين . ومن وراء خشبة كل بندقية وحديدها تبرز شخصية وحكاية . والدكتور العجيلي قصاص فنان ، عتيق « في الكار » لا خوف ان يزل به الجناح المريد ولكنه مع ذلك ترك لي ولغيري ، هذه المرة ، ان نتساءل : وأين أقاصيصك الرائعة التي اعتدنا متعتها يا دكتور ؟ بنادق الجليل ، البندقية الأخيرة منها ناجحة ولكن الباقيات ..

الصخب والعنف

حين قرأت هذا العنوان يتقدم ثمانياً من الصفحات ملأى ، وقرأت أنها تحليل نقدي لرواية « وليم فوكنر » استعذت بالله ، وتمثلت أنا ألمس تلك الرواية في مكتبتي والحواشي التي زحمتها فيها بين سواد الحروف .. خشيت ان يلقيني التحليل منها في غيم جديد فأرتاب حتى بالذي لاح لي فيها من صخور مستقرة !

ولكني أعترف للاستاذ ابراهيم جبرا بالتوفيق الكبير . لقد عرف كيف يمر بذلك « الصخب والعنف » اخرس الخطو ، هادىء النفس ، وعرف كيف ينبش تلك القطعة الفنية المدهشة زاوية زاوية .. أرأيت كيف قاد (فيرجيل) دانتي عبر الدار الآخرة ؟ تسير مع الكاتب وأنت مطمئن الى انك في صحبة عين فنانة ثاقبة ، وتمضي معه فاذا الفوضى تستحيل نظاماً ، وما لا منطق فيه يصبح منطقاً عذباً ، وتخرج اخيراً معه كما خرج و « قد شهدت البداية والنهاية » !

تمنيت لو ترجم الاستاذ جبرا رواية (الصخب والعنف)

★ تعليق : أقر الاستاذ شاكر مصطفى على ملاحظته القيمة ، واعترف انه كان ينبغي لي ان اميز بين الافريقيين و « المتأفرقين » ، وهذا لا يعني اني غير معجب بنتاج هؤلاء « المتأفرقين » وعلى رأسهم كامو . [س.إ]

الى العربية ، ليضع مقاله هذا ، مقدمة بين يدي كل قارىء !

علبة الثقاب

قصة تظل تمشي عادية ، هينة ، وفي شيء من تفاهة الحوار ومن التطويل ، احياناً ، حتى السطر الاخير ، إذ تبلغ الذروة وتنجح ! واعتذر للاستاذ الصقر إذا كنت لم أقرأ له بعد ، ليصح حكمي ، ولكني ألمح في ثنايا قصته هذه ، الطريقة « التيمورية » المعروفة ، ألمح القصة المصرية قبل خمس عشرة او عشرين سنة !

الأقصوصة الروسية الحديثة

المقال مترجم عن كاتب روسي ضليع . ولهذا فهو نافذة للاطلاع على الأدب السوفياتي الحديث . وما به من العرض والتحليل يمكن ان يكون نموذجاً للدراسة ، لولا انه يهمل بعض الكتاب الروس الآخرين . ولا شك ان الاستاذ البعلبكي قد وفق في انتقاء الموضوع ، على اي حال ، توفيقه في ترجمته الترجمة المثلى .

« العادلون »

اما المسرحية نفسها فليس لي دون شك ، ان أتحدث عن قيمتها وان اقف عند مفاهيم العدالة المتباينة بتباين شخصياتها : من (ستيبان) الذي يقبل حتى بالجريمة والخداع والكذب لنجاح الثورة ، الى (كاليابيف) الذي كان يناضل من اجل الحياة لا الموت ، ولتحرير العبيد لا في سبيل العدالة المطلقة ، الى الحبيبة الثورية (دورا) الى (اننكوف) ... ما المجال هنا بمجال تحليل قطعة اضحت قمة من قمم الادب الانساني ، وقطعة مني ومنك ومن كل ظليم ثائر ، على كرة الطين هذه ، يهزه التوق العنيف الى مثل اعلى !

على انه يجب ان احمد اولاً انتقاءها للترجمة ، وانا ما كدت ارى العنوان حتى اقبلت اعبّ السطور عباً حتى ستار الختام . ان لي فيها لنشوة سالفة كنت اخشى ان يكون الثوب العربي قد ذهب بها ، وإن لي فيها لمقاطع حفيت الأحرف في نسختي لما مرت عيني عليها ، فأين هي الآن ؟ وكيف خرجت في لغة أهلي ؟

إني اسمح لنفسي ان اهنىء الأخ اميل الشويري على مبلغ توفيقه في الترجمة بالرغم مما اخذ به نفسه اخذاً من نقل حرفي ، أفقده ، في بعض الأحيان ، أو كاد ، رواء القالب العربي . فأنا أعرف كم قاسى في الترجمة ، وكم تألم في تصيد الكلمة الملائمة والمعنى الهارب ، وصب الفكرة « الكاموسية » في الصيغ القرشية [1] !

أشتهي أن تقرأ هذه المسرحية معي نفوس تجتر لهبها كالنار في صمت الزوايا ، وقلوب أعرفها وأعرف ما يرهقها من حقد رفيع ؛ لعل كلمات (كامو) تساعدها على أن تجد اطمئنانها المر الرهيب في « الانسجام مع الجريمة » العادلة !

غمامة تذوب

قصة السيدة وداد سكاكيني ، تبتدىء ، على السنة التقليدية ، بمقطعين من وصف النيل والنخيل والمساء والانوار ، ثم تنقضي صفحة كاملة في الدوران حول شخوص القصة الثلاثة تمهيداً « لحادث » القصة الذي يبدأ قبل النهاية بأربعة مقاطع : « ... وبقي القدر يضحك ويقهقه حتى ... » كان زواج !

والقصة في جملتها جيدة ، يزينها ما تعودناه من صاحبتها من أسلوب ريق . غير أنك تفاجأ ، هنا وهناك ، بما تشعر معه التصنع وحك الورق . وتفاجأ مرة ، خلال العرض ، بالكاتبة نفسها ، وقد مزقت جو القصة الخاص ودخلت بنفسها بين الحروف لتقول ، بعد صفحة كاملة من التحليل : « ... ولقد قيض لي أن أتسلل إلى تلك الأنفس وأتدسس على ما ظهر منها وما بطن ، دخلتها وبيدي مصباح ... الخ » . ترى لو لم يقيض لها ذلك ولم تتدسس على تلك الأنفس التي خلقتها بيدها فماذا تراها كانت صانعة ؟

القطار الصاعد الى بغداد

وهذه ايضاً صورة لا قصة ، صورة حية لراويها الذي كان ذات ليلة على الطريق الصاعدة الى بغداد ، وترك الصور من ذكريات ومشاهد وتعليقات ، تقفز مرة بعد مرة الى مسرح نفسه . إن إحكام الأسلوب ومتانته تمنعك من ان تحسّ في العرض « عفوية » النفس المنفعلة ، كما ان اعتماد الكاتب على وصف المناظر الحسية في الغالب — يمنعك من أن تغرق فيما وراء الأسطر ، وتفترض ، من خلف الكلمات ، دهاليز وأروقة خلفية مفعمة بالشعور الانساني ... ومع هذا فأنت تشعر حين تغمض عينيك بعد النهاية أنك أمام قلم موفق .

شجرة عيد الميلاد

حين انتهيت من قراءة هذه القصة ، خيل إلي أني أعرفها ،

---

[1] (١) تسنى لي منذ ايام ان اقرأ الفصل الثاني من المسرحية مترجماً في مجلة « الثقافة الجديدة » العراقية عن الانكليزية فأبي بون ... لقد وجدت من واجبي ان اكرر التهنئة للأخ شويري .

وأعرفها منذ قليل ... وسرعان ما وثب خيال (الشدياق) [شدياق الاستاذ مارون عبود في العدد نفسه] إلى خاطري ليقف الى جانب (الجد) في هذه القصة . وغريب أمر هذا اللقاء بين قلمين في مدى بضع صفحات من مجلة واحدة : فكلاهما صورة عجوز شيخ من لبنان : جد يقدم عليه مسافر غائب ، في ليلة الميلاد . وكلاهما يودع الحياة تلك الليلة ... ولئن كانت حركة « الحادث » القصصي اكثر ظهوراً في شجرة عيد الميلاد فشخصية الشدياق أبرز واكثر اسراً وحرارة !

الحكيم

سمعت بالرواية من الأستاذ عبد الله عبد الدائم، فلما وجدتها ملخصة ذلك التلخيص الذكي الكامل ، بقلمه ، العميق اللفتة ، المنظم الفهم ، حمدت له هذا الغذاء السخي ، وسررت في قرارتي ، لما وفر علي من جهد .

قدمت المجلة [1] للتلخيص بكلمة قالت فيها « ... وكتاب الحكيم خير ما يمثل هذا الأدب الاجتماعي القومي الذي نتعطش له والذي يستطيع وحده أن يملأ نفوس الشعب وعياً وعزماً ... » ولكنك حين تستوفي القراءة تتساءل : « أهذا هو حقاً الأدب الاجتماعي القومي الذي نتعطش اليه والذي يستطيع وحده ... الخ » ? أسمح لنفسي ان أشك في هاتين الحقيقتين : فالرواية ، على ما بها من مظاهر العمق ، إنما تكشف عن مفاسد المجتمع « الحكومي » وليس عن مشكلة المجتمع في أعماقها ، تفضح سوء الادارة المسيطرة ولكنها لا تمس مأساة الروح المصرية نفسها . وإلا فأين الذات العميقة المعذبة ؟وأين القلق الثائر والحقد المبدع؟

الكاتب يدهشك بسعة اطلاعه — وهو أجنبي — على تفشي المفاسد وتغلغل الاستعمار ولكنه لا يغور بك إلى رعشات الأعماق ، يصف لك بؤس الفلاح ولا يعيش معه جوهر المأساة . يغريك بنشوة من يقرأ الفضيحة فيحس خدر التشفي ولكنه لا يضعك ، من الرواية ، في قلب المعركة !

ليس يكفي ان يعرض الأدب لذكر المفاسد كي نكلل جبينه بغار «الأدب الاجتماعي» ، وليس يكفي ان يبكي البؤس ليكون « وحده » طريق العزم والوعي ... ورحم الله تفاؤل سقراط ! إن الآداب التي ساقت الأمم في طريق العزم والوعي ما كانت بؤر « هباب » فقط ولكن كانت ايضاً غزلاً بشفة ، وقلقاً على فجر ، وإغفاءة عند نجم !

فيزيولوجية القصة

كتاب طالما تقت لأن أعبر صفحاته الاولى عبثاً ... كان الكتاب نداء اخرس عندي في زاوية المكتبة ، ما فُضت صفحاته ، كالكثير من مثله . وكان وقتي الشحيح يدفعني في كل باب سوى ان استجيب لذلك النداء ! حتى جاءت (الآداب) فقدمته لي في « برشامة » ! قدمته في تلخيص واف قوي ، استطاع رغم اتساع الأفق أن يجمع فضفاض الثوب في أشبار ، ويقتصر من الكتاب على ما يبرز معالم القصة جميعاً من الطبيعة والموضوع ، الى العقدة والأشخاص ... الى التأليف الاخير !

أنا موقن ان دراسة « النحو » لا تخلق الكاتب ، ومعرفة « تكنية » التصوير لا تخلق الفنان ، وان اي انتاج عبقري ، قد يتحدى كل تحليل ويمد لسانه لكل قانون !.. ومع ذلك فاقرأ هذا المقال الواسع على تعقيده فانك واقع فيه على النسيج الخفي لهذا الفن القصصي الذي يسلبك وقتك ومالك وإعجابك ... في كلمات ؛ وإنك واجد في الكتاب بعضاً من اللذة الحرام او لوناً من الخيبة او شيئاً بين هذا وذاك ... أتعرف صائد الفراش في لذته الحرام وخيبته ؟

« صفعة سوط »

القصة الفائزة !.. كان بودي لو تجاوزتها بعد ان حكم لها خمسة ، هم الأدب كله أو بعضه في لبنان، ولكن ما كان لجهيزة ان تقطع قول كل خطيب بعد ان دفعت القصة ، مع تاجها ، للناس ، ولأحكام الناس !

ولا اريد ان اسيء الى الفائز ، وهو صديقي ، ولا ان احمل البسمات الى من اجهل من الفاشلين ، إذا قلت ان صفعة سوط تدل على قلم لم يمارس القصة طويلاً بعد !

ان نجاحها يقطع دون شك بوجود إمكانيات واسعة لدى الاستاذ مطاع صفدي حبذا لو اخرجها الى النور ولكنها ... هي ، لا سيما في بعض اسلوبها الغامض في المطلع ، وفي حوادث الطلاق والزواج المفاجئة بها ، تقف جامدة ، كالفكرة الحرون أو كبناء المقوّى ، أهرقت عليه أطيب الألوان ! ثم إنها طويلة الأحداث جداً ، طولاً لا تحتمله اقصوصة ! أليس يوافقني على ذلك حضرات المحكمين ؟

على ان أسلوب القصة القوي ، هو الذي يغفر لها ، وقمتها الرائعة التي تحلق بها في المقاطع الاخيرة ، هي التي شفعت لها

(1) نودّ ان نوضح هنا ان هذه الكلمة مقتبسة من مقال الاستاذ عبد الدائم، وليست هي مقدمة من المجلة. (الآداب)

الطريق الى الجائزة الاولى. وفيها لمحات من التحليل كم تمنيت لو ظل الكاتب دوماً في مستواها ... إذن لكانت قصته الاولى في كل قلب!

« الى حين »

لعلها هي القصة الثالثة التي اقرؤها لسميرة عزام ولكنها جميعاً حملتني الانطباع نفسه عن الكاتبة: خفة الظل وقلة التكلف في الاسلوب والموضوع على السواء. وشخصية العمتين هنا موفقة الصورة بأنانيتها، وطمعها المحرك، وهذه الصورة ما تني تتكامل وتتضح خلال القصة بالعديد من الحوادث والملاحظات. على ان موقف البنت السلبي ... كل مرة، وهي الفتاة اليافعة، المسوقة سوقاً لاغراء «ابن الجيران» قد يجعلها اشبه بقطعة صيد لا بإنسانة من لحم ودم ... وعواطف. وخروجها من لعبة النار، دون جذوة في القلب قد يكون محتملاً ولكنه يجردها ويجرد القصة معها من الالفة الانسانية ليجعلها لعبة دمى.. أليس كذلك؟

« الحي اللاتيني »

... وتنبسط في نفوس الكثيرين شوارع (سان ميشيل) و (الروديزيكول) و (السوربون) و (دوبون) ... طولاً وعرضاً وتتدفق فيها، ابراج بابل من السحن والازياء واللغات، وتنبعث من كل ذلك نكهة، كنكهة الخمر الحارة، لا يفهمها إلا المدمنون.. هذا الحي هو كل باريس، كلها في عرف الكثيرين ممن مشوا البحر الى ذلك الكون السحري على السين!

وأخشى ان يُظن بي ملق الصداقة اذا انا مدحتك، يا دكتور، بعد ان كنتُ (حُطيئة) العدد!! ولكنك قدمت في صفحات الختام دراسة عميقة، حلوة العرض والأسلوب، لعشرات اعرفهم وتعرفهم ممن يحملون، هنا، طائعين او كارهين، اقنعة الشيوخ، ووقار الورق المقوى ... حتى اذا ...

لا! ليس فيما كتبت جرح الاعتراف، فهو اعتراف «جماعي»، وصورة لساعة قلق هي، في واقعها، حياة كاملة، حياة جيل بكل من فيه!

ولقد كنت أود ان تقصد من مواقف الغرام وأن تعطف على مشاعر اخرى، ما اخصبها، تمور في الحس وتسيل في الدروب، وأن.. وأن.. ولكن لا! يجب ألا اقول هذا ولا بعضه فلقد قطعت علينا الطريق بانها قطعة من رواية.. فلننتظر! عفواً!

لقد نسيت الشعر في الطريق، ومعظم قصائد العدد كانت قصصاً ... واحسب ان ذلك كان امراً مقدوراً، ولكن ... اذا كان من الصعب حوك القصة الموفقة نثراً مطلق القيد فكم يتعقد الامر في سوق الحكاية مثقلة برنين الوزن والقافية والروح الشعري. ولا عجب بعد هذا ان تفشل كل المحاولات!

فـ «أنا الماضي» لولا نجاة بعض الابيات فيها لكانت شيئاً من الشعر العادي. و «حياة إنسانة» مثلها في ذلك لولا هذه القوافي «المنونة» (مذعورةً، مأسورةً، حكمةٍ، تخمةٍ...) التي تجرح الخيال وتقف كالشوكة عند القلب!

وفي «احتضار الفنان» أحببت القصة التي نسجت حولها الابيات لا الابيات! ولقد تركت حكمة الفنان المحتضر في نفسي ديوان شعر كل قافية فيه كأس ومزهر ... فلما قرأت القصيدة ذابت القوافي وتلاشى الديوان فما بقيت من الشعر كلمة! وانحدرت بي الذاكرة الى بعض شعر الفقهاء وأنا اقرأ:

« وها أنا (ذا) قد شخت والحب ضاع
فأصبحت من بين غث المتاع
« وما قيمة العيش دون الهوى
بحسبك في الفن نبع روى!!

و «نبأ من سبأ» اكثر القصائد — القصص نجاحاً وأوفاها نصيباً من الفن الشعري. وأما القصيدتان اللتان تستوحيان فلسطين: «قبية الشهيدة» و «في القدس عند المقبرة» فالأخيرة منهما اقوى نفساً وشعوراً من الاولى.

وقد تذكرك قصيدة (التائه) مباشرة بعمر ابي ريشة فهي ليست من مدرسته فقط ولكن تنهب من قوافيه وصوره. واما قصيدة (السجين) فما تزال تحتاج الى الكثير..

وبعد، فقد بدأت وفي ظني ان يكون بيدري بضعة افكار مستعارة، تضمها عدة اسطر.. او هكذا اوهمتني الرسالة الرقيقة التي طلبت اليّ قراءة العدد. اما الآن فأجدني انا نفسي بعض ما في البيدر!! واجدني، شئت ام ابيت، انا الحصّاد والحصيد في وقت معاً. إني لأذكر لطاغور قصيدة يأتي فيها العاشق الى حبيبته فيقول:

— انا راض يا حبيبة بتلك الزهرة التي تسقط عفواً من شعرك!
فتجيبه — انا اعلم ايها السائل المتواضع! انك تطلب كل ما عندي!
— انا اقنع بذلك المنديل الذي كان مرة يجاور قلبك!
— انا اعلم ايها السائل المتواضع انك تطلب كل ما عندي!
اجل قرأت العدد الماضي من الآداب... لكني، واخجلتاه، ما كنت اعلم انه يطلب — على فقري — كل ما عندي!

دمشق **شاكر مصطفى**



حول قصيدة

اخي الاستاذ سلامة عبيد

ما هذا الذي قرأته لك يا اخي «سلامة» في عدد « الآداب » الأخير ؟

اهو خريف في الشعر ام هو خريف في العمر ، ام هـو لا من الشعر ولا من العمر ، نشرته فجاء شيئاً كالشعر وشعرته فجاء شيئاً كالنثر فما هـو بالتالي من الشعر ولا من النثر ؟

ام حسبت ان كل ما يرد الى الذهن يصلح ان ينقش في سطر ويرسل الى اقرب مجلة ادبية ليقال لها – على حساب الشهرة والمعرفة – هذا لك مني ، مستهتراً بالقراءة والقارىء ، ومستهزئاً بالكتابة والكاتب ، ومهملا لـكل شعر وشاعر ... ؟

ان تقول : هذا كثير في مجال قليل ، وقد لا يستحق القارىء – مثلي – اكثر من هذه «الفضلات» التي كتبتها في بعض ساعات ملك وضجرك وسأمك دون ان تعنى بالقارىء إلا عـلى رأي انه يقرأ « ما هو موجود » دون العناية بجودته فضلاً عن ماهيته ... فنقول – المرء حيث يضع نفسه .

وان تقول – ما الذي تأخـذه على هذا الشعر ؟ فأقول – هذا ليس بشعر حتى آخذعليه وان كان بنفسي ان آخذ على يدك اذا قررت انه شعر...

وان تقول بعدها – اذن ما بالك قد كتبت في هذا الذي ليس بشعر وليس بنثر وليس بشيء ؟ فأقول – لقد كتبت لأردعك عما ليس بشيء ..

افحاولت ان تتلمذ على « ... » وانت الاستاذ في المعاني والمباني ؟ ...

خذها من اخ لأخيه – اياك ان تحجل غراباً ، وانت صاحب –

ما تركـنـا السيف الا مقبضا والخيول الضمر غرثى تتوانى...

ولك صادق ولاء اخيك .

دمشق **زهير ميرزا**

تصويب

وقعت في قصيدة «ذكريات القرية» اغلاط مطبعية ارجو ان تشيروا اليها :

فالبيت : من علبة الحلوى التي ذاقت حلاوتها « لبيبة »

صحته : عن علبة الحلوى التي ذاقت حلاوتها « لبيبة »

والبيت : انا لست انسى تربتي السمراء والقصص الخصيبة

صحته : انا لست انسى تربتي السمراء والقصص الخضيبة

وليس يخاف عليكم ان هذه التحريفات تبعد بالابيات عن المعنى المراد .

القاهرة **كمال نشأت**

تصويب آخر ..

وقعت في قصيدتي (الحكاية من اولها) غلطة مطبعية في قولي :

لا زال يذكره الغرير

وصوابها (ما زال) فأرجو الاشارة الى ذلك .

بغداد **عدنان الراوي**

البحتري في باريس

في التاسع من كانون الثاني ، نوقش السيد صالح اشتر في اطروحتين في الادب العربي بكلية الآداب في السوربون بباريس .

وكان موضوع الاطروحة الكبرى : « شاعر عربي من القرن الهجري الثالث : البحتري » ، وموضوع الاطروحة الصغرى : « طبعة نقدية لكتاب اعتاب الكتاب لابن الأبار » .

اما لجنة المناقشة فكانت مؤلفة من الاستاذ ليفي بروفنسال رئيساً ، والاساتذة بلاشير وبيلا وفييت ولاوست اعضاء . وقد استمرت المناظرة اربع ساعات تقريباً ، كثر فيها الكر والفر بين السيد اشتر ومناظريه ، يعترضون فيدفع ، وينقدون فيجيب ويحتـج . فالسيد اشتر يرى في البحتري عبقرية لا تتبدى لناظر الاستاذ بلاشير فيقول ان البحتري تابع لابي تمام لا يميزه عنه شيء كثير ، وهو صانع مجيد ، ونظام لا صاحب معان وافكار . ولكن هذا كله لا يمنع الاستاذ بلاشير – وسائر الاساتذة – من امتداح منهج السيد اشتر في البحث وسرورهم بقراءة اطروحتـه التي ستكون من دعائم البحث لكل من يهتم بتاريخ الادب العربي في القرن الهجري الثالث .

اما الاطروحة الثانية فهي تحقيق مخطوط لكتاب اندلسي المؤلف ، يبحث في حيوات الكتاب ، وامجادهم ومحنهم ، وهو كتاب ذو نفع خاص من الوجهتين التاريخية والادبية معاً .

وقد كللت جهود السيد صالح اشتر باجماع اللجنة على منحه لقب « دكتور دولة في الآداب بدرجة الشرف » . ويعود الدكتور اشتر الى دمشق ليتابع نشاطه في الحقلين التعليمي والادبي .